

تَحْفَتُ الْمَلِكِ

جميعها الاب حنا بلو والاب افوستينوس روده
من الرهبنة اليسوعية

الجزء الاول

وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدَبِيَّةٍ



المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

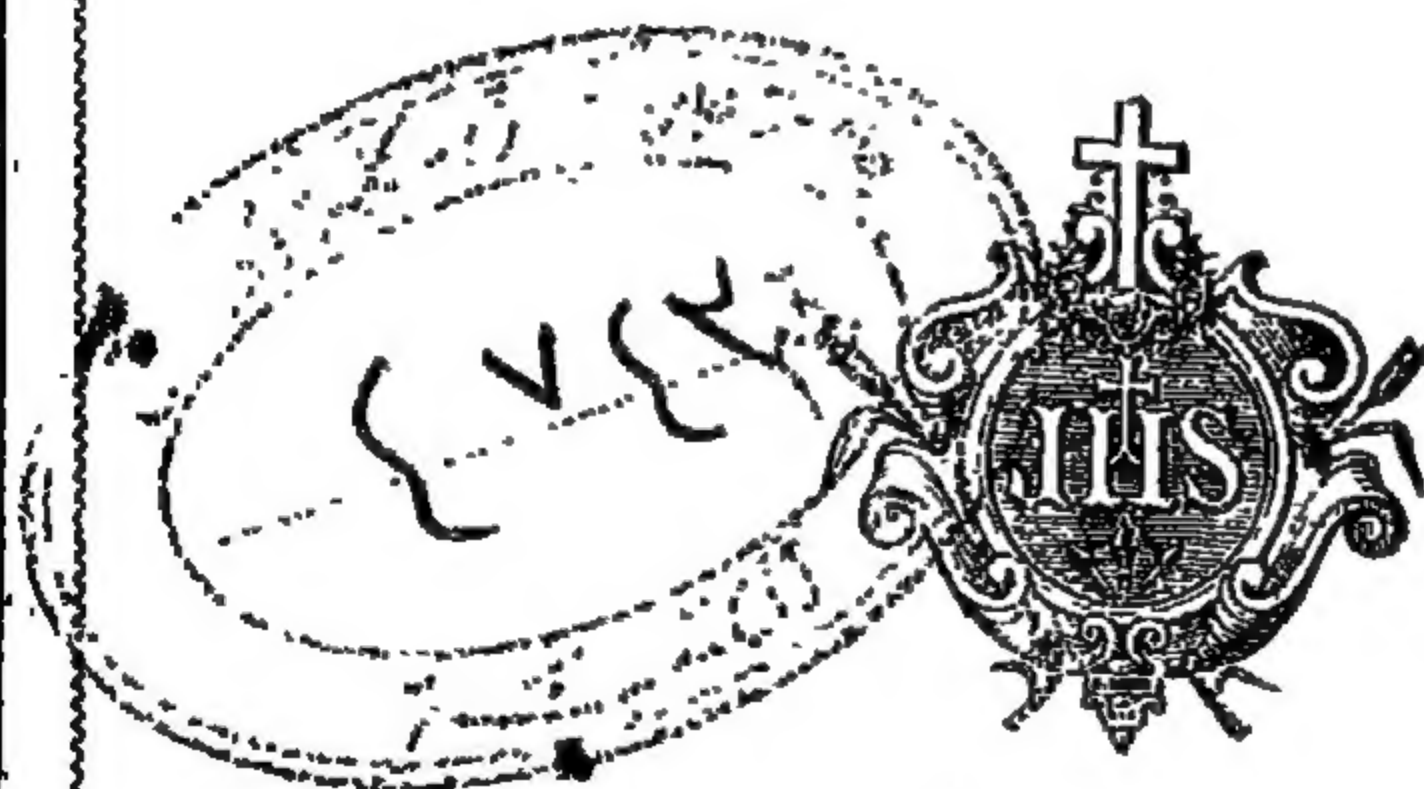
في بيروت سنة ١٨٩٧

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ٣٩

تَحَرُّقُ الْمَلِكِ

جمعهما الاب يوحنا بلو والاب اغوستينو
من الرهبنة اليسوعية
الجزء الاول

القسم الاول
وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى حِكَايَاتٍ أَدَبِيَّةٍ



المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

في بيروت سنة ١٨٩٧

برخصة مجلس معارف ولاية بيروت الجليلة ٣٩

مِنْ أَمْثَالِ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ

أَسَدٌ وَثُورَانِ

أَسَدٌ مَرَّةً خَرَجَ عَلَى ثُورَيْنِ . فَأَجْتَمَعَا جَمِيعًا وَكَانَا يَنْطَحَانِيهِ
بِقُرُونِهِمَا . وَلَا يُمْكِنَانِيهِ مِنَ الدُّخُولِ بَيْنَهُمَا . فَأَنْفَرَدَ بِأَحَدِهِمَا
وَوَعَدَهُ وَوَعَدَهُ أَلَّا يُعَارِضَهُ إِنْ تَخَلَّى عَنْ صَاحِبِهِ . فَلَمَّا افْتَرَقَا
افْتَرَسَهُمَا جَمِيعًا

مَغْزَاهُ

أَنَّ مَدِينَتَيْنِ . إِذَا اتَّفَقَ عَلَى رَأْيٍ وَاحِدٍ أَهْلُهُمَا . فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ
مِنْهُمَا عَدُوٌّ . فَإِذَا افْتَرَقَا هَلَكَا جَمِيعًا

غَزَالٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطِشَ فَأَتَى إِلَى عَيْنِ مَاءٍ يَشْرَبُ . فَنَظَرَ خِيَالَهُ فِي
الْمَاءِ فَحَزِنَ لِدِقَّةِ قَوَائِمِهِ وَسُرِّ وَأَبْشَحَ لِعِظَمِ قُرُونِهِ وَكِبَرِهَا . وَفِي
أَحْصَالٍ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّيَّادُونَ فَأَنْهَزَمَ مِنْهُمْ . فَأَمَّا وَهُوَ فِي السَّهْلِ
فَلَمْ يُدْرِكُوهُ فَلَمَّا دَخَلَ فِي الْجَبَلِ وَعَبَّرَ بَيْنَ الشَّجَرِ لِحَقِّهِ الصَّيَّادُونَ
وَقَتَلُوهُ . فَقَالَ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَلُوَيْلُ لِي أَنَا الْمُسْكِينُ . الَّذِي أَرْدَرَيْتُهُ
هُوَ خَلَّصَنِي . وَالَّذِي رَجَوْتُهُ أَهْلَكَنِي

أَسَدٌ وَثَعْلَبٌ

أَسَدٌ شَاخَ وَضَعُفَ . فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْوُحُوشِ
فَأَرَادَ أَنْ يَحْتَمِلَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَعِيشَةِ . فَتَمَارَضَ وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي

بَعْضِ الْمَغَايِرِ . وَكَانَ كُلَّمَا أَتَاهُ زَائِرٌ مِنَ الْوُحُوشِ يَعُودُهُ أَفْتَرَسَهُ
دَاخِلَ الْمَغَارَةِ وَأَكَلَهُ . وَآتَى الثَّعْلَبُ . وَوَقَفَ عَلَى بَابِ الْمَغَارَةِ مُسَلِّمًا
عَلَيْهِ قَائِلًا لَهُ : كَيْفَ حَالُكَ يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ :
مَا لَكَ لَا تَدْخُلُ يَا أَبَا الْحَصَيْنِ : فَقَالَ لَهُ الثَّعْلَبُ : يَا سَيِّدُ . قَدْ
كُنْتُ عَوَّلْتُ عَلَى هَذَا غَيْرِ أَنِّي أَرَى عِنْدَكَ آثَارَ أَقْدَامِ كَثِيرٍ (١)
قَدْ دَخَلُوا . وَلَا أَرَى أَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ أَحَدٌ

مَعْرَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ لَا يَأْتِيَ أَمْرًا . إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ
فِيهِ وَيَمِيزَهُ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ

أَسَدٌ وَإِنْسَانٌ أَصْطَحَبَا مَرَّةً عَلَى الطَّرِيقِ . فَجَمَعَا لَا يَتَشَا جَرَانِ
بِالْكَلَامِ عَلَى الْقُوَّةِ وَشِدَّةِ الْبَاسِ . فَجَعَلَ الْأَسَدُ يُطْنِبُ فِي شِدَّتِهِ
وَبَاسِهِ . فَتَنَظَرَ الْإِنْسَانُ عَلَى حَائِطِ صُورَةِ رَجُلٍ وَهُوَ يَخْنُقُ أَسَدًا .
فَضَحِكَ الْإِنْسَانُ . فَقَالَ لَهُ الْأَسَدُ : لَوْ أَنَّ السَّبَاعَ مُصَوِّرُونَ
مِثْلَ بَنِي آدَمَ . لَمَا قَدَرَ الْإِنْسَانُ يَخْنُقُ سَبْعًا بَلْ كَانَ السَّبْعُ يَخْنُقُ
الْإِنْسَانَ

مَعْرَاهُ

أَنَّهُ مَا يُزَكِّي الْإِنْسَانَ بِشَهَادَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ

(١) كَثِيرٌ نَعْتٌ لِمُحَذَّوْفٍ يُقَدَّرُ بِحَسَبِ الْمَقَامِ وَالْمُرَادِ هُنَا خَلْقُ كَثِيرٍ

غَزَالٌ وَأَسَدٌ

غَزَالٌ مِنْ خَوْفِهِ مِنَ الصَّيَّادِينَ انْهَزَمَ إِلَى مَغَارَةٍ . فَدَخَلَ
إِلَيْهِ الْأَسَدُ فَأَقْرَسَهُ فِيهَا . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : الْوَيْلُ لِي أَنَا الشَّقِيُّ
لِأَنِّي هَرَبْتُ مِنَ النَّاسِ . فَوَقَعْتُ فِي يَدِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَأْسًا
مَغْزَاهُ

أَنَّ كَثِيرًا يَفِرُّونَ مِنْ بَلَاءٍ فَيَقْعُونَ فِي بَلَاءٍ أَعْظَمَ
غَزَالٌ وَثَلَبٌ

غَزَالٌ مَرَّةً عَطَشَ فَوَرَدَ عَيْنَ مَاءٍ لِيَشْرَبَ . وَكَانَ الْمَاءُ فِي
جُبٍّ عَمِيقٍ ثُمَّ إِنَّهُ حَاوَلَ الطَّلُوعَ فَلَمْ يَقْدِرْ . فَنَظَرَهُ الشَّابُّ فَقَالَ
لَهُ أَسَأْتَ يَا أَخِي . إِذْ لَمْ تُمَيِّزْ صُدُورَكَ قَبْلَ وُرُودِكَ
مَغْزَاهُ

مَنْ جَدَّ بِهِ الطَّمَعُ عَلَى أَنْ يَأْتِيَ أَمْرًا دُونَ تَرَوٍّ فِيهِ . لَمْ يَأْمَنْ
غَائِلَتُهُ

أَرْنَبٌ وَبُؤَّةٌ

أَرْنَبٌ مَرَّةً أُجْتَازَتْ بِبُؤَةٍ وَقَالَتْ لَهَا : أَنَا أُتَجِّعُ فِي كُلِّ سَنَةٍ
أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَأَنْتِ إِنَّمَا تَلِدِينَ فِي عُمْرِكَ كُلِّهِ قَدًّا أَوْ زَوًّا . فَقَالَتْ
لَهَا الْبُؤَةُ : صَدَقْتَ غَيْرَ أَنَّهُ وَإِنْ يَكُنْ وَاحِدًا فَهُوَ سَبْعٌ
مَغْزَاهُ

لَيْسَ الْإِعْتِمَادُ عَلَى الْكَثْرَةِ وَإِنَّمَا هُوَ عَلَى الْمَفِيدِ

إِبْرَاءُ وَدَجَاجَةٌ

إِمْرَأَةٌ كَانَ لَهَا دَجَاجَةٌ تَبْيِضُ فِي كُلِّ يَوْمٍ بَيْضَةً فِضَّةً .
فَقَالَتْ فِي نَفْسِهَا : إِنْ أَنَا كَثُرْتُ عَلَيْهَا بَاضَتْ بَيْضَتَيْنِ . فَلَمَّا
فَعَلَتْ ذَلِكَ أُنْشِقَّتْ حَوْصَلَةُ الدَّجَاجَةِ فَمَاتَتْ

مَعْرَاهُ

أَنْ كَثِيرًا بِسَبَبِ طَمَعِهِمْ يُخْسِرُونَ رَأْسَ مَا لِيهِمْ
بِعَوْضَةٍ وَتَوْرٍ

بِعَوْضَةٍ يَعْنِي نَامُوسَةً وَقَعَتْ عَلَى قَرْنِ ثَوْرٍ وَظَنَّتْ أَنَّهَا ثَقَلَتْ
عَلَيْهِ . فَقَالَتْ لَهُ : إِنْ كُنْتُ قَدْ بَهَظْتُكَ فَأَعْلِمْنِي حَتَّى أَطِيرَ عَنْكَ :
فَقَالَ لَهَا الثَّوْرُ : يَا هَذِهِ . مَا شَعَرْتُ بِتُرُوكِ حَتَّى يُرِيحَنِي فِرَاقُكَ

مَعْرَاهُ

مَنْ يَطْلُبُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ ذِكْرًا وَتَجْدًا وَهُوَ حَقِيرٌ يَلْقَى الْهَوَانَ
بُسْتَانِي

بُسْتَانِي كَانَ يَوْمًا يُقِي الْأَبْقُلَ . فَقِيلَ لَهُ : لِمَاذَا الْأَبْقُلُ الْأَبْرِيُّ
بِهِيَ الْمُنْظَرُ وَهُوَ غَيْرُ مُخْدُومٍ وَمُنَبَّتٍ : فَقَالَ : لِأَنَّهُ تُرِيهِ أُمَّهُ . وَغَيْرُهُ
تُرِيهِ رَبِيتُهُ

مَعْرَاهُ

أَنَّ تَرْيَةَ الْأُمِّ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي وَلَدِهَا مِنْ غَيْرِهَا

إِنْسَانٌ وَفَرَسٌ

إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ فَرَسٌ يَرْكَبُهَا وَهِيَ حَامِلٌ. وَفِيهَا هُوَ فِي بَعْضِ
الطَّرِيقِ إِذْ أُتِجِبَتْ لَهُ مَهْرًا. فَتَبِعَ أُمَّهُ غَيْرَ بَعِيدٍ. ثُمَّ وَقَفَ وَقَالَ
لِصَاحِبِهِ: تَرَانِي صَغِيرًا لَا أَسْتَطِيعُ الْمَشْيَ. وَقَدْ مَضَيْتَ وَتَرَكْتَنِي
هَهُنَا. فَإِنْ أَنْتَ أَخَذْتَنِي مَعَكَ وَرَبَّيْتَنِي إِلَى أَنْ أَقْوَى حَمَلْتُكَ عَلَى
ظَهْرِي وَأَوْصَلْتُكَ إِلَى حَيْثُ تَشَاءُ

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ تَرْفُقَ بِمَنْ يَسْتَغِيثُونَكَ وَهُمْ غَيْرُ قَادِرِينَ

إِنْسَانٌ وَخِنْزِيرٌ

إِنْسَانٌ مَرَّةً حَمَلَ عَلَى بَهِيمَةٍ لَهُ كَبْشًا وَعَنْزًا وَخِنْزِيرًا. وَقَصَدَ بِهَا
الْمَدِينَةَ لِيَبِيعَ الْجَمِيعَ. أَمَّا الْكَبْشُ وَالْعَنْزُ فَلَمْ يَكُونَا يُؤْذِيَانِ الْبَهِيمَةَ.
وَأَمَّا الْخِنْزِيرُ فَإِنَّهُ كَانَ يَغْرَضُ دَائِمًا وَلَا يَهْدَأُ. فَقَالَ لَهُ الْإِنْسَانُ:
يَا شَرَّ الْوُحُوشِ. مَا لِي أَرَى الْكَبْشَ وَالْعَنْزَ سَاكِتَيْنِ لَا يَضْطَرِبَانِ.
وَأَنْتَ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَسْتَقِرُّ: فَقَالَ لَهُ الْخِنْزِيرُ: كُلُّ يَعْرِفُ شَأْنَهُ. أَنَا
أَعْلَمُ أَنَّ الْكَبْشَ لَصُوفِهِ. وَالْعَنْزَ لِلْبَنِيهَا. وَأَنَا الشَّقِيُّ فَلَا صُوفَ لِي
وَلَا لَبَنَ فَمَا يَكُونُ بَعْدَ وَصُولِي إِلَى الْمَدِينَةِ إِلَّا إِرْسَالِي إِلَى الْمَسْلَخِ.

مَغْزَاهُ

أَنَّ الَّذِينَ يَفْرُقُونَ فِي الْخَطَايَا الَّتِي قَدِمَتْ أَيْدِيهِمْ يَعْلَمُونَ

سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ

سُخْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ

سُخْفَاةٌ وَأَرْنَبٌ تَسَابَقَا مَرَّةً . وَجَعَلَا أَحَدَهُمَا الْجَبَلَ يَسْتَبِقَانِ
إِلَيْهِ . أَمَّا الْأَرْنَبُ فَلَمَّا يَعْلَمُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ الْخِيفَةِ فِي الْجُرْيِ تَوَانِي
فِي الطَّرِيقِ وَنَامَ . وَأَمَّا السُّخْفَاةُ فَلَعَلِمَهَا يَثْقُلُ حَرَكَتُهَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ
وَلَا تَتَوَانِي فِي الْمَسِيرِ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الْجَبَلِ قَبْلَهُ . وَعِنْدَمَا
اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ . وَجَدَهَا قَدْ سَبَقَتْ قَدِيمَ حَيْثُ لَا تَنْفَعُ النَّدَامَةُ

مَغْرَاهُ

لَا يَنْبَغِي لِلْقَوِيِّ أَنْ يَتَكَلَّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقُوَّةِ وَيُعْغِلَ أَمْرَهُ .
فَيَفْشَلُ وَيَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ

ذَيْبٌ

ذَيْبٌ مَرَّةً اخْتَطَفَ خَنُوصًا . وَفِيمَا هُوَ ذَاهِبٌ بِهِ أَقْبَاهُ الْأَسَدُ
فَأَخَذَهُ مِنْهُ . فَقَالَ الذَّيْبُ فِي نَفْسِهِ : لَا غَرَوَ أَنْ يَكُونَ الْغَاصِبُ
مَنْصُوبًا . فَإِنَّ الْبَغْيَ مَضْرُوعٌ وَخِيمٌ

مَغْرَاهُ

أَنَّ مَا يَكْتَسِبُ مِنَ الظُّلْمِ لَا يَدُومُ لِصَاحِبِهِ . وَإِنْ دَامَ فَلَا
يَتَنَاهَاهُ . كَمَا وَرَدَ : مَنْ أَصَابَ مَالًا مِنْ مَهَاوِشَ . أَذْهَبَهُ اللَّهُ فِي نَهَابٍ

الْعَوْسَجُ

الْعَوْسَجُ قَالَ مَرَّةً لِلْبُسْتَانِيِّ : لَوْ أَنَّ لِي مِنْ يَهْتَمُّ بِي وَيَنْصَبُنِي
وَيَسْقِينِي وَيَخْدُمُنِي . لَأَشْتَهِي الْمُلُوكَ وَنَظَرُوا مِنْ زَهْرِي وَثَمَرِي

فَأَخَذَهُ وَغَرَسَهُ فِي أَجُودِ مَحَلٍّ فِي الْبُسْتَانِ . وَصَارَ يَسْقِيهِ كُلَّ يَوْمٍ
دُفْعَتَيْنِ . فَشَاءَ وَقَوِيَ . وَتَفَرَّغَتْ أَغْصَانُهُ عَلَى جَمِيعِ الشَّجَرِ . الَّتِي
حَوْلَهُ وَأَصْلَتْ عُرْوَتُهُ فِي الْأَرْضِ . حَتَّى أُمْتَلَأَ الْبُسْتَانُ مِنْهُ وَمِنْ
كَثْرَةِ شَوْكِهِ . فَلَمْ يَعُدْ أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَفَرَّجَ فِيهِ

مَغْزَاهُ

مَنْ يُجَاوِرُ إِنْسَانَ سُوءٍ فَإِنَّهُ كَلَّمَا أَكْرَمْتَهُ كَثُرَتْ شُرُورُهُ
وَتَمَرَّدَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ : وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا

صَبِي

صَبِيٌّ رَمَى بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي نَهْرٍ . وَلَمْ يَكُنْ يُحْسِنُ السِّبَاحَةَ .
فَأَشْرَفَ عَلَى الْغَرَقِ . فَاسْتَعَانَ بِرَجُلٍ عَابِرٍ فِي الطَّرِيقِ . فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ
وَجَعَلَ يُلُومُهُ عَلَى زُؤُلِهِ إِلَى النَّهْرِ . فَقَالَ الصَّبِيُّ : يَا هَذَا . خَلَّصَنِي
أَوَّلًا مِنْ الْمَوْتِ ثُمَّ لُمْنِي

مَغْزَاهُ

إِذَا وَقَعَ صَدِيقُكَ فِي شِدَّةٍ نَجِّهِ وَخَلِّصْهُ أَوَّلًا ثُمَّ لُمْ لَهُ

صَبِيٌّ وَعَقْرَبٌ

صَبِيٌّ مَرَّةً كَانَ يَصِيدُ الْجَرَادَ . فَنَظَرَ عَقْرَبًا فَظَنَّهَا جَرَادَةً .
فَقَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَهَا ثُمَّ تَبَاعَدَ عَنْهَا . فَقَالَتْ لَهُ : لَوْ أَنَّكَ قَبَضْتَنِي بِيَدِكَ
لَتَخَلَّيْتُ عَنْ صَيْدِ الْجَرَادِ

مَغْرَاهُ

أَنَّ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ . وَيُدِيرَ
لِكُلِّ شَيْءٍ تَدْبِيرًا عَلَى حَدِّهِ
حَمَامَةٌ

حَمَامَةٌ مَرَّةً عَطِشَتْ . فَأَقْبَلَتْ تَحُومُ حَوْلَ حَارِطٍ فِي طَلَبِ الْمَاءِ .
فَنَظَرَتْ عَلَيْهِ صُورَةَ صُحَيْفَةٍ مَمْلُوءَةٍ مَاءً . فَطَارَتْ بِسُرْعَةٍ وَضَرَبَتْ
نَفْسَهَا عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَأَنْشَقَّتْ حَوْصَلَتُهَا . فَقَالَتْ : الْوَيْلُ لِي .
فَإِنِّي لَمْ أَتَرَوْ فِي الصَّحِيحِ وَالْمُقْتَبَلِ . وَأَفْرُقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ .
حَتَّى جَلَبْتُ الْمَنِيَّةَ لِرُوحِي بِيَدِي

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْمُسْتَعِجِلَ لَا يَسْلَمُ مِنْ تَبِعَةِ عَجَلَتِهِ وَأَنَّ الْحَزْمَ فِي التَّائِي
حَدَّادٌ وَكَابٌ

حَدَّادٌ كَانَ لَهُ كَابٌ دَابُّهُ التَّوَانِي وَالرُّقَادُ مَا دَامَ الْحَدَّادُ
عَامِلًا . فَإِذَا رَفَعَ الْعَمَلَ وَجَلَسَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ لِيَأْكُلُوا أَسْتَقِظَ
الْكَابُ . فَقَالَ لَهُ الْحَدَّادُ : يَا كَابُ السُّوءِ . مَا لِي أَرَى صَوْتَ
الْمَطَارِقِ الَّتِي تُرْعِزُ الْأَرْضَ لَا يُنَبِّهُكَ . وَحَسَّ الْمَضْغُ الْحَمِيَّ
تَسْمَعُهُ فَيُوقِظُكَ

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْغَبِيَّ يَتَّقَعَسُ عَنِ الْوَعْظِ . وَإِذَا سَمِعَ اللَّهَ وَأَنْصَبَ إِلَيْهِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ

الْبَطْنُ وَالرِّجْلَانِ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّهِمَا يَحْمِلُ الْجِسْمَ . فَقَالَتْ
الرِّجْلَانِ : نَحْنُ بِقُوَّتِنَا نَحْمِلُهُ : فَقَالَ الْجَوْفُ : إِذَا أَنَا لَمْ أَغْذِ مِنْ
الطَّعَامِ . فَلَا تَسْتَطِيعَانِ الْمَشْيَ . فَضَلَا عَنْ أَنْ تُقِيلَا شَيْئًا
مَعْرَاهُ

مَنْ يَقُولُ أَمْرًا فَإِنْ لَمْ يَعْصِدْهُ مَنْ هُوَ أَرْفَعُ مِنْهُ يَفْشَلُ
الشَّمْسُ وَالرِّيحُ

الشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَخَاصَّمَا عَلَى أَيِّهِمَا يَقْدِرُ أَنْ يُجَرِّدَ الْإِنْسَانَ
ثِيَابَهُ . فَاشْتَدَّتِ الرِّيحُ فِي هُبُوبِهَا وَعَصِفَتْ جِدًّا . فَكَانَ الْإِنْسَانُ
كُلَّمَا تَرَايَدَ هُبُوبُهَا ضَمَّ إِلَيْهِ ثِيَابَهُ وَأَلْتَفَ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ .
فَلَمَّا أَرْتَفَعَ النَّهَارُ وَاشْتَدَّ الْحَرُّ . خَلَعَ ثِيَابَهُ وَحَمَلَهَا عَلَى كَتِفِهِ
مَعْرَاهُ

مَنْ كَانَ عِنْدَهُ الْإِتِّصَاعُ وَدِمَائَةُ الْأَخْلَاقِ . نَالَ مِنْ
صَاحِبِهِ مَا يُرِيدُ

دِيكَانٍ

دِيكَانٍ كَانَا يَتَقَاتَلَانِ عَلَى قَهْقُورٍ . فَقَلَبَ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ .
أَمَّا الْمَغْلُوبُ فَمَضَى مِنْ وَقْتِهِ إِلَى مَاوَاهُ . وَأَمَّا الْغَالِبُ فَصَعِدَ
فَوْقَ السَّطْحِ . وَجَعَلَ يُصَفِّقُ بِجَنَاحِيهِ وَيَصِيحُ وَيَفْتَخِرُ . فَبَصُرَ بِهِ
بَعْضُ الْجَوَارِحِ فَأَنْقَضَ إِلَيْهِ وَاخْتَطَفَهُ

مَغْرَاهُ

أَنَّ الْإِقْتِخَارَ بِالْقُوَّةِ رَبًّا أَوْقَعَ صَاحِبَهُ فِي تَهْلُكَةٍ لَا مَنَاصَ لَهُ مِنْهَا
ذِنَابٌ

ذِنَابٌ أَصَابُوا جُلُودَ بَقَرٍ فِي مَسِيلٍ فِيهِ مَاءٌ وَلَيْسَ عِنْدَهُ أَحَدٌ.
فَاتَّقَوْا عَلَى أَكْلِهَا جَمِيعًا. وَأَنَّهُمْ يَشْرَبُونَ الْمَاءَ كُلَّهُ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى
الْجُلُودِ. فَمِنْ كَثَرَةِ مَا شَرَبُوا انْفَلَقُوا. وَمَاتُوا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغُوا أَرْبَعَهُمْ (١)

مَغْرَاهُ

مَنْ كَانَ قَلِيلَ الرَّأْيِ. عَمِلَ مَا كَانَتْ عَاقِبَتُهُ وَبَالَآ عَلَيْهِ
الْوَزُّ وَالْخُطَافُ

الْوَزُّ وَالْخُطَافُ تَشَارَكَا فِي الْمَعِيشَةِ. فَكَانَ مَرَعَاهُمَا كِلَيْهِمَا فِي
مَحَلٍّ وَاحِدٍ. قَمَرٌ بِهِمَا الصَّيَّادُونَ يَوْمًا فَمَا كَانَ مِنَ الْخُطَافِ إِلَّا أَنْ
طَارَ وَسَلِمَ. فَأَمَّا الْوَزُّ فَأَذْرَكَ وَذُبِجَ

مَغْرَاهُ

مَنْ عَاشَرَ مَنْ لَا يُشَاكِلُهُ. أَحَاقَ بِهِ السُّوءُ

بَطَّةٌ وَضَوْءٌ كَوْكَبٌ

بَطَّةٌ رَأَتْ فِي الْمَاءِ ضَوْءَ كَوْكَبٍ فَظَنَّتْهُ سَمَكَةً. فَحَاوَلَتْ أَنْ
تَصِيدَهَا. فَلَمَّا جَرَّبَتْ ذَلِكَ مِرَارًا عَلِمَتْ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ يُصَادُ.

(١) أضمر الذناب بضمير الغناء، لانه ترلها مترلهم اذ هي كناية عنهم وقس

على ذلك ما اشبهه

فَتَرَكَتْهُ . ثُمَّ رَأَتْ فِي غَدِ ذَلِكَ الْيَوْمِ سَمَكَةً . فَظَنَّتْهَا مِثْلَ الَّذِي
رَأَتْهُ بِالْأَمْسِ . فَتَرَكَتْهَا

مَغْزَاهُ

أَنَّهُ يَنْبَغِي الْإِنْسَانَ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ . وَلَا يُوقِعَ
أَحَدَهُمَا مَوْقِعَ الْآخَرِ

—————

نُخَبٌ

مِنْ الْكِتَابِ الْمَعْرُوفِ بِأَلْفِ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٍ
حِكَايَةُ الْمَلِكِ جَايَعَادَ

وَأَبْنِهِ

زَعَمُوا أَنَّهُ كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَسَائِفِ الْعَصْرِ وَالْأَوَانِ مَلِكٌ
فِي بِلَادِ الْهِنْدِ . وَكَانَ مَلِكًا عَظِيمًا طَوِيلَ الْقَامَةِ . حَسَنَ الصُّورَةِ . حَسَنَ
الْخُلُقِ كَرِيمَ الطَّبَاعِ مُحْسِنًا إِفْقَرَاءَ مُحِبًّا لِلرَّعِيَّةِ وَلِجَمِيعِ أَهْلِ دَوْلَتِهِ .
وَكَانَ أَسْمُهُ جَايَعَادَ . وَكَانَ تَحْتَ يَدِهِ فِي مَمْلَكَتِهِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ
مَلِكًا . وَلِبِلَادِهِ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسُونَ قَاضِيًا . وَكَانَ لَهُ سَبْعُونَ وَزِيرًا
وَقَدْ جَعَلَ عَلَى كُلِّ عَشْرَةٍ مِنْ عَسْكَرِهِ رَئِيسًا . وَكَانَ أَكْبَرُ وَزَرَائِهِ
مُتَخَصَّمًا يُقَالُ لَهُ شِمَاسٌ . وَكَانَ عُمُرُهُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ سَنَةً . وَكَانَ
حَسَنَ الْخُلُقِ وَالطَّبَاعِ لَطِيفًا فِي كَلَامِهِ . لَيِّبًا فِي جَوَابِهِ . حَازِقًا فِي
جَمِيعِ أُمُورِهِ . حَكِيمًا مُدِيرًا رَئِيسًا مَعَ صِغَرِ سِنِهِ . عَارِفًا بِكُلِّ حِكْمَةٍ

وَأَدَبٍ . وَكَانَ الْمَلِكُ يُحِبُّهُ مَحَبَّةً عَظِيمَةً وَيَمِيلُ إِلَيْهِ لِمَعْرِفَتِهِ بِالْقَصَاحَةِ
وَالْبَلَاغَةِ وَأَحْوَالِ السِّيَاسَةِ . وَلَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَخَفِضَ
الْجَنَاحَ لِلرَّعِيَّةِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْمَلِكُ عَادِلًا فِي مَمْلَكَتِهِ حَافِظًا لِرَعِيَّتِهِ
مُوَاصِلًا كَبِيرَهُمْ وَصَغِيرَهُمْ بِالْإِحْسَانِ . وَمَا يَلِيقُ بِهِمْ مِنَ الرِّعَايَةِ
وَالْعَطَايَا وَالْأَمَانِ وَالطَّمَأْنِينَةِ . وَمُخَفِّفًا لِلخَرَاجِ عَنْ كَامِلِ الرِّعِيَّةِ . وَكَانَ
مُحِبًّا لَهُمْ كَبِيرًا وَصَغِيرًا . وَمُعَامِلًا لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ .
وَأَتَى بِحَسَنِ سِيرَتِهِ بَيْنَهُمْ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ . وَمَعَ هَذَا كُلِّهِ لَمْ
يَرْزُقْهُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَدًا . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ . فَأَتَفَقَ أَنَّ
الْمَلِكَ كَانَ مُضْطَجِعًا فِي لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ مُشْغُولُ الْفِكْرِ فِي عَاقِبَةِ
أَمْرِ مَمْلَكَتِهِ . ثُمَّ غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّهُ يُصَبُّ مَاءٌ فِي
أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ وَإِذَا بِنَارٌ قَدْ خَرَجَتْ
مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا كَانَ حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ . فَمِنْدَ ذَلِكَ
انْتَبَهَ الْمَلِكُ مِنْ مَنَامِهِ فَرَمَا وَاسْتَدْعَى أَحَدَ غُلَمَائِهِ وَقَالَ لَهُ : أَذْهَبْ
بِسُرْعَةٍ وَأُنْتِنِي بِشَّمْسِ الْوَزِيرِ عَاجِلًا : فَذَهَبَ الْغُلَامُ إِلَى شَّمْسٍ وَقَالَ
لَهُ : إِنَّ الْمَلِكَ يَدْعُوكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ لِأَنَّهُ انْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ مَرَّعُوبًا .
فَارْسَلَنِي إِلَيْكَ لِتَحْضُرَ عِنْدَهُ عَاجِلًا : فَلَمَّا سَمِعَ شَّمْسُ كَلَامَ الْغُلَامِ
قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ وَتَوَجَّهَ إِلَى الْمَلِكِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ . فَرَأَاهُ قَاعِدًا عَلَى
فِرَاشِهِ . فَسَجَدَ بَيْنَ يَدَيْهِ دَاعِيًا لَهُ بِدَوَامِ الْعِزِّ وَالنِّعَمِ . وَقَالَ :
لَا أَحْزَنَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَا الَّذِي أَقْلَقَكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَمَا سَبَبُ

طَلَبَكَ إِيَّايَ بِسُرْعَةٍ : فَأَذِنَ لَهُ الْمَلِكُ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ . وَصَارَ يَقْضِي
عَلَيْهِ مَا رَأَى قَائِلًا : إِنِّي رَأَيْتُ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ مَنَامًا أَهَالَنِي . وَهُوَ كَأَنِّي
أَصْبُ مَاءً فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ وَحَوْلَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ أَشْجَارٌ كَثِيرَةٌ . فَبَيْنَمَا أَنَا
فِي هَذِهِ الْحَالَةِ . وَإِذَا بِنَارٍ خَرَجَتْ مِنْ أَصْلِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَحْرَقَتْ
جَمِيعَ مَا حَوْلَهَا مِنَ الْأَشْجَارِ . فَخَرَعْتُ مِنْ ذَلِكَ وَأَخَذَنِي الرَّعْبُ
فَأَنْتَبَهْتُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَرْسَلْتُ دَعْوَتَكَ لِكَثْرَةِ مَعْرِفَتِكَ وَتَعْبِيرِكَ

لِلرُّؤْيَا . وَلَمَّا أَعْلَمَهُ مِنْ اتِّسَاعِ عَالَمِكَ وَغَزَاةِ قَوْمِكَ

فَأَطْرَقَ شَمْسٌ رَأْسَهُ سَاعَةً ثُمَّ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا رَأَيْتَ
يَا شَمْسُ أَصْدُقَنِي الْخَبَرَ وَلَا تُخَفِ عَنِّي شَيْئًا : فَأَجَابَهُ شَمْسٌ وَقَالَ
لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَوْلَكَ وَأَقَرَّ عَيْنَكَ . وَأَمْرُ هَذِهِ الرُّؤْيَا
يَأْوِلُ إِلَى خَيْرٍ . وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُكَ وَلَدًا ذَكَرًا . يَكُونُ وَارِثًا
لِلْمَلِكِ عَنْكَ مِنْ بَعْدِ طَوِيلِ عُمُرِكَ . غَيْرَ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ لَا أَحِبُّ
تَفْسِيرَهُ فِي هَذَا الْوَقْتِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِتَفْسِيرِهِ : فَقَرَحَ الْمَلِكُ
بِذَلِكَ فَرَحًا عَظِيمًا . وَزَادَ سُرُورَهُ وَذَهَبَ عَنْهُ فَرْعُهُ وَطَابَتْ نَفْسُهُ .
وَقَالَ : إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ مِنْ حُسْنِ تَأْوِيلِ هَذَا الْمَنَامِ . فَكَمِّلْ لِي
تَأْوِيلَهُ إِذَا جَاءَ الْوَقْتُ الْمُوَافِقُ لِكَمَلِ تَأْوِيلِهِ . لِأَجْلِ أَنْ يَكْمَلَ فَرَحِي .
لِأَنِّي لَا أَتَّبِعِي بِذَلِكَ غَيْرَ رِضَى اللَّهِ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى : فَلَمَّا رَأَى شَمْسٌ
مِنَ الْمَلِكِ أَنَّهُ مُصَيِّمٌ عَلَى تَمَامِ تَفْسِيرِهِ . أَخْتَجَّ لَهُ بِحُجَّةٍ دَفَعَ عَنْ نَفْسِهِ .
فَعِنْدَ ذَلِكَ دَعَا الْمَلِكُ بِالْمُنْجِمِينَ وَجَمِيعِ الْمُعْبِرِينَ لِلْأَحْلَامِ الَّذِينَ فِي

مَمْلُوكَتِهِ . فَحَضَرُوا جَمِيعًا بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ الْمَنَامَ . وَقَالَ لَهُمْ :
أُرِيدُ مِنْكُمْ أَنْ تُخْبِرُونِي بِصِحَّةِ تَفْسِيرِهِ : فَتَقَدَّمَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَأَخَذَ
إِذْنًا مِنَ الْمَلِكِ بِالْكَلَامِ . فَلَمَّا أَذِنَ لَهُ قَالَ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ وَزِيرَكَ
شَمَاسًا لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنْ تَفْسِيرِ ذَلِكَ وَإِنَّمَا هُوَ أَحْتَشَمُ مِنْكَ وَسَكَنَ
رَوْعَكَ وَلَمْ يُظْهِرْ لَكَ جَمِيعَ التَّأْوِيلِ بِالْكَلِمَةِ . وَلَكِنْ إِذَا أَذِنْتَ لِي
بِالْكَلَامِ تَكَلَّمْتُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : تَكَلَّمْ أَيُّهَا الْمَفْسِّرُ بِأَلَّا أَحْتَشَمَ
وَأَصْدُقَ فِي كَلَامِكَ : فَقَالَ الْمَفْسِّرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ يُظْهِرُ مِنْكَ
عِلَامٌ يَكُونُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ عَنْكَ بَعْدَ طَوِيلِ حَيَاتِكَ . وَلَكِنَّهُ لَا يَسِيرُ
فِي الرِّعْيَةِ بِسَيْرِكَ بَلْ يُخَالِفُ رُسُومَكَ وَيَجُورُ عَلَى رِعْيَتِكَ وَيُصِيبُهُ
مَا أَصَابَ الْفَارَ مَعَ السِّنُورِ فَاسْتَعَاذَ بِاللَّهِ تَعَالَى . فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا
حِكَايَةُ السِّنُورِ وَالْفَارِ

(حِكَايَةُ السِّنُورِ وَالْفَارِ)

فَقَالَ الْمَفْسِّرُ : أَطَالَ اللَّهُ عَمْرَ الْمَلِكِ . إِنَّ السِّنُورَ وَهُوَ الْقِطْعُ . سَرَحَ
لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي إِلَى شَيْءٍ يَفْتَرِسُهُ فِي بَعْضِ الْغَيْطَانِ . فَمَا وَجَدَ شَيْئًا .
وَضَعُفَ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ الَّذِي صَارَ فِي نَاكِ اللَّيْلَةِ فَأَخَذَ
يَمْتَحِنُ لِنَفْسِهِ بِشَيْءٍ يَفُوزُ بِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ دَائِرٌ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ . إِذْ رَأَى
وَكْرًا فِي أَسْفَلِ شَجَرَةٍ قَدَنَا مِنْهُ وَصَارَ يُشْمِشُ وَيُدْنِدِنُ حَتَّى أَحَسَّ
بِأَنَّ دَاخِلَ الْوَكْرِ قَارًا . فَحَاوَلَهُ وَهَمَّ بِالْدُخُولِ عَلَيْهِ لِكَيْ يَأْخُذَهُ . فَلَمَّا
أَحَسَّ بِهِ الْفَارُ أَعْطَاهُ قَفَاهُ وَصَارَ يَزْحَفُ عَلَى يَدَيْهِ وَرِجَائِيهِ لِكَيْ

يَسُدُّ بَابَ الْوَكْرِ عَلَيْهِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ السَّنُورُ يُصَوِّتُ صَوْتًا ضَعِيفًا
وَيَقُولُ لَهُ : لِمَ تَفْعَلُ ذَلِكَ يَا أَخِي . وَأَنَا مُلْتَجِيٌّ إِلَيْكَ لِتَفْعَلَ مَعِيَ
رَحْمَةً بِأَنْ تُقَرِّنِي فِي وَكْرِكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . لِأَنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ مِنْ كِبَرِ
سِنِّي وَذَهَابِ قُوَّتِي . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى الْحَرَكَةِ . وَقَدْ تَوَعَّاتُ فِي هَذَا
الْخِطِّ هَذِهِ اللَّيْلَةَ . وَكَمْ مَرَّةً دَعَوْتُ بِالْمَوْتِ عَلَى نَفْسِي لِكَيْ أَسْتَرِيحَ
وَهَا أَنَا عَلَى يَابِكَ طَرِيحٌ مِنَ الْبَرْدِ وَالْمَطَرِ . وَأَسْأَلُكَ بِاللَّهِ مِنْ
صَدَقَتِكَ أَنْ تَأْخُذَ بِيَدِي وَتَدْخُلَنِي عِنْدَكَ وَتُوِينِي فِي دِهْلِيزِ وَكْرِكَ .
لِأَنِّي غَرِيبٌ وَمَسْكِينٌ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ آوَى بِمَنْزِلِهِ غَرِيبًا مَسْكِينًا كَانَ
مَأْوَاهُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الدِّينِ فَأَنْتَ يَا أَخِي حَقِيقٌ بِأَنْ تَكْسِبَ أَجْرِي .
وَتَأْذَنَ لِي فِي أَنْ أَبِيتَ عِنْدَكَ هَذِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى الصَّبَاحِ ثُمَّ أَرْوَحُ إِلَى
حَالِ سَبِيلِي : فَلَمَّا سَمِعَ الْفَارُ كَلَامَ السَّنُورِ . قَالَ لَهُ : كَيْفَ تَدْخُلُ
وَكَرِي وَأَنْتَ لِي عَدُوٌّ بِالطَّبَعِ وَمَعَاشُكَ مِنْ لَحْمِي . وَأَخَافُ أَنْ تَعْدُرَ
بِي . لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ شِيْمَتِكَ . لِأَنَّهُ لَا عَهْدَ لَكَ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي
الْأَمَانُ لِلْفَقِيرِ عَلَى الْمَالِ وَلَا لِلنَّارِ عَلَى الْخُطْبِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ عَلَيَّ أَنْ
أَسْتَأْمَنَكَ عَلَى نَفْسِي وَقَدْ قِيلَ : عَدَاوَةُ الطَّبَعِ كُلَّمَا ضَعُفَ صَاحِبُهَا
كَانَتْ أَقْوَى : فَأَجَابَ السَّنُورُ قَائِلًا بِأَخْمَدِ صَوْتٍ وَأَسْوَأِ حَالٍ : إِنَّ
الَّذِي قُلْتَهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ . وَلَسْتُ أَنْكُرُ عَلَيْكَ . وَلَكِنْ أَسْأَلُكَ الصَّفْحَ
عَمَّا مَضَى مِنَ الْعَدَاوَةِ الطَّبِيعِيَّةِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : مَنْ
صَفَحَ عَنْ مَخْلُوقٍ مِثْلَهُ صَفَحَ خَالِقَهُ عَنْهُ . وَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ عَدُوًّا

لَكَ وَهَذَا أَنَا الْيَوْمَ طَائِبٌ صَدَاقَتِكَ . وَقَدْ قِيلَ : إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ
عَدُوُّكَ صَدِيقًا لَكَ فَأَفْعَلْ مَعَهُ خَيْرًا . وَأَنَا يَا أَخِي أُعْطِيكَ عَهْدَ اللَّهِ
وَمِيثَاقَهُ أَنِّي لَا أَضُرُّكَ أَبَدًا . وَمَعَ هَذَا لَيْسَ لِي قُدْرَةٌ عَلَى ذَلِكَ
فَتَقَى بِاللَّهِ وَأَفْعَلْ خَيْرًا . وَأَقْبَلَ عَهْدِي وَمِيثَاقِي : فَقَالَ الْفَارُ : كَيْفَ
أَقْبَلَ عَهْدَ مَنْ تَأَسَّسَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ . وَعَادَاتُهُ أَنْ يَغْدُرَ بِي .
وَلَوْ كَانَتِ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرِ الدَّمِ لَهَانَ عَلَيَّ
ذَلِكَ . وَلَكِنَّهَا عَدَاوَةٌ طَبِيعِيَّةٌ بَيْنَ الْأَرْوَاحِ . وَقَدْ قِيلَ مَنْ أَسْتَأْمَنَ
عَدُوَّهُ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ كَمَنْ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي فَمِ الْأَفْعَى : فَقَالَ السَّنُورُ
وَهُوَ مُمْتَلِئٌ غَيْظًا : قَدْ ضَاقَ صَدْرِي وَضَعُفَتْ نَفْسِي . وَهَذَا أَنَا فِي
النَّزْعِ وَعَنْ قَلِيلٍ أَمُوتُ عَلَى بَابِكَ وَيَبْقَى إِنَّمَا عَلَيْكَ لِأَنَّكَ قَادِرٌ
عَلَى نَجَاتِي مِمَّا أَنَا فِيهِ . وَهَذَا آخِرُ كَلَامِي مَعَكَ : فَحَصَلَ لِلْفَارِ خَوْفٌ
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى . وَنَزَلَتْ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةُ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ أَرَادَ
الْمُعَاوَنَةَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّهِ فَلْيَصْنَعْ مَعَهُ رَحْمَةً وَخَيْرًا . وَأَنَا مُتَوَكِّلٌ
عَلَى اللَّهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَأَنْقُذْ هَذَا السَّنُورَ مِنْ هَذَا الْهَلَاكِ لِأَنْكَسِبَ
أَجْرَهُ : فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجَ الْفَارُ إِلَى السَّنُورِ وَأَدْخَلَهُ فِي وَكْرِهِ سَحَابًا . فَأَقَامَ
عِنْدَهُ إِلَى أَنْ أَشْتَدَّ وَاسْتَرَاخَ وَتَعَفَّى قَلِيلًا . فَصَارَ يَتَأَسَّفُ عَلَى ضَعْفِهِ
رَذَاهَابِ قُوَّتِهِ وَقِلَّةِ أَصْدِقَائِهِ . فَصَارَ الْفَارُ يَتَرَفَّقُ بِهِ وَيَأْخُذُ بِخَطَرِهِ
وَيَتَقَرَّبُ مِنْهُ وَيَسْمَعِي حَوْلَهُ . فَأَمَّا السَّنُورُ فَإِنَّهُ زَحَفَ إِلَى الْوَكْرِ حَتَّى
مَلَكَ الْخُرُوجَ خَوْفًا أَنْ يُخْرِجَ مِنْهُ الْفَارُ . فَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ قَرَّبَ مِنْ

السَّيَّورِ عَلَى عَادَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ قَرِيبًا مِنْهُ قَبَضَ عَلَيْهِ وَأَخَذَهُ بَيْنَ
 أَظْفِيرِهِ وَصَارَ يَعْضُهُ وَيَتَرَهُ وَيَأْخُذُهُ فِي فَمِهِ وَيَرْفَعُهُ عَنِ الْأَرْضِ
 وَيَرْمِيهِ وَيَجْرِي وَرَاءَهُ وَيَنْهَشُهُ وَيَعْدِبُهُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ اسْتَعَاثَ الْقَارُ
 وَطَلَبَ الْخَلَاصَ مِنَ اللَّهِ . وَجَعَلَ يُعَاتِبُ السَّيَّورَ وَيَقُولُ : أَيْنَ الْعَهْدُ
 الَّذِي عَاهَدْتَنِي بِهِ . وَأَيْنَ أَقْسَامُكَ الَّتِي أَقْسَمْتَ بِهَا . أَهَذَا جَزَائِي
 مِنْكَ . وَقَدْ أَذْخَلْتُكَ وَكَرِي وَأَسْتَأْمَنْتُكَ عَلَى نَفْسِي . وَلَكِنْ صَدَقَ
 مَنْ قَالَ : مَنْ أَخَذَ عَهْدًا مِنْ عَدُوِّهِ لَا يَتَّبِعِي لِنَفْسِهِ نَجَاةً . وَمَنْ قَالَ :
 مَنْ سَلَّمَ نَفْسَهُ لِعَدُوِّهِ كَانَ مُسْتَوْجِبًا لِنَفْسِهِ الْهَلَاكَ . وَلَكِنْ تَوَكَّلْتُ
 عَلَى خَالِقِي فَهُوَ الَّذِي يُخَلِّصُنِي مِنْكَ : فَيَنِمَّا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ مَعَ
 السَّيَّورِ وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَهْجُمَ عَلَيْهِ وَيَفْتَرِسَهُ . إِذَا بِرَجُلٍ صَيَّادٍ مَعَهُ كَلَابُ
 جَارِحَةٌ مُعَوَّدَةٌ عَلَى الصَّيْدِ . فَمَرَّ مِنْهَا كَلْبٌ عَلَى بَابِ الْوَكْرِ فَسَمِعَ
 فِيهِ مَعْرَكَةً كَبِيرَةً فَظَنَّ أَنَّ فِيهِ ثَعْلَبًا يَفْتَرِسُ شَيْئًا . فَأَتَدَفَعَ الْكَلْبُ
 مُنْحَدِرًا لِيَصْطَادَهُ فَصَادَفَ السَّيَّورَ فَجَذَبَهُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا وَقَعَ السَّيَّورُ بَيْنَ
 يَدَيِ الْكَلْبِ أَتَهَى بِنَفْسِهِ وَأَطْلَقَ الْقَارَ حَيًّا لَيْسَ فِيهِ جُرْحٌ . وَأَمَّا
 هُوَ فَإِنَّهُ خَرَجَ بِهِ الْكَلْبُ الْجَارِحُ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَصَبَهُ وَرَمَاهُ مَيِّتًا .
 وَصَدَقَ فِي حَقِّهِمَا قَوْلُ مَنْ قَالَ : مَنْ رَحِمَ رَحِمَ آجِلًا . وَمَنْ ظَلَمَ
 ظَلِمَ عَاجِلًا

هَذَا مَا جَرَى لَهَا أَيْهَا الْمَلِكُ . فَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَنْهَضَ
 عَهْدًا مِنْ أَسْتَأْمَنَهُ . وَمَنْ غَدَرَ وَخَانَ يُحْصَلُ لَهُ مِثْلُ مَا حَصَلَ لِلْسَّيَّورِ .

لِأَنَّهُ كَمَا يَدِينُ أُلْفَتِي يُدَانُ وَمَنْ يَرْجِعْ إِلَى الْخَيْرِ يَنْلِ الثَّوَابَ . وَلَكِنْ لَا
تُحْزَنُ أَيْهَا الْمَلِكُ وَلَا يَشُقُّ عَلَيْكَ ذَلِكَ . لِأَنَّ وَلَدَكَ بَعْدَ ظُلْمِهِ وَعَسْفِهِ
وَمَا يَعُودُ إِلَى حُسْنِ سِيرَتِكَ . وَإِنَّ هَذَا الْعَالَمَ الَّذِي هُوَ وَزِيرُكَ
شَّمَسٌ أَحَبُّ أَنْ لَا يَكْتُمَ عَلَيْكَ شَيْئًا فِيمَا رَمَزَهُ إِلَيْكَ . وَذَلِكَ رُشْدٌ مِنْهُ
لِأَنَّهُ قَدْ قِيلَ : أَكْثَرُ النَّاسِ خَوْفًا أَوْسَعُهُمْ عِلْمًا وَأَغْبَطُهُمْ خَيْرًا : فَأَذَعَنَ
الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ لَهُمْ بِإِكْرَامِ جَزِيلٍ . ثُمَّ صَرَفَهُمْ وَقَامَ وَدَخَلَ
مَكَانَهُ وَصَارَ يَتَفَكَّرُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ . وَسَلَّمْ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ الَّذِي فِي يَدِهِ
جَمِيعُ الْأُمُورِ . فَلَمْ يَمُضْ زَمَانٌ كَثِيرٌ إِلَّا أَتَتْهُ الْبُشْرَى بِتَحْقِيقِ أَمَلِهِ
فَقَالَ : صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ : ثُمَّ إِنَّهُ دَعَا بَعْضَ الْعُلَمَاءِ
وَأَرْسَلَهُ لِيُخْبِرَ شَمَسًا . فَلَمَّا حَدَّثَهُ الْمَلِكُ بِمَا صَارَ مِنْ حَمْلِ زَوْجَتِهِ وَهُوَ
فَرِحَانٌ قَائِلًا : قَدْ صَدَقَتْ رُؤْيَايَ وَاتَّصَلَ رَجَائِي فَلَعَلَّ ذَلِكَ الْحَمْلَ
يَكُونُ وَلَدًا ذَكَرًا وَيَكُونُ وَارِثًا لِلْمُلْكِ . فَمَا تَقُولُ يَا شَّمَسُ فِي ذَلِكَ :
فَسَكَتَ شَّمَسٌ وَلَمْ يَنْطِقْ بِجَوَابٍ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا لِي أَرَاكَ لَا تَفْرَحُ
بِفَرَحِي وَلَا تَرُدُّ لِي جَوَابًا . يَا تَرَى هَلْ أَنْتَ كَارِهِ لِهَذَا الْأَمْرِ يَا شَّمَسُ :
فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ شَّمَسٌ بَيْنَ يَدَيِ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَيْهَا الْمَلِكُ أَطَالَ
اللَّهُ عُمْرَكَ . مَا الَّذِي يَنْفَعُ الْمُسْتَظِلَّ بِشَجَرَةٍ إِذَا كَانَتِ النَّارُ تَخْرُجُ
مِنْهَا وَمَا لَذَّةُ شَارِبِ الْخَمْرِ الصَّافِي إِذَا حَصَلَ لَهُ بِهَا الشَّرْقُ . وَمَا
فَائِدَةُ النَّاهِلِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْبَارِدِ إِذَا غَرِقَ فِيهِ . وَإِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ
لِلَّهِ وَلَكَ أَيْهَا الْمَلِكُ . وَلَكِنْ قَدْ قِيلَ : ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ

أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي شَأْنِهَا إِلَّا إِذَا تَمَّتْ : الْمُسَافِرُ حَتَّى يَرْجِعَ مِنْ سَفَرِهِ .
وَالَّذِي فِي الْحَرْبِ حَتَّى يَقْهَرَ عَدُوَّهُ . وَالْمَرْأَةُ الْحَامِلُ حَتَّى تَضَعَ حَمْلَهَا .
فَاعْلَمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِشَأْنِ شَيْءٍ لَمْ يَتِمَّ مِثْلُ النَّاسِكِ
الْمَذْفُوقِ عَلَى رَأْسِهِ السَّمْنُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ حِكَايَةُ النَّاسِكِ
وَمَا جَرَى لَهُ

(حِكَايَةُ النَّاسِكِ وَمَا جَرَى لَهُ)

فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنَّهُ كَانَ نَاسِكٌ عِنْدَ شَرِيفٍ مِنْ أَشْرَافِ
بَعْضِ الْمُدُنِ . وَكَانَ لِلنَّاسِكِ جَرَايَةٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ رِزْقِ ذَلِكَ
الشَّرِيفِ . وَهِيَ : ثَلَاثَةُ أَرْغِفَةٍ مَعَ قَلِيلٍ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ . وَكَانَ
السَّمْنُ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ غَالِيًا . وَكَانَ النَّاسِكُ يَجْمَعُ الَّذِي يَجِيءُ إِلَيْهِ
فِي جَرَّةٍ عِنْدَهُ حَتَّى مَلَأَهَا وَعَلَقَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ خَوْفًا وَاحْتِرَاسًا . فَبَيْنَمَا
هُوَ ذَاتَ لَيْلَةٍ مِنَ اللَّيَالِي جَالِسٌ عَلَى فِرَاشِهِ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ . إِذْ
عَرَضَ لَهُ فِكْرٌ فِي أَمْرِ السَّمْنِ وَغَلَاظِهِ . فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : يَنْبَغِي أَنْ
أَبِيعَ هَذَا السَّمْنَ الَّذِي عِنْدِي جَمِيعَهُ . وَأَشْتَرِيَ بِهِ نَجْمَةً وَأَشَارِكَ عَلَيْهِ
أَحَدًا مِنَ الْفَلَاحِينَ . فَإِنَّهَا فِي أَوَّلِ عَامٍ تَلِدُ ذَكَرًا وَأُنْثَى . وَثَانِي عَامٍ
تَلِدُ أُنْثَى وَذَكَرًا . وَلَا تَرَالُ هَذِهِ الْغَنَمُ تَتَوَالَدُ ذُكُورًا وَإِنَاثًا حَتَّى
تَصِيرَ شَيْئًا كَثِيرًا . وَأَقْسِمُ حِصَّتِي بَعْدَ ذَلِكَ وَأَبِيعُ مَا شِئْتُ .
وَأَشْتَرِيَ الْأَرْضَ الْفُلَانِيَّةَ وَأُنْشِي فِيهَا غَيْطًا وَأَبْنِي فِيهَا قَصْرًا عَظِيمًا
وَأَقْنِي ثِيَابًا وَمَلْبُوسًا . وَأَشْتَرِيَ عَبِيدًا وَجَوَارِي وَأَتَرُوجُ بِنْتَ التَّاجِرِ

أَفْلَانِي وَأَعْمَلُ عُرْسًا مَا صَارَ مِثْلَهُ قَطُّ. وَأَذْبَحُ الذَّبَائِحَ وَأَعْمَلُ
 الْأَطْعِمَةَ الْفَاخِرَةَ وَالْحُلُوبَاتِ الْمَلْبَسَاتِ وَغَيْرَهَا. وَأَجْمَعُ فِيهِ أَهْلَ
 الْمَلَاعِبِ وَأَرْبَابَ الْفُنُونِ وَأَلَاتِ السَّمْعِ وَأَجْهَزُ الْأَزْهَارَ وَالشُّمُومَاتِ
 وَأَصْنَافَ الرِّيَاحِينَ وَأَدْعُو الْأَغْنِيَاءَ وَالْفُقَرَاءَ وَالْعُلَمَاءَ وَالرُّؤَسَاءَ
 وَأَرْبَابَ الدَّوَلَةِ. وَكُلُّ مَنْ طَلَبَ شَيْئًا أَحْضَرْتُهُ إِلَيْهِ. وَأَجْهَزُ أَنْوَاعَ
 الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ. وَأُطْلِقُ مُنَادِيًا يُنَادِي. مَنْ يَطْلُبُ شَيْئًا يَنَالُهُ.
 وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحْمِلُ زَوْجَتِي وَتَلِدُ غُلَامًا ذَكَرًا. فَأَفْرَحُ بِهِ وَأَعْمَلُ لَهُ
 الْوَلَايَةَ وَأَرْبِيهِ فِي الدَّلَالِ. وَأَعْلِمُهُ الْحِكْمَةَ وَالْأَدَبَ وَالْحِسَابَ
 وَأَشْهَرُ اسْمَهُ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَقْتَحِرُ بِهِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْمَجَالِسِ. وَأَمْرُهُ
 بِالْمَعْرُوفِ فَلَا يُخَالِفُنِي وَأَنْتَاهُ عَنِ الْفَاحِشَةِ وَالْمُنْكَرِ. وَأَوْصِيهِ بِالتَّقْوَى
 وَفِعْلِ الْخَيْرِ. وَأُعْطِيهِ الْعَطَايَا الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ. فَإِنْ رَأَيْتُهُ لَزِمَ الطَّلَاعَةَ
 زِدْتُهُ عَطَايَا صَالِحَةً. وَإِنْ رَأَيْتُهُ مَالَ إِلَى الْمَعْصِيَةِ أَنْزَلْتُ عَلَيْهِ بِهَذِهِ
 الْعَصَا وَرَفَعْتُهَا لِيَضْرِبَ بِهَا وَلَدَهُ فَأَصَابَتْ جِرَّةَ السَّمَنِ الَّتِي فَوْقَ رَأْسِهِ
 فَكَسَرَتْهَا. فَعِنْدَ ذَلِكَ نَزَلَتْ بِشَقَافَتِهَا عَلَيْهِ وَسَاحَ السَّمَنِ عَلَى رَأْسِهِ
 وَعَلَى ثِيَابِهِ وَلِحْيَتِهِ وَصَارَ عِبْرَةً. فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أُيِّهَا الْمَلِكُ. لَا يَنْبَغِي
 لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى شَيْءٍ قَبْلَ أَنْ يَصِيرَ

فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: لَقَدْ صَدَقْتَ فِيمَا قُلْتَ. وَنِعْمَ الْوَزِيرُ أَنْتَ.
 لِكُونِكَ بِالصِّدْقِ نَطَقْتَ. وَبِالْخَيْرِ أَشْرْتَ. وَلَقَدْ صَارَتْ رُبَّتُكَ
 عِنْدِي عَلَى مَا تُحِبُّ وَلَمْ تَرَلْ مَقْبُولًا. فَسَجَدُ شَاسًّا لِلَّهِ وَلِلْمَلِكِ وَدَعَا

لَهُ بِدَوَامِ النِّعَمِ وَقَالَ لَهُ: أَدَامَ اللَّهُ أَيَّامَكَ وَأَعْلَى شَأْنَكَ . وَأَعْلَمَ
أَنِّي لَسْتُ أَكْتُمُ عَنْكَ شَيْئًا لَا فِي السِّرِّ وَلَا فِي الْعَلَانِيَةِ وَرِضَاكَ
رِضَايَ وَغَضَبُكَ غَضَبِي وَلَيْسَ لِي فَرْحٌ إِلَّا بِفَرْحِكَ وَلَا يُمْكِنُنِي أَنْ
أَبَيْتَ وَأَنْتَ سَاخِطٌ عَلَيَّ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَزَقَنِي كُلَّ خَيْرٍ بِإِكْرَامِكَ
إِيَّايَ . فَاسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْرُسَكَ بِمَلَائِكَتِهِ . وَيُحَسِّنَ ثَوَابَكَ
عِنْدَ لِقَائِهِ . فَأَتَّبِعَ الْمَلِكُ عِنْدَ ذَلِكَ . ثُمَّ قَامَ شَاسٌ وَأَنْصَرَفَ مِنْ
عِنْدِ الْمَلِكِ .

ثُمَّ بَعْدَ مُدَّةٍ وَضَعَتْ زَوْجَةُ الْمَلِكِ غُلَامًا ذَكَرًا . فَتَهَيَّصَ
الْمُبَشِّرُونَ إِلَى الْمَلِكِ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ قَهْرَحَ بِذَلِكَ فَرَحًا شَدِيدًا .
وَشَكَرَ اللَّهُ شُكْرًا جَزِيلًا وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَزَقَنِي وَلَدًا بَعْدَ
الْيَاسِ وَهُوَ الشَّفُوقُ الرَّؤُوفُ عَلَى عِبَادِهِ : ثُمَّ إِنَّ الْمَلِكَ كَتَبَ إِلَى
سَائِرِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ لِيُعْلِمَهُمْ بِالْخَبَرِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَنْزِلِهِ . فَحَضَرَ لَهُ
الْأُمَرَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَأَرْبَابُ الدَّوْلَةِ الَّذِينَ تَحْتَ أَمْرِهِ . هَذَا
مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْمَلِكِ .

وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ وَلَدِهِ . فَإِنَّهُ قَدْ دَقَّتْ لَهُ الْبَشَائِرُ وَالْأَفْرَاحُ
فِي سَائِرِ الْمَمْلَكَةِ . وَأَقْبَلَ أَهْلُهَا إِلَى الْحُضُورِ مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ .
وَأَقْبَلَ أَهْلُ الْعُلُومِ وَالْفَلَسَفَةِ وَالْأَدَبَاءُ وَالْحُكَمَاءُ وَدَخَلُوا جَمِيعُهُمْ
إِلَى الْمَلِكِ . وَوَصَلَ كُلُّ مِنْهُمْ إِلَى حَدِّ مَقَامِهِ . ثُمَّ أَشَارَ إِلَى الْوُزَرَاءِ
السَّبْعَةِ الْكِبَارِ الَّذِينَ رَئِيسُهُمْ شَاسٌ أَنْ يَتَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى

قَدَرِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْحِكْمَةِ فِي شَأْنِ مَا هُوَ بِصَدَدِهِ . فَأَبْتَدَأَ رِئِيسُهُمُ
الْوَزِيرُ شَمَّاسٌ . وَاسْتَأْذَنَ الْمَلِكَ فِي الْكَلَامِ . فَأَذِنَ لَهُ

فَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنشَأَنَا مِنَ الْعَدَمِ إِلَى الْوُجُودِ الْمُنْعَمِ
عَلَى عِبَادِهِ الْمُلُوكِ أَهْلَ الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنَ الْمَلِكِ
وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ . وَبِمَا أَجْرَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ لِرِعِيَّتِهِمْ مِنَ الرِّزْقِ وَخُصُوصًا
مَلِكِنَا الَّذِي أَحْيَا بِهِ مَوَاتَ بِلَادِنَا بِمَا أَسَدَاهُ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنَ النِّعَمِ .
وَرَزَقَنَا مِنْ سَلَامَتِهِ بِرِخَاءِ الْعَيْشِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَالْعَدْلِ . فَأَيُّ مَلِكٍ
يَصْنَعُ بِأَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ بِنَا مِنَ الْقِيَامِ بِمَصَالِحِنَا وَأَدَاءِ
حُقُوقِنَا وَإِنْصَافِ بَعْضِنَا مِنْ بَعْضٍ وَقَاةِ الْغَفْلَةِ عَنَّا وَرَدِّ مَظَالِمِنَا . وَمِنْ
فَضْلِ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَكُونَ مَا كُنْهُمْ مُتَعَبِّدًا لِأُمُورِهِمْ . وَحَافِظًا
لَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ لِأَنَّ الْعَدُوَّ غَايَةُ قَصْدِهِ أَنْ يَقْتُلَ عَدُوَّهُ وَأَنْ
يَمْلِكَهُ فِي يَدِهِ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُقَدِّمُونَ أَوْلَادَهُمْ إِلَى الْمُلُوكِ
خَدَمًا فَيَصِيرُونَ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ . لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُمْ الْأَعْدَاءَ
وَأَمَّا نَحْنُ فَلَمْ يَطَأْ بِلَادُنَا أَعْدَاءٌ فِي زَمَنِ مَلِكِنَا . لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْكُبْرَى
وَالسَّعَادَةِ الْعَظْمَى الَّتِي لَمْ يَقْدِرِ الْوَاصِفُونَ عَلَى وَصْفِهَا وَإِنَّمَا هِيَ فَوْقَ
ذَلِكَ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ حَقِيقٌ بِأَنَّكَ أَهْلٌ لِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ
وَنَحْنُ تَحْتَ كَنَفِكَ وَفِي ظِلِّ جَنَاحِكَ أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَأَدَامَ
بَقَاءَكَ . لِأَنَّنَا كُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ نَسْتَعِذُّ فِي الطَّلَبِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَمُنَّ
عَلَيْنَا بِالْإِجَابَةِ وَيُقِيكَ لَنَا وَيُعْطِيكَ وَلَدًا صَالِحًا تَقَرُّ بِهِ عَيْنَاكَ وَاللَّهُ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ تَقَبَّلَ مِنَّا وَاسْتَجَابَ دُعَاءَنَا وَأَتَانَا بِالْفَرَجِ الْقَرِيبِ
مِثْلَمَا أَتَى لِبَعْضِ السَّمَكِ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ
السَّمَكِ وَكَيْفَ ذَلِكَ

(حِكَايَةُ السَّمَكِ وَمَا جَرَى لَهُ)

فَقَالَ شَمَّاسٌ : أَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ
غَدِيرُ مَاءٍ . وَكَانَ فِيهِ بَعْضُ سَمَكَاتٍ . فَعَرَضَ لِذَلِكَ الْغَدِيرِ أَنَّهُ قَلَّ
مَآوُهُ . وَصَارَ يَنْضَمُّ بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَاءِ مَا يَسَعُهَا
فَكَادَتْ أَنْ تَهْلِكَ . وَقَالَتْ : مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ مِنْ أَمْرِنَا . وَكَيْفَ
تَحْتَالُ وَمَنْ تَسْتَشِيرُهُ فِي نَجَاتِنَا : فَقَامَتْ سَمَكَةٌ مِنْهُنَّ وَكَانَتْ أَكْبَرَهُنَّ
عَقْلًا وَسِنًّا وَقَالَتْ : مَا لَنَا حِيلَةٌ فِي خَلَاصِنَا إِلَّا الْطَّلَبُ مِنَ اللَّهِ .
وَلَكِنْ نَلْتَمِسُ الرَّأْيَ مِنَ السَّرَطَانِ فَإِنَّهُ أَكْبَرُنَا فَهَأَمْنُ بِنَا إِلَيْهِ لِنَنْظُرَ
مَا يَكُونُ مِنْ رَأْيِهِ لِأَنَّهُ أَكْثَرُ مِنَّا مَعْرِفَةً بِحَقَائِقِ الْكَلَامِ . فَاسْتَحْسَنَ
رَأْيَهَا وَجِئْنَ بِأَجْمَعِهِنَّ إِلَى السَّرَطَانِ . فَوَجَدَنَّهُ زَائِدًا فِي مَوْضِعِهِ .
وَلَيْسَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَلَا خَبْرٌ مِمَّا هُنَّ فِيهِ . فَسَلَّمْنَ عَلَيْهِ وَقُلْنَ لَهُ :
يَا سَيِّدَنَا . أَمَا يَعْنِيكَ أَمْرُنَا . وَأَنْتَ حَاكِمُنَا وَرَبِّيسُنَا . فَأَجَابَهُنَّ
السَّرَطَانُ قَائِلًا : وَعَلَيْكُنَّ السَّلَامُ . مَا الَّذِي يَكُنُّ . وَمَا تُرْذَن .
فَقَصَصْنَ عَلَيْهِ قِصَّتَهُنَّ وَمَا دَهَاهُنَّ مِنْ أَمْرِ نَقْصِ الْمَاءِ وَأَنَّهُ مَتَى
نَشَفَ حَصَلَ لَهُنَّ الْهَلَاكُ . ثُمَّ قُلْنَ لَهُ : وَقَدْ جِئْنَاكَ مُنْتَظِرَاتٍ رَأْيَكَ
وَمَا يَكُونُ فِيهِ النِّجَاءُ . لِأَنَّكَ كَبِيرُنَا وَأَعْرَفُنَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَطْرَقَ

رَأْسُهُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ : لَا شَكَّ أَنَّ عِنْدَكَ نَقْصَ عَقْلِ لِيَأْسِكُنَّ مِنْ
رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَكَفَالَتِهِ بِأَرْزَاقِ خَلَائِقِهِ جَمِيعًا . أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى سُبْحَانَهُ يَرْزُقُ عِبَادَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وَقَدَّرَ أَرْزَاقَهُمْ قَبْلَ أَنْ
يَخْلُقَ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ . وَجَعَلَ لِكُلِّ شَخْصٍ عُمْرًا مُخَدُّودًا وَرِزْقًا
مَقْسُومًا بِقُدْرَتِهِ الْإِلَهِيَّةِ . فَكَيْفَ نَحْمِلُ هُمْ شَيْءَ هُوَ فِي الْغَيْبِ
مَسْطُورٌ . وَالرَّأْيُ عِنْدِي أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحْسَنَ مِنَ الطَّلَبِ مِنَ
اللَّهِ تَعَالَى . فَيَنْبَغِي أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا يُصَلِّحُ سِرِّيَّتَهُ مَعَ رَبِّهِ فِي سِرِّهِ
وَعَلَانِيَتِهِ . وَيَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُخَلِّصَنَا وَيَنْقُذَنَا مِنَ الشَّدَائِدِ . لِأَنَّ اللَّهَ
تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ رَجَاءَ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ وَلَا يَرُدُّ طَلَبَ مَنْ تَوَسَّلَ
إِلَيْهِ . فَإِذَا أَصْلَحْنَا أَحْوَالَنَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُنَا وَحَصَلَ لَنَا كُلُّ خَيْرٍ
وَنِعْمَةٍ . وَإِذَا جَاءَ الشِّتَاءُ وَغَمَرَتْ أَرْضُنَا بِدُعَاءِ صَالِحِنَا فَلَا يَهْدِمُ الْخَيْرُ
الَّذِي بَنَاهُ . فَالرَّأْيُ أَنْ نَصْبِرَ وَنَنْتَظِرَ مَا يَفْعَلُهُ اللَّهُ بِنَا . فَإِنْ كَانَ
يُحْصِلُ لَنَا مَوْتَ عَلَى الْعَادَةِ اسْتَرْحَمْنَا . وَإِنْ كَانَ يُحْصِلُ لَنَا مَا يُوجِبُ
الْهَرَبَ هَرَبْنَا وَرَحَلْنَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى حَيْثُ يُرِيدُ اللَّهُ . فَأَجَابَ السَّمَكُ
جَمِيعَهُ مِنْ قَمٍ وَوَاحِدٍ : صَدَقْتَ يَا سَيِّدَنَا . جَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا . وَتَوَجَّهَ
كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى مَوْضِعِهِ . فَمَا مَضَى إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَأَتَاهُنَّ اللَّهُ
بِعَظَرٍ شَدِيدٍ حَتَّى مَلَأَ مَحَلَّ الْغَدِيرِ زِيَادَةً عَمَّا كَانَ أَوَّلًا
وَهَكَذَا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا يَائِسِينَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ وَلَدٌ .
وَحَيْثُ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ بِهَذَا الْوَلَدِ الْمُبَارَكِ . فَسَأَلَ اللَّهُ تَعَالَى

أَنْ يَجْعَلَهُ وَلَدًا مُبَارَكًا. وَأَنْ يُقَرَّ بِهِ عَيْنَكَ وَيَجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً.
وَيَرْزُقَنَا مِنْهُ مَا رَزَقْنَا مِنْكَ. فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُخَيِّبُ مَنْ قَصَدَهُ.
وَلَا يَتَّبِعِي لِأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّانِي وَسَلَّمَ عَلَى الْمَلِكِ. فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ قَائِلًا :
وَعَلَيْكَ السَّلَامُ : فَقَالَ ذَلِكَ الْوَزِيرُ : إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُسَمَّى مَلِكًا إِلَّا
إِذَا أُعْطِيَ وَعَدَلْ . وَحَكَمَ وَآكْرَمَ وَأَحْسَنَ سِيرَتَهُ مَعَ رَعِيَّتِهِ بِإِقَامَةِ
الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْمَأْلُوفَةِ بَيْنَ النَّاسِ . وَأَنْصَفَ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ
وَحَقَّنَ دِمَاءَهُمْ وَكَفَّ الْأَذَى عَنْهُمْ وَيَكُونُ مَوْصُوفًا بِعَدَمِ الْغَفْلَةِ
عَنْ فَقَرَائِهِمْ وَإِسْعَافِ أَعْلَاهُمْ وَأَذْنَاهُمْ وَإِعْطَائِهِمْ الْحَقَّ الْوَاجِبَ
لَهُمْ حَتَّى يَصِيرُوا جَمِيعًا دَاعِينَ لَهُ مُتَمَثِّلِينَ لِأَمْرِهِ . لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ
الْمَلِكَ الَّذِي بِهِذِهِ الصِّفَةِ مُحَبُّوبٌ عِنْدَ الرِّعْيَةِ مُكْتَسِبًا مِنَ الدُّنْيَا عِلَاقَاتُهَا
وَمِنْ الْآخِرَةِ شَرْفَهَا وَرِضَى خَالِقِهَا . وَنَحْنُ مَعَاشِرَ الْعَبِيدِ مُعْتَرِفُونَ
لَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَنْ جَمِيعَ مَا وَصَفْنَاهُ عِنْدَكَ . كَمَا قِيلَ : خَيْرُ الْأُمُورِ أَنْ
يَكُونَ مَلِكُ الرِّعْيَةِ عَادِلًا . وَحَكِيمًا مَاهِرًا . وَعَالِمًا خَبِيرًا عَامِلًا بِعِلْمِهِ .
وَنَحْنُ الْآنَ مُتَنَعِمُونَ بِهِذِهِ السَّعَادَةِ . وَكُنَّا قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ وَقَعْنَا فِي
الْيَأْسِ مِنْ حُصُولِ وَلَدٍ لَكَ يَرِثُ مُلْكَكَ . وَلَكِنَّ اللَّهَ جَلَّ أَسْمُهُ لَمْ
يُخَيِّبْ رَجَاءَكَ وَقَبِلَ دُعَاكَ لِحَسَنِ ظَنِّكَ بِهِ وَتَسْلِيمِ أَمْرِكَ إِلَيْهِ .
فَنِعْمَ الرِّجَاءُ رَجَاؤُكَ . وَقَدْ صَارَ فِيكَ مَا صَارَ لِلْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ : فَقَالَ
الْمَلِكُ : كَيْفَ ذَلِكَ وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ وَالْحَيَّةِ

(حكاية الغراب والحية)

فَقَالَ الْوَزِيرُ: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ غُرَابٌ سَاكِنًا فِي شَجَرَةٍ
هُوَ وَزَوْجَتُهُ فِي أَرْغَدٍ عَيْشٍ إِلَى أَنْ بَلَغَا زَمَانَ تَفْرِيحِهِمَا . وَكَانَ زَمَنُ
الْقَيْظِ . فَخَرَجَتْ حَيَّةٌ مِنْ وَكْرِهَا . وَقَصَدَتْ تِلْكَ الشَّجَرَةَ فَتَعَلَّقَتْ
بِفُرُوعِهَا إِلَى أَنْ صَعِدَتْ إِلَى عُشِّ الْغُرَابِ وَدَبَّضَتْ فِيهِ . وَمَكَثَتْ
مُدَّةَ أَيَّامٍ الصَّيْفِ . وَصَارَ الْغُرَابُ مَطْرُودًا لَا يَجِدُ لَهُ فُرْصَةً وَلَا مَوْضِعًا
يَرْقُدُ فِيهِ . فَلَمَّا انْقَضَتْ أَيَّامُ الْحَرِّ ذَهَبَتِ الْحَيَّةُ إِلَى مَوْضِعِهَا . فَقَالَ
الْغُرَابُ لِزَوْجَتِهِ: نَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي نَجَّانَا وَخَلَّصَنَا مِنْ هَذِهِ
الْآفَةِ وَلَوْ كُنَّا حَرِمْنَا مِنَ الزَّادِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا
يَقْطَعُ رَجَاءَنَا . فَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَّ عَلَيْنَا مِنَ السَّلَامَةِ وَصِحَّةِ أَبْدَانِنَا .
وَلَيْسَ لَنَا أَتَكَالُ إِلَّا عَلَيْهِ . وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ وَعِشْنَا إِلَى الْعَامِ الْقَابِلِ
عَوِضَ اللَّهِ عَلَيْنَا نِتَاجَنَا . فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ تَفْرِيحِهِمَا خَرَجَتْ الْحَيَّةُ مِنْ
مَوْضِعِهَا وَقَصَدَتْ الشَّجَرَةَ . فَبَيْنَمَا هِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِبَعْضِ أَغْصَانِهَا . وَهِيَ
قَاصِدَةٌ عُشَّ الْغُرَابِ عَلَى الْعَادَةِ . وَإِذَا بِجِدَاةٍ قَدْ انْقَضَتْ عَلَيْهَا
وَضَرَبَتْهَا فِي رَأْسِهَا فَخَدَشَتْهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ سَقَطَتِ الْحَيَّةُ عَلَى الْأَرْضِ
مَغْشِيًا عَلَيْهَا . وَطَلَعَ عَلَيْهَا الْبَلُّ فَأَكَّاهَا . وَصَارَ الْغُرَابُ مَعَ زَوْجَتِهِ
فِي سَلَامَةٍ وَطُمَأْنِينَةٍ . وَفَرَّخَا أَوْلَادًا كَثِيرَةً وَشَكَرَا اللَّهَ عَلَى سَلَامَتِهِمَا
وَعَلَى حُصُولِ الْأَوْلَادِ . وَنَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ: يَجِبُ عَلَيْنَا شُكْرُهُ عَلَى مَا
أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ وَعَالَيْنَا بِهَذَا الْمَوْلُودِ الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ . بَعْدَ

أَلْيَاسَ وَقَطَعَ الرَّجَاءَ . أَحْسَنَ اللَّهُ ثَوَابَكَ وَعَاقِبَةَ أَمْرِكَ
ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الثَّالِثُ وَقَالَ : أَبَشِّرْ أَيُّهَا الْمَلِكُ الْعَادِلُ بِالْخَيْرِ
الْعَاجِلِ وَالثَّوَابِ الْآجِلِ . لِأَنَّ كُلَّ مَنْ تُحِبُّهُ أَهْلُ الْأَرْضِ تُحِبُّهُ أَهْلُ
السَّمَاءِ . وَاللَّهُ تَعَالَى قَسَمَ لَكَ الْمَحَبَّةَ . وَجَعَلَهَا فِي قُلُوبِ أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ .
فَلَهُ الشُّكْرُ وَلَهُ الْحَمْدُ مِنَّا وَمِنْكَ لِكَيْ يَزِيدَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَالِمِنَا بِكَ .
وَأَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْتَطِيعُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى .
وَأَنَّهُ هُوَ الْمُعْطَى . وَأَنَّ كُلَّ خَيْرٍ عِنْدَ شَخْصٍ إِلَيْهِ يَنْتَهِي . قَسَمَ النِّعَمَ
عَلَى عِبِيدِهِ كَمَا يُحِبُّ فَمِنْهُمْ مَنْ أَعْطَاهُ مَوَاهِبَ كَثِيرَةً . وَمِنْهُمْ مَنْ
شَغَلَهُ بِتَحْصِيلِ الْقُوَّةِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ رَئِيسًا . وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَهُ
زَاهِدًا فِي الدُّنْيَا . رَاغِبًا إِلَيْهِ . لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ : أَنَا الضَّارُّ النَّافِعُ .
أَشْفِي وَأَمْرِيضُ . وَأَغْنِي وَأَفْقِرُ . وَأُمِيتُ وَأُحْيِي . وَبِيَدِي كُلُّ شَيْءٍ
وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ . فَوَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ شُكْرُهُ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مِنْ
السُّعَدَاءِ الْأَبْرَارِ . كَمَا قِيلَ : إِنْ أَسْعَدَ الْأَبْرَارُ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ بَيْنَ
خَيْرِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَيَقْنَعُ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ وَيَشْكُرُهُ عَلَى مَا أَقَامَهُ .
وَمَنْ تَعَدَّى وَطَآبَ غَيْرِ مَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُ وَعَلَيْهِ يُشَبِّهُ جِمَارَ الْوَحْشِ
وَالثَّعْلَبِ : قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حَدِيثُهُمَا

(حِكَايَةُ جِمَارِ الْوَحْشِ وَالثَّعْلَبِ)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّ ثَعْلَبًا كَانَ يَخْرُجُ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ
وَطْنِهِ وَيَسْعَى عَلَى رِزْقِهِ . فَبَيْنَمَا هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ :

وإذا بالنهار قد انقضى . وقصد الرجوع . فاجتمع على ثعلب رآه
 ماشيا . وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكايته مع ما اقترسه . فقال
 أحدهما : إني بالأمس وقعت في حمار وحش وكنت جائعا . وكان
 لي ثلاثة أيام ما أكلت . ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي
 سخره لي . ثم إني عمدت إلى قلبه فأكأته وشعبت . ثم رجعت إلى
 وطني ومضى على ثلاثة أيام لم أجد شيئا أكاه ومع ذلك أنا شعبان
 إلى الآن . فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبيهه . وقال في
 نفسه : لا بد لي من أكل قلب حمار الوحش . فترك الأكل أياما
 حتى أنهزل وأشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده ورَبَضَ في
 وطنه . فيئنا هو في وطنه ذات يوم من الأيام وإذا بصيادين
 ماشيين قاصدين الصيد فوقع لهما حمار وحش . فأقاما النهار كله في
 أثره طردا . ثم إن بعضهما رماه بسهم مشعب فأصابه ودخل جوفه
 واتصل بقلبه فقتله قتالة وكر الثعلب المذكور . فأذركه الصيادان
 فراجداه ميتا . فأخرجا السهم الذي أصابه في قلبه . فلم يخرج إلا
 العود . وبقي السهم مشعبا في بطن حمار الوحش فلما كان المساء
 خرج الثعلب من وطنه وهو يتصجر من الضعف والجوع فرأى
 حمار الوحش على باب طريقا . ففرح فرحا شديدا حتى كاد أن
 يطير من الفرح . فقال الحمد لله الذي يسر لي شهوتي من غير تعب
 لاني كنت لا أمل أني أصيب بحمار وحش ولا غيره . ولعل الله

أَوْقَعَ هَذَا وَسَاقَهُ إِلَيَّ فِي مَوْضِعِي : ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَشَقَّ بَطْنَهُ وَأَدْخَلَ
رَأْسَهُ . وَصَارَ يَجُولُ بِفَمِهِ فِي أَمْعَائِهِ إِلَى أَنْ وَجَدَ الْقَلْبَ فَأَتَقَمَّهُ
بِفَمِهِ وَأَبْتَلَعَهُ . فَلَمَّا صَارَ دَاخِلَ حَلْقِهِ أَشْتَبَكَ شُعْبُ السَّهْمِ فِي عَظْمِ
رَقَبَتِهِ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِدْخَالِهِ فِي بَطْنِهِ وَلَا عَلَى إِخْرَاجِهِ مِنْ حَلْقِهِ
وَأَيْقَنَ بِالْهَلَاكِ . وَقَالَ حَتَّى لَا يَنْبَغِي لِخَلْقٍ أَنْ يَطْلُبَ لِنَفْسِهِ فَوْقَ
مَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ . لِأَنِّي لَوْ قَسَمْتُ بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لِي لَمَا صِرْتُ إِلَى
الْهَلَاكِ

فَلِهَذَا أَيُّهَا الْمَلِكُ . يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَرْضَى بِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ
وَيَشْكُرَ نِعْمَهُ عَلَيْهِ وَلَا يَشْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْ مَوْلَاهُ . وَهَذَا أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ
بِحُسْنِ نِيَّتِكَ وَإِسْدَاءِ مَعْرُوفِكَ رَزَقَكَ اللَّهُ وَلَدًا بَعْدَ الْيَأْسِ . فَتَسْأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَرْزُقَهُ عُمُرًا طَوِيلًا وَسَعَادَةً دَائِمَةً . وَيَجْعَلَهُ خَافًا مُبَارَكًا
مُوفِيًا بِعَهْدِكَ مِنْ بَعْدِكَ بَعْدَ طَوْلِ عُمُرِكَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الرَّابِعُ وَقَالَ : إِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ فِيهِمَا عَالِمًا
بِأَبْوَابِ الْحِكْمَةِ وَالْأَحْكَامِ وَالسِّيَاسَةِ . مَعَ صَلَاحِ النِّيَّةِ وَالْعَدْلِ فِي
الرَّعِيَّةِ وَإِكْرَامِ مَنْ يَجِبُ إِكْرَامُهُ . وَتَوْقِيرِ مَنْ يَجِبُ تَوْقِيرُهُ . وَالْعَفْوِ
عِنْدَ الْقُدْرَةِ فِيمَا لَا بُدَّ مِنْهُ . وَرِعَايَةِ الرُّؤَسَاءِ وَالْمُرُؤَسِينَ . وَالتَّخْفِيفِ
عَنْهُمْ وَالْإِنْعَامِ عَلَيْهِمْ . وَصَوْنِ دِمَائِهِمْ وَالْوَفَاءَ بِعَهْدِهِمْ . كَانَ حَقِيقًا
بِالسَّعَادَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْآخِرَوِيَّةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُعِيذُهُ مِنْهُمْ وَيُعِينُهُ
عَلَى ثَبَاتِ مُلْكِهِ . وَنُصْرَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَبُلُوغِ مَأْمُورِهِ مَعَ زِيَادَةِ نِعْمَةٍ

اللَّهُ عَلَيْهِ وَتَوْفِيقِهِ لِشُكْرِهِ وَالْفُوزِ بِعَنَائَتِهِ . وَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا كَانَ
بِخِلَافِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ فِي مَصَائِبَ وَبَلَايَا هُوَ وَأَهْلُ مَمْلَكَتِهِ .
لِيَكُونَ جَوْرُهُ عَلَى الْغَرِيبِ وَالْقَرِيبِ . وَيَصِيرُ فِيهِ مَا صَارَ لِابْنِ الْمَلِكِ
السَّائِحِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَكَيْفَ كَانَ ذَلِكَ

(حكاية ابن الملك السائح)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّهُ كَانَ فِي بِلَادِ الْغَرْبِ مَلِكٌ
جَائِرٌ فِي حُكْمِهِ ظَالِمٌ غَاشِمٌ غَاشِفٌ مُضِيعٌ لِرِعَايَةِ رِعْيَتِهِ وَجَمِيعٍ مَنْ
يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ فَكَانَ لَا يَدْخُلُ فِي مَمْلَكَتِهِ أَحَدٌ إِلَّا وَتَأْخُذُ عَمَالُهُ
مِنْهُ أَرْبَعَةَ أَخْمَاسِ مَالِهِ وَيُبْقُونَ لَهُ الْخُمْسَ لَا غَيْرَ . فَقَدَّرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ
كَانَ لَهُ وَلَدٌ سَعِيدٌ مُوَفَّقٌ . فَلَمَّا رَأَى أَحْوَالَ الدُّنْيَا غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ تَرَكَهَا
وَخَرَجَ سَائِحًا عَابِدًا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ صِغَرِهِ وَرَفَضَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَخَرَجَ
فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى يَسْرَحُ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ وَيَدْخُلُ الْمُدُنَ . فَبَقِيَ
بَعْضُ الْأَيَّامِ دَخَلَ تِلْكَ الْمَدِينَةَ . فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى الْمُحَافِظِينَ أَخَذُوهُ
وَفَتَّشُوهُ فَلَمْ يَرَوْا مَعَهُ شَيْئًا سِوَى ثَوْبَيْنِ أَحَدُهُمَا جَدِيدٌ وَالْآخَرُ عَتِيقٌ .
فَنَزَعُوا مِنْهُ الْجَدِيدَ وَتَرَكُوا لَهُ الْعَتِيقَ بَعْدَ الْإِهَانَةِ وَالْتِحْقِيرِ . فَصَارَ هُوَ
يَشْكُو وَيَقُولُ : وَيَحْكُمُ أَيُّهَا الظَّالِمُونَ . أَنَا رَجُلٌ فَقِيرٌ وَسَائِحٌ وَمَا عَسَى
أَنْ يَنْفَعَكُمْ مِنْ هَذَا الثَّوْبِ . وَإِذَا لَمْ تُعْطُوهُ لِي ذَهَبْتُ لِلْمَلِكِ وَشَكَّوْتُكُمْ
إِلَيْهِ : فَأَجَابُوهُ قَائِلِينَ : إِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِأَمْرِ الْمَلِكِ . فَمَا بَدَا لَكَ أَنْ
تَفْعَلَهُ فَأَفْعَلَهُ : فَصَارَ السَّائِحُ يَمْشِي إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى بَلَاطِ الْمَلِكِ وَأَرَادَ

الدُّخُولَ فَمَنْعَهُ الْحُجَّابُ فَرَجَعَ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا لِي إِلَّا أَنِّي أَرُصُّهُ
 حَتَّى يَخْرُجَ وَأَشْكُو إِلَيْهِ حَالِي وَمَا أَصَابَنِي : فَبَيْنَمَا هُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ
 يَنْتَظِرُ خُرُوجَ الْمَلِكِ . إِذْ سَمِعَ أَحَدَ الْأَجْنَادِ يُخْبِرُ عَنْهُ . فَأَخَذَ يَتَقَدَّمُ
 قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى وَقَفَ قُبَالَةَ الْبَابِ . فَمَا شَعَرَ إِلَّا وَالْمَلِكُ خَارِجٌ فَعَارَضَهُ
 السَّائِحُ وَدَعَا لَهُ بِالنَّصْرِ . وَأَخْبَرَهُ بِمَا وَقَعَ لَهُ مِنْ أَمْحَافِظِينَ وَشُكَا إِلَيْهِ
 حَالِهِ . وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اللَّهِ رَفُضَ الدُّنْيَا وَخَرَجَ طَالِبًا
 رِضَى اللَّهِ تَعَالَى فَصَارَ سَائِحًا فِي الْأَرْضِ . وَكُلُّ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ مِنْ
 النَّاسِ أَحْسَنَ إِلَيْهِ بِمَا أَمْكَنَهُ . وَصَارَ يَدْخُلُ كُلَّ مَدِينَةٍ وَكُلِّ قَرْيَةٍ
 وَهُوَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ . ثُمَّ قَالَ : فَلَمَّا دَخَلْتُ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تَرَجَّيْتُ أَنْ
 يَفْعَلَ بِي أَهْلُهَا مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بغيرِي مِنَ السَّائِحِينَ . فَعَارَضَنِي
 أَتْبَاعُكَ وَزَعَوْا أَحَدَ اثْوَابِي وَالْهَفُوفِي ضَرْبًا . فَأَنْظُرُ فِي شَأْنِي وَخُذْ
 بِيَدِي وَخَلِّصْ لِي تَوْبِي . وَأَنَا لَا أُقِيمُ بِهِذِهِ الْمَدِينَةِ سَاعَةً وَاحِدَةً :
 فَأَجَابَهُ الْمَلِكُ الظَّالِمُ قَائِلًا : مَنْ أَشَارَ عَلَيْكَ بِدُخُولِكَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ .
 وَأَنْتَ غَيْرُ عَالِمٍ بِمَا يَفْعَلُ مَلِكُهَا : فَقَالَ : بَعْدَ أَنْ آخُذَ تَوْبِي أَفْعَلُ
 فِي مُرَادِكَ

فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ الظَّالِمُ مِنَ السَّائِحِ هَذَا الْكَلَامَ . حَصَلَ عِنْدَهُ
 تَغْيِيرُ مِرَاجٍ . فَقَالَ : أَيُّهَا الْجَاهِلُ زَعْنَا عَنْكَ تَوْبُكَ لِكَيْ تَذِلَّ وَحَيْثُ
 وَقَعَ مِنْكَ مِثْلُ هَذَا الصِّبَاحِ عِنْدِي . فَأَنَا أَنْزِعُ نَفْسَكَ مِنْكَ : ثُمَّ أَمَرَ
 بِسُجْنِهِ . فَلَمَّا دَخَلَ السِّجْنَ جَعَلَ يَنْدِمُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ مِنْ الْجَوَابِ

وَعَنَفَ نَفْسَهُ حَيْثُ لَمْ تَتْرُكْ ذَلِكَ وَيَفُوزَ بِرُوحِهِ . فَلَمَّا كَانَ نِصْفُ
 اللَّيْلِ قَامَ عَلَى قَدَمَيْهِ وَصَلَّى صَلَاةَ مُطَوَّلَةٍ . وَقَالَ : يَا اللَّهُ . إِنَّكَ
 أَنْتَ الْحَكَمُ الْعَدْلُ . تَعْلَمُ بِحَالِي وَمَا أُنْطَوِي عَلَيْهِ أَمْرِي . مَعَ هَذَا
 الْمَلِكِ الْجَائِرِ . وَأَنَا عَبْدُكَ الْمَظْلُومُ أَسْأَلُكَ مِنْ فَيْضِ رَحْمَتِكَ أَنْ
 تَنْقُذَنِي مِنْ يَدِ هَذَا الْمَلِكِ الظَّالِمِ وَتُحِلَّ بِهِ نَقْمَتَكَ لِأَنَّكَ لَا تَغْفُلُ
 عَنْ ظُلْمِ كُلِّ ظَالِمٍ . فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ ظَلَمَنِي فَأَحِلْ نَقْمَتَكَ
 عَلَيْهِ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَنْزِلْ بِهِ عَذَابَكَ لِأَنَّ حُكْمَكَ عَدْلٌ وَأَنْتَ غِيَاثُ
 كُلِّ مَلْهُوفٍ (١) . يَا مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ وَالْعِظَمَةُ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ : فَلَمَّا
 سَمِعَ السَّجَّانُ دُعَاءَ هَذَا الْمُسْكِينِ صَارَ جَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الْأَعْضَاءِ
 مَرْعُوبًا . فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ وَإِذَا بِنَارٍ اتَّقَدَتْ فِي الْقَصْرِ الَّذِي فِيهِ
 الْمَلِكُ . وَأَحْرَقَتْ جَمِيعَ مَا فِيهِ حَتَّى بَابَ السَّجْنِ وَلَمْ يَخْلُصْ سِوَى
 السَّجَّانِ وَالسَّائِحِ فَأَنْطَلَقَ السَّائِحُ وَسَارَ هُوَ وَالسَّجَّانُ . وَلَمْ يَزَالَا
 سَارِعَيْنِ حَتَّى وَصَلَا إِلَى غَيْرِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ . وَأَمَّا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الظَّالِمِ
 فَإِنَّهَا أُحْرِقَتْ عَنْ آخِرِهَا بِسَبَبِ جَوْرِ مَلِكِهَا . وَأَمَّا نَحْنُ أَيُّهَا الْمَلِكُ
 السَّعِيدُ . فَمَا نُسِي وَنُصْبِحُ إِلَّا وَنَحْنُ دَاعُونَ وَشَاكِرُونَ لِلَّهِ تَعَالَى

(١) هذه طلبة مظلوم لم يستدر بنور تعليم المسيح الغافر لاعدائه . فمن آمن بهذه الحكمة
 الالهية والجودة الازلية هذا حذوه تعالى محضاً السوء غافراً لمن اساء اليه مستسديراً بموجب
 كلام الرب : القائل : احبوا اعداءكم واحسنوا الى من يبغضكم وصلوا على من يطردكم ويظلمكم
 لكيما تكونوا بني ابيكم الذي في السموات الذي يشرق شمسهُ على الاخيار والاشرار ويعطر
 على الصديقين والظالمين (متى : ٥ : ٤٤ و ٤٥)

عَلَى فَضْلِهِ بِوُجُودِكَ مُطْمَئِنِّينَ بِعَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ . وَكَانَ عِنْدَنَا
 غَمٌّ كَثِيرٌ لِعَدَمِ وَلَدِكَ يَرِثُ مُلْكَكَ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَصِيرَ عَلَيْنَا
 مَلِكٌ غَيْرُكَ مِنْ بَعْدِكَ . وَالْآنَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَرَمِهِ عَلَيْنَا وَأَزَالَ
 عَنْنَا الْغَمَّ وَأَتَانَا بِالسُّرُورِ بِوُجُودِ هَذَا الْغُلَامِ الْمُبَارَكِ . فَتَسْأَلُ اللَّهُ
 تَعَالَى أَنْ يُجْعَلَهُ خَلِيفَةً صَالِحَةً وَيَرْزُقَهُ الْغِزَّ وَالسَّعَادَةَ الْبَاقِيَةَ
 وَالْخَيْرَ الدَّائِمَ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ الْخَامِسُ وَقَالَ : تَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ مَا نَحْنُ الْعَطَايَا
 الصَّالِحَةُ وَالْمَوَاهِبُ السَّنِيَّةُ . وَبَعْدُ فَإِنَّا تَحَقَّقْنَا أَنَّ اللَّهَ يُنْعِمُ عَلَى مَنْ
 يَشْكُرُهُ وَيُحَافِظُ عَلَى دِينِهِ . وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . الْمَوْصُوفُ
 بِزُكْرِ الْمَنَاقِبِ الْجَلِيلَةِ وَالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ بَيْنَ رَعِيَّتِكَ بِمَا يُرْضِي اللَّهُ
 تَعَالَى . فَلِأَجْلِ ذَلِكَ أَعْلَى اللَّهُ شَأْنَكَ وَأَسْعَدَ أَيَّامَكَ وَوَهَبَ لَكَ
 هَذِهِ الْعَطِيَّةَ الصَّالِحَةَ الَّتِي هِيَ هَذَا الْوَلَدُ السَّعِيدُ بَعْدَ الْيَأْسِ . وَصَارَ
 لَنَا بِذَلِكَ الْفَرَحِ الدَّائِمِ وَالسُّرُورِ الَّذِي لَا يَنْقُطُ . لِأَنَّنا قَبْلَ ذَلِكَ
 كُنَّا فِي هَمٍّ شَدِيدٍ وَغَمٍّ زَائِدٍ بِسَبَبِ عَدَمِ وَلَدِكَ . وَفِي أَفْكَارٍ
 فِيمَا أَنْتَ مُنْطَوٍ عَلَيْهِ مِنْ عَدْلِكَ وَرَأْفَتِكَ بِنَا . وَخَوْفًا أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ
 عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ . وَلَمْ يَكُنْ لَكَ مَنْ يَخْلُفُكَ وَيَرِثُ الْمُلْكَ مِنْ بَعْدِكَ .
 فَتُخْتَلَفَ رَأْيُنَا وَيَقَعَ بَيْنَنَا الشَّقَاقُ وَيَصِيرَ بَيْنَنَا مَا صَارَ لِلْغُرَابِ :
 فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ الْغُرَابِ

(حكاية الغراب)

فَأَجَابَهُ الْوَزِيرُ قَائِلًا: أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ. أَنَّهُ كَانَ فِي
بَعْضِ الْبَرَاريِّ وَادٍ مُتَّسِعٌ. وَكَانَ بِهِ أَنْهَارٌ وَأَشْجَارٌ وَأَثْمَارٌ وَبِهِ أَطْيَارٌ
تُسَبِّحُ اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ. خَالِقَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. وَكَانَ مِنْ جَمَلَةِ
الطُّيُورِ غُرَبَانٌ. وَكَانَتْ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ. وَكَانَ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِنَّ
وَالْحَاكِمُ بَيْنَهُنَّ غُرَابٌ رَوَّفٌ بِهِنَّ شَفُوقٌ عَلَيْهِنَّ وَكَانَتْ مَعَهُ فِي
أَمَانٍ وَطَمَآنِينَةٍ. وَمِنْ حُسْنِ تَصَرُّفِهِنَّ فِيمَا بَيْنَهُنَّ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ
الطُّيُورِ يَقْدِرُ عَلَيْهَا. فَأَتَّفَقَ أَنْ مُقَدِّمَهُنَّ تُوْفِيَ وَجَاءَهُ الْأَمْرُ الْمُخْتَوِّمُ
عَلَى سَائِرِ الْخَلْقِ فَخَرَّتْ عَلَيْهِ خَزَنًا شَدِيدًا. وَمِنْ زِيَادَةِ حُزْنِهِنَّ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِنَّ أَحَدٌ مِثْلَهُ يَوْمَ مَقَامِهِ. فَأَجْتَمَعْنَ جَمِيعًا وَأَثْمَرْنَ
فِيمَا بَيْنَهُنَّ عَلَى مَنْ يَوْمٌ عَلَيْهِنَّ بِحَيْثُ يَكُونُ صَالِحًا. فَطَارَتْهُ مِنْهُنَّ
أَخْتَرَنَ غُرَابًا وَقُلْنَ إِنَّ هَذَا يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ مَابِكَا عَلَيْنَا. وَآخِرُ
أَخْتَلَفْنَ فِيهِ. وَلَمْ يَرِدْ لَهُ فَوْقَ بَيْنَهُنَّ الشَّقَاقُ وَالْجِدَالُ وَعَظُمَتِ
الْفِتْنَةُ بَيْنَهُنَّ. وَبَعْدَ ذَلِكَ حَصَلَ بَيْنَهُمَا تَوَافُقٌ. وَتَعَاهَدْنَ عَلَى أَنْ
يَمْنَنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ. وَلَا يَبْكُرُ أَحَدٌ إِلَى السُّرُوحِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ غَدًا.
بَلْ يَصْبِرْنَ جَمِيعًا إِلَى الصَّبَاحِ. وَعِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ يَكُنَّ مُجْتَمِعَاتٍ فِي
مَوْضِعٍ وَاحِدٍ. ثُمَّ يَنْظُرْنَ كُلُّ طَيْرٍ يَسْبِقُ فِي الطَّيْرَانِ. وَقُلْنَ إِنَّهُ
هُوَ الَّذِي يَكُونُ مَأْمُورًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا وَمُخْتَارًا عِنْدَنَا لِلْمُلْكِ. فَتَجَمَّعَهُ
مَلِكًا عَلَيْنَا وَتَوَلَّيْهِ أَمْرَنَا. فَرَضِينَ كُلُّهُنَّ بِذَلِكَ وَعَاهَدْنَ بَعْضُهُنَّ

بَعْضًا وَاتَّقِنَ عَلَى هَذَا الْعَهْدِ . فَبَيْنَمَا هِيَ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ إِذْ طَلَعَ بَارُ .
فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَبَا الْخَيْرِ . نَحْنُ اخْتَرْنَاكَ وَإِلَيْنَا لِنَتَّظِرَ فِي أَمْرِنَا .
فَرَضِيَ الْبَارُ بِمَا قُلْنَهُ . وَقَالَ لَهُنَّ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى سَيَكُونُ لَكُنَّ
مِنِّي خَيْرٌ عَظِيمٌ . ثُمَّ إِنَّهُنَّ بَعْدَ مَا وَلَّيْنَهُ عَلَيْهِنَّ . صَارَ كُلُّ يَوْمٍ إِذَا
سَرَحَ وَسَرَحَ الْغُرَبَانُ يَسْتَفِرِدُ بِأَحَدِهِنَّ وَيَضْرِبُهُ وَيَأْكُلُ دِمَاعَهُ
وَعَيْنَيْهِ وَيَتْرُكُ الْبَاقِي . وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ مَعَهُنَّ هَكَذَا حَتَّى فَطِنَتْ بِهِ
فَرَأَتْ غَالِبَهَا قَدْ هَلَكَ فَأَيَّتَتْ بِالْمَبَالِكِ . وَقَالَ بَعْضُهُنَّ لِبَعْضٍ :
كَيْفَ نَصْنَعُ وَقَدْ هَلَكَ أَكْثَرُنَا . وَمَا أَنْتَبَهْنَا حَتَّى هَلَكَ أَكْثَرُنَا .
فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْفَظَ عَلَى أَنْفُسِنَا . فَلَمَّا أَصْبَحَتْ نَفَرَتْ مِنْهُ وَتَفَرَّقَتْ
مِنْ حَوْلِهِ . وَنَحْنُ الْآنَ نَخْشَى أَنْ يَقَعَ لَنَا مِثْلُ هَذَا وَيَصِيرَ عَلَيْنَا
مَلِكٌ غَيْرُكَ . وَلَكِنْ قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا بِهَذِهِ النِّعْمَةِ وَوَجَّهَكَ إِلَيْنَا .
وَنَحْنُ وَاثِقُونَ الْآنَ بِالصَّلَاحِ وَجَمْعِ الشُّمْلِ وَالْأَمْنِ وَالْأَمَانَةِ
وَالسَّلَامَةِ فِي الْوَطَنِ . فَتَبَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ وَالثناءُ
الْجَمِيلُ . وَبَارَكَ اللَّهُ لِلْمَلِكِ وَلَنَا مَعِشَرِ الرِّعِيَّةِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاهُ السَّعَادَةَ
الْعُظْمَى . وَجَعَلَهُ سَعِيدَ الْوَقْتِ قَائِمَ الْجِدِّ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّادِسُ وَقَالَ : هُنَاكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِأَحْسَنِ
الْهَنَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . فَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِ الْمُتَقَدِّمِينَ أَنَّ مَنْ
صَلَّى وَصَامَ وَقَامَ بِحُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَعَدَلَ فِي حُكْمِهِ لَقِيَ رَبَّهُ وَهُوَ
رَاضٍ عَنْهُ . وَقَدْ وُلِّيتَ عَلَيْنَا فَعَدَلْتَ فَكُنْتَ فِي ذَلِكَ سَعِيدَ

الْحَرَكَاتِ . فَتَسْأَلُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُجْزَلَ ثَوَابُكَ وَيَأْجُرَكَ عَلَى إِحْسَانِكَ .
 وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَ هَذَا الْعَالِمُ فِيمَا نَتَخَوَّفُ مِنْ حِرْمَانِ حَظِّنَا بَعْدَ
 الْمَلِكِ أَوْ بَوْجُودِ مَلِكٍ آخَرَ لَا يَكُونُ نَظِيرَهُ . فَيَعْظُمُ اخْتِلَافُنَا بَعْدَهُ
 وَيَقَعُ الْبَلَاءُ فِي الْإِخْتِلَافِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا قَالُوا جِبُ
 عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَهِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْدُّعَاءِ . لَعَلَّهُ يَهَبُ لِلْمَلِكِ وَلَدًا سَعِيدًا .
 وَيَجْعَلُهُ وَارِثًا لِلْمَلِكِ بَعْدَهُ . ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ رُبَّمَا كَانَ الَّذِي يُحِبُّهُ الْإِنْسَانُ
 مِنَ الدُّنْيَا وَيَشْتَرِيهِ مَجْهُولُ الْعَاقِبَةِ لَهُ . وَحِينَئِذٍ لَا يَذْنِي الْإِنْسَانُ أَنْ
 يَسْأَلَ رَبَّهُ أَمْرًا لَا يَذَرِي عَاقِبَتَهُ . لِأَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ ضَرَرُ ذَلِكَ أَقْرَبَ
 إِلَيْهِ مِنْ نَفْعِهِ . فَيَكُونُ هَلَاكُهُ فِي مَطْلُوبِهِ وَيُصِيبُهُ مِثْلُ مَا أَصَابَ
 الْحَاوِي وَأَوْلَادَهُ وَزَوْجَتَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ . قَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ الْحَاوِي
 وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ

(حِكَايَةُ الْحَاوِي وَأَوْلَادِهِ وَزَوْجَتِهِ وَأَهْلَ بَيْتِهِ)

فَقَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَّهُ كَانَ إِنْسَانٌ حَاوِيًا وَكَانَ
 يُرَبِّي الْحَيَّاتِ . وَهَذِهِ كَانَتْ صَنْعَتُهُ . وَكَانَ عِنْدَهُ سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ . فِيهَا
 ثَلَاثُ حَيَّاتٍ لَمْ يُعْلَمْ بِهَا أَهْلُ بَيْتِهِ . وَكَانَ كُلَّ يَوْمٍ يُخْرِجُ يَدُورُ
 بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . وَيَتَسَبَّبُ بِهَا لِتَحْصِيلِ رِزْقِهِ وَرِزْقِ عِيَالِهِ . وَيَرْجِعُ
 عِنْدَ الْمَسَاءِ فِي بَيْتِهِ وَيَضَعُ الْأَحْنَاشَ فِي السَّلَّةِ سِرًّا . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ
 يَأْخُذُهَا وَيَدُورُ بِهَا فِي الْمَدِينَةِ . فَكَانَ هَذَا دَأْبَهُ عَلَى الدَّوَامِ . وَلَمْ يَعْلَمْ
 أَهْلُ بَيْتِهِ بِمَا فِي السَّلَّةِ . فَاتَّفَقَ أَنَّهُ لَمَّا عَادَ الْحَاوِي إِلَى بَيْتِهِ عَلَى

جَرِي عَادَتِهِ سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ وَقَالَتْ لَهُ: مَا فِي هَذِهِ السَّأَةِ. فَقَالَ لَهَا
 الْحَاوِي: وَمَا مُرَادُكَ مِنْهَا. أَلَيْسَ الزَّادُ عِنْدَكُمْ كَثِيرًا زَائِدًا. فَأَقْبَعِي بِمَا
 قَسَمَ اللَّهُ لَكَ. وَلَا تَسْأَلِي عَنْ غَيْرِهِ. فَسَكَتَتْ عَنْهُ تِلْكَ الْمَرَّةُ وَصَارَتْ
 تَقُولُ فِي نَفْسِهَا: لَا بُدَّ لِي أَنْ أَفْتِشَ هَذِهِ السَّأَةَ وَأَعْرِفَ مَا فِيهَا.
 وَصَمَّتْ عَلَى ذَلِكَ وَأَعْلَمَتْ أَوْلَادَهَا وَأَكْثَدَتْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْأَلُوا
 وَالِدَهُمْ عَنْ السَّأَةِ وَيُلْحُوا عَلَيْهِ فِي السُّؤَالِ لِأَجْلِ أَنْ يُخْبِرَهُمْ. فَعِنْدَ
 ذَلِكَ تَعَلَّقَ خَاطِرُ الْأَوْلَادِ بِأَنَّ فِيهَا شَيْئًا يُؤْكَلُ. فَصَارَ الْأَوْلَادُ كُلُّ
 يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مِنْ آبَائِهِمْ أَنْ يُرِيَهُمْ مَا فِي السَّأَةِ. وَكَانَ آبُوهُمْ
 يُدَافِعُهُمْ وَيُرَاضِيهِمْ وَيَنِيهَاهُمْ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ. فَمَضَتْ لَهُمْ مُدَّةٌ وَهُمْ
 عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ. وَأُمُّهُمْ تَحْشَرُهُمْ عَلَى ذَلِكَ. ثُمَّ اتَّفَقُوا مَعَهَا عَلَى أَنَّهُمْ لَا
 يَذُوقُونَ طَعَامًا وَلَا يَشْرَبُونَ شَرَابًا لِوَالِدِهِمْ حَتَّى يُبْلِغَهُمْ طَلِبَتَهُمْ.
 وَيَفْتَحَ لَهُمُ السَّأَةَ. فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ حَضَرَ الْحَاوِي وَمَعَهُ
 شَيْءٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَكْبَلِ وَالشَّرْبِ. فَقَعَدَ وَدَعَاهُمْ لِيَأْكُلُوا مَعَهُ فَأَبَوْا
 الْحُضُورَ إِلَيْهِ. وَبَيَّنُّوا لَهُ الْغَيْظَ. فَجَعَلَ يُلَاطِفُهُمْ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ
 وَيَقُولُ لَهُمْ: أَنْظَرُوا مَاذَا تُرِيدُونَ حَتَّى أَجِيَّ بِهِ إِلَيْكُمْ أَكْلًا أَوْ شَرِبًا
 أَوْ مَلْبُوسًا. فَقَالُوا لَهُ يَا وَالِدَنَا. مَا تُرِيدُ مِنْكَ إِلَّا فَتْحَ هَذِهِ السَّأَةِ
 لِنَنْظُرَ مَا فِيهَا وَإِلَّا قَتَلْنَا أَنْفُسَنَا. فَقَالَ لَهُمْ: يَا أَوْلَادِي لَيْسَ لَكُمْ فِيهَا
 خَيْرٌ وَإِنَّمَا فَتَحُهَا ضَرَرٌ لَكُمْ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَرْدَادُوا غَيْظًا. فَلَمَّا رَأَاهُمْ
 عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ. أَخَذَ يَهْدِيهِمْ وَيُشِيرُ لَهُمْ بِالضَّرْبِ إِنْ لَمْ يَرْجِعُوا

عَنْ تِلْكَ الْحَالَةِ . فَلَمْ يَزِدَا دُوا إِلَّا غَيْظًا وَرَغْبَةً فِي السُّؤَالِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ
 غَضِبَ عَلَيْهِمْ وَأَخَذَ عَصًا لِيَضْرِبَهُمْ بِهَا . فَهَرَبُوا قُدَّامَهُ فِي الدَّارِ .
 وَكَانَتِ السَّلَّةُ حَاضِرَةً لَمْ يُخَفِّهَا الْحَاوِي فِي مَكَانٍ . فَخَلَّتِ الْمَرْأَةُ
 الرَّجُلَ مَشْغُولًا بِالْأَوْلَادِ وَفَتَحَتِ السَّلَّةَ بِسُرْعَةٍ لِكَيْ تَنْظُرَ مَا فِيهَا .
 وَإِذَا بِالْحَيَّاتِ قَدْ خَرَجَتْ مِنَ السَّلَّةِ وَلَدَعَتِ الْمَرْأَةَ أَوَّلًا فَقَتَلَتْهَا ثُمَّ
 دَارَتْ فِي الدَّارِ وَأَهْلَكَتِ الْكِبَارَ وَالصَّغَارَ مَا عَدَا الْحَاوِي . فَتَرَكَ الْحَاوِي
 الدَّارَ وَخَرَجَ . فَلَمَّا تَحَقَّقْتُ ذَلِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ السَّعِيدُ . عَلِمْتُ أَنَّ
 الْإِنْسَانَ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَمَنَّى شَيْئًا غَيْرَ الَّذِي لَمْ يُرِدِ اللَّهُ تَعَالَى بَلْ يَطِيبُ
 نَفْسًا بِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ لَهُ وَأَرَادَهُ . وَهَآ أَنتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ مَعَ غَزَاةٍ
 عِلْمِكَ وَجُودَةٍ فَهَمَّكَ أَقْرَأُ اللَّهُ عَيْنَكَ بِحُضُورٍ وَلَدٍ لَكَ بَعْدَ الْيَأْسِ
 وَطِيبَ قَلْبِكَ . وَنَحْنُ نَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ الْخُلَفَاءِ الْعَادِلِينَ
 الْمُرْضِينَ لِلَّهِ تَعَالَى وَالرَّعِيَّةِ

ثُمَّ قَامَ الْوَزِيرُ السَّابِعُ وَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ . إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ وَتَحَقَّقْتُ
 مَا ذَكَرَهُ إِخْوَتِي هَؤُلَاءِ الْوُزَرَاءُ الْعُلَمَاءُ الْحُكَمَاءُ وَمَا تَكَلَّمُوا بِهِ فِي
 حَضْرَتِكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ . وَمَا وَصَفُوهُ مِنْ عَدْلِكَ وَحُسْنِ سِيرَتِكَ وَمَا
 تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ سِوَاكَ مِنَ الْمُلُوكِ حَيْثُ فَضْلُوكَ عَلَيْهِمْ . وَذَلِكَ مِنْ
 بَعْضِ الْوَاجِبِ عَلَيْنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ

وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَلَّاكَ لِنِعْمَتِهِ . وَأَعْطَاكَ
 صِلَاحَ الْمُلْكِ بِرَحْمَتِهِ وَأَعَانَكَ وَإِيَّاَنَا عَلَى أَنْ تَزِيدَهُ شُكْرًا . وَمَا ذَاكَ

إِلَّا بِوُجُودِكَ . وَمَا دُمْتَ فِيْنَا لَمْ نَتَخَوَّفْ جَوْرًا وَلَا نَبْغِي ظُلْمًا . وَلَا
يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَطِيلَ عَلَيْنَا مَعَ ضَعْفِنَا . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ أَحْسَنَ
الرَّعَايَا مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ عَادِلًا وَشَرُّهُمْ مَنْ كَانَ مَلِكُهُمْ جَائِرًا . وَقِيلَ
أَيْضًا : السُّكْنَى مَعَ الْأَسْوَدِ الْكَوَاسِرِ وَلَا السُّكْنَى مَعَ السُّلْطَانِ
الْجَائِرِ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا دَائِمًا حَيْثُ أَنْعَمَ عَلَيْنَا
بِوُجُودِكَ . وَرَزَقَكَ هَذَا الْوَلَدَ الْمُبَارَكَ بَعْدَ الْيَأْسِ وَالطَّمَنِ فِي السِّنِّ .
لِأَنَّ أَجَلَ الْعَطَايَا فِي الدُّنْيَا الْوَلَدُ الصَّالِحُ . وَقَدْ قِيلَ : مَنْ لَا وَلَدَ لَهُ
لَا عَاقِبَةَ لَهُ وَلَا ذِكْرَ . وَأَنْتَ بِقَوِيمِ عَدْلِكَ وَحُسْنِ ظَنِّكَ بِاللَّهِ تَعَالَى
أَعْطَيْتَ هَذَا الْوَلَدَ السَّعِيدَ . فَجَاءَكَ هَذَا الْوَلَدُ الْمُبَارَكَ مِنْهُ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى عَلَيْنَا وَعَلَيْكَ . بِحُسْنِ سِيرَتِكَ وَجَمِيلِ صَبْرِكَ . وَصَارَ فِيكَ ذَلِكَ
مِثْلَ مَا صَارَ فِي الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ : فَقَالَ الْمَلِكُ : وَمَا حِكَايَةُ
الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ .

(حِكَايَةُ الْعَنْكَبُوتِ وَالرَّيْحِ)

قَالَ الْوَزِيرُ : أَعْلَمُ أَيُّهَا الْمَلِكُ . أَنَّ عَنْكَبُوتًا تَعَلَّقَتْ فِي بَابِ
مُتَّحٍ عَالٍ . وَعَمِلَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَكَنْتَ فِيهِ بِأَمَانٍ وَكَانَتْ تَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى
الَّذِي يَسِّرَ لَهَا هَذَا الْمَكَانَ وَأَمَّنْ خَوْفَهَا مِنَ الْهُوَامِ . فَكَثَّتْ عَلَى
هَذِهِ الْحَالِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ . وَهِيَ شَاكِرَةٌ لِلَّهِ عَلَى رَاحَتِهَا وَاتِّصَالِ
رِزْقِهَا . فَامْتَحَنَهَا خَالِفُهَا بِأَنْ أَخْرَجَهَا لِيَنْظُرَ شُكْرَهَا وَصَبْرَهَا . فَأَرْسَلَ
إِلَيْهَا رِيحًا عَاصِفَةً شَرْقِيَّةً . فَحَمَلَتْهَا بَيْتُهَا وَرَمَتْهَا فِي الْبَحْرِ . فَجَرَّتَهَا

الأمواج إلى السبر . فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها .
وجعلت تعاتب الريح قائلة لها : أيتها الريح لم فعلت بي ذلك . وما
الذي حصل لك من الخير في نقلي من مكاني إلى هنا . وقد كنت
أمنة مطمئنة في بيتي بأعلى ذلك الباب . فقال لها الريح : أنتهي عن
العتاب . فإني سأرجع بك وأوصلك إلى مكانك كما كنت أولاً .
فأبقت العنكبوت صابرة على ذلك راجية أن ترجع إلى مكانها
حتى ذهب ريح الشمال ولم ترجع بها . وهبت ريح الجنوب فمرت
بها وأخطفتها . وطارت بها إلى جهة ذلك البيت . فلما مرت به
عرفته فقامت به .

ونحن نسأل الله الذي أثنى الملك على وحدته وصبره
ورزقه هذا الغلام بعد يأسه وكبر سنه . ولم يخرج من هذه
الدنيا حتى رزقه قوة عين ووهب له ما وهب من الملك والسلطان .
فرحم رعيته وأولاهم نعمته

فقال الملك : الحمد لله فوق كل حمد والشكر له فوق كل
شكر . لا إله إلا هو خالق كل شيء الذي عرفنا بنور آثاره جلال
عظمته . يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده . لأنه
يختب منهم من يشاء ليجمعه خليفة ووكيلاً على خلقه . ويأمره فيهم
بالعدل والإنصاف وإقامة الشرائع والسنن والعمل بالحق
والاستقامة في أمورهم على ما أحب وأحبوا . فمن عمل منهم بما أمر

اللَّهُ كَانَ لِحِظِهِ مُصِيبًا وَلَا مَرَّ رَّبِّهِ مُطِيعًا . فَيَكْفِيهِ هَوْلَ دُنْيَاهُ وَيُحْسِنُ
 جَزَاءَهُ فِي آخِرَاهُ . إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ
 بغيرِ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَخْطَأَ خَطَاءً بَلِيغًا وَعَصَى رَبَّهُ وَآثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَاهُ .
 فَلَيْسَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَأْثَرٌ وَلَا فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ . لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي
 عَلَى أَهْلِ الْجُورِ وَالْفَسَادِ وَلَا يَهْدِي أَحَدًا مِنَ الْعِبَادِ . وَقَدْ ذَكَرَ وَزَرَأُونَا
 هَؤُلَاءِ أَنْ مِنْ عَذَابِنَا بَيْنَهُمْ وَحَسَنَ تَصَرُّفِنَا مَعَهُمْ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا
 وَعَلَيْهِمْ بِالتَّوْفِيقِ لِشُكْرِهِ الْمُسْتَوْجِبِ لِمَزِيدِ أَنْعَامِهِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 قَالَ مَا أَلْهَمَهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ . وَبَاغُوا فِي الشُّكْرِ لِلَّهِ تَعَالَى وَالْثَنَاءَ عَلَيْهِ
 بِسَبَبِ نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ . وَأَنَا أَشْكُرُ اللَّهَ لِأَنِّي إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَقَائِي
 بِيَدِهِ وَلِسَانِي تَابِعٌ لَهُ . رَاضٍ بِمَا حَكَمَ عَلَيَّ وَعَلَيْهِمْ بِأَيِّ شَيْءٍ صَارَ .
 وَقَدْ قَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا خَطَرَ بِيَالِهِ مِنْ أَمْرِ هَذَا الْغَلَامِ وَذَكَرُوا
 مَا كَانَ مِنْ مُتَجَدِّدِ النِّعْمَةِ عَلَيْنَا حِينَ بَلَغْتُ مِنَ السِّنِّ حَدًّا يَغِيبُ مَعَهُ
 الْيَأْسُ وَضَعْفُ الْيَقِينِ . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْحِرْمَانِ . وَاخْتِلَافِ
 الْحُكَّامِ كَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ أَنْعَامًا عَظِيمًا عَلَيْهِمْ
 وَعَلَيْنَا . فَتَحْمَدُ اللَّهُ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَنَا هَذَا الْغَلَامَ سَمِيعًا مُطِيعًا وَجَعَلَهُ
 وَارِثًا مِنْ الْخِلَافَةِ مَحَلًّا رَفِيعًا . نَسْأَلُهُ مِنْ كَرَمِهِ وَحَامِيهِ أَنْ
 يَجْعَلَهُ سَعِيدَ الْحَرَكَاتِ مُوقِفًا لِلْخَيْرَاتِ حَتَّى يَصِيرَ مَلِكًا وَسُاطِنًا
 عَلَى رَعِيَّتِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ . حَافِظًا لَهُمْ مِنْ هَالِكَاتِ الْأَعْتِسَافِ
 بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ

فَلَمَّا فَرَغَ الْمَلِكُ مِنْ كَلَامِهِ قَامَ الْحُكَمَاءُ وَالْعُلَمَاءُ وَسَجَدُوا لِلَّهِ
وَشَكَرُوا الْمَلِكَ وَقَبَّلُوا يَدَيْهِ وَأَنْصَرَفَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى بَيْتِهِ .
فَعِنْدَ ذَلِكَ دَخَلَ الْمَلِكُ بَيْتَهُ وَأَبْصَرَ الْغُلَامَ وَدَعَا لَهُ

فَلَمَّا مَضَى لَهُ مِنَ الْعُمُرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . أَرَادَ الْمَلِكُ أَنْ يُعَلِّمَهُ
الْعُلُومَ . فَبَنَى لَهُ قَصْرًا فِي وَسْطِ الْمَدِينَةِ وَبَنَى فِيهِ ثَلَاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ
مَقْصُورَةً . وَجَعَلَ الْغُلَامَ فِيهِ . وَرَتَّبَ لَهُ ثَلَاثَةَ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَقْلُوعُوا عَنْ تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا . وَأَنْ يَجْلِسُوا مَعَهُ فِي
كُلِّ مَقْصُورَةٍ يَوْمًا وَيَخْرِصُوا عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ عِلْمٌ إِلَّا وَيُعَلِّمُونَهُ إِيَّاهُ
حَتَّى يَصِيرَ بِجَمِيعِ الْعُلُومِ عَارِفًا . وَيَكْتُبُوا عَلَى بَابِ كُلِّ مَقْصُورَةٍ مَا
يُعَلِّمُونَهُ لَهُ فِيهَا مِنَ الْعُلُومِ . وَيَرْفَعُوا إِلَيْهِ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ مَا عَرَفَهُ
مِنْ أَصْنَافِهَا . ثُمَّ إِنَّ الْعُلَمَاءَ أَقْبَلُوا عَلَى الْغُلَامِ وَصَارُوا لَا يَفْتَرُونَ عَنْ
تَعْلِيمِهِ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا وَلَا يُؤَخَّرُونَ عَنْهُ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ .
فَظَهَرَ لِلْغُلَامِ مِنْ ذِكَاةِ الْعَقْلِ وَجُودَةِ الْفَهْمِ وَقَبُولِ الْعِلْمِ مَا لَمْ
يُظْهَرِ لِأَحَدٍ قَبْلَهُ . وَجَعَلُوا يَرْفَعُونَ لِلْمَلِكِ فِي كُلِّ أُسْبُوعٍ مِقْدَارَ مَا
تَعَلَّمَهُ وَلَدُهُ وَأَتَقَنَهُ . فَكَانَ الْمَلِكُ يَسْتَظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ عِلْمًا حَسَنًا
وَأَدَبًا جَمِيلًا . وَقَالَ الْعُلَمَاءُ : إِنَّا مَا رَأَيْنَا قَطُّ مَنْ أُعْطِيَ فَهْمًا مِثْلَ
هَذَا الْغُلَامِ . فَبَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ وَمَتَّعَكَ بِحَيَاتِهِ

فَلَمَّا أَتَمَّ الْغُلَامُ مُدَّةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَفِظَ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ
أَحْسَنَهُ . وَفَاقَ جَمِيعَ الْعُلَمَاءِ وَالْحُكَمَاءِ الَّذِينَ فِي زَمَانِهِ . فَأَتَى بِهِ

الْعُلَمَاءُ إِلَى الْمَلِكِ وَالِدِهِ . وَقَالُوا لَهُ : أَقَرَّ اللَّهُ عَيْنَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ بِهَذَا
 الْوَلَدِ السَّعِيدِ . وَقَدْ أَتَيْنَاكَ بِهِ بَعْدَ أَنْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ حَتَّى لَمْ يَكُنْ
 أَحَدٌ مِنْ عُلَمَاءِ الْوَقْتِ وَحُكَمَائِهِ بَلَّغَ مَا بَلَغَهُ : فَقَرَّحَ الْمَلِكُ بِذَلِكَ
 فَرَحًا شَدِيدًا وَزَادَ فِي شُكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَرَّ سَاجِدًا لَهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُحْصَى . ثُمَّ دَعَا بِشَّمَّاسِ الْوَزِيرِ وَقَالَ
 لَهُ : أَعْلَمْ يَا شَّمَّاسُ . أَنَّ الْعُلَمَاءَ قَدْ أَتَوْنِي وَأَخْبَرُونِي أَنَّ ابْنِي هَذَا
 قَدْ تَعَلَّمَ كُلَّ عِلْمٍ وَلَمْ يَبْقَ مِنْ الْعُلُومِ عِلْمٌ إِلَّا وَقَدْ عَاقَمُوهُ لَهُ حَتَّى
 فَاقَ مَنْ تَقَدَّمَهُ فِي ذَلِكَ . فَمَا تَقُولُ يَا شَّمَّاسُ : فَسَجَدَ عِنْدَ ذَلِكَ
 لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَقَبَّلَ يَدَ الْمَلِكِ وَقَالَ : أَبَتِ الْيَاقُوتَةُ وَلَوْ كَانَتْ فِي
 الْجَبَلِ الْأَصَمِّ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مُضِيئَةً كَالسِّرَاجِ . وَأَبْنُكَ هَذَا جَوْهَرَةٌ .
 فَمَا تَنْمُوهُ حَدَائِثُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ حَكِيمًا . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَوْلَاهُ . وَأَنَا
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي غَدٍ أَسْأَلُهُ وَأَسْتَطِيقُهُ بِمَا عِنْدَهُ فِي مَجْمَعِ أَجْمَعِهِ
 لَهُ مِنْ خَوَاصِّ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ : فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ شَّمَّاسِ أَمَرَ
 جَهَابُذَةَ الْعُلَمَاءِ وَأَذْكِيَاءَ الْفُضَلَاءِ وَمَهْرَةَ الْحُكَمَاءِ أَنْ يَحْضُرُوا إِلَى
 قَصْرِ الْمَلِكِ فِي غَدٍ . فَحَضَرُوا جَمِيعًا . فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ الْمَلِكِ
 أَذِنَ لَهُمْ بِالْدُخُولِ ثُمَّ حَضَرَ شَّمَّاسُ الْوَزِيرِ . وَعِنْدَ ذَلِكَ صَارَ أَمْتَحَانُ
 ابْنِ الْمَلِكِ (وَهِيَ تَمَحْنُ نُورِدُ بَعْضَ أَسْئَلَةٍ وَأَجْوِبَةٍ أَمْتَحَنَ بِهَا فَأَجَابَ
 عَلَيْهَا أَحْسَنَ جَوَابٍ) قَالَ شَّمَّاسُ لِلْعُلَامِ : أَخْبِرْنِي هَلْ
 تَسْتَقِيمُ آخِرَةُ بَغَيْرِ دُنْيَا . قَالَ الْعُلَامُ : مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ دُنْيَا فَلَا آخِرَةَ

لَهُ . وَلَكِنْ رَأَيْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا وَالْمَعَادَ الَّذِي هُمْ صَائِرُونَ إِلَيْهِ كَمَثَلِ
 أَهْلِ تِلْكَ الضِّيَاعِ الَّذِينَ أُبْتِيَ لَهُمْ أَمِيرٌ بَيْتًا ضَيِّقًا وَأَدْخَلَهُمْ فِيهِ .
 وَأَمَرَهُمْ بِعَمَلٍ يَعْمَلُونَهُ وَضَرَبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَجَلًا وَوَكَّلَ بِهِ
 شَخْصًا . فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ مَا أُمِرَ بِهِ أَخْرَجَهُ الشَّخْصُ الْمُوَكَّلُ بِهِ مِنْ
 ذَلِكَ الضِّيْقِ . وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ مَا أُمِرَ بِهِ وَقَدْ انْقَضَى الْأَجَلُ
 الْمَضْرُوبُ لَهُ عُوقِبَ . فَيُنَادِيهِمْ كَذَلِكَ إِذْ رَسَخَ لَهُمْ مِنْ شُغُوقِ
 أَلْيَتِ عَسَلٍ . فَلَمَّا أَكَلُوا مِنَ الْعَسَلِ وَذَاقُوا طَعْمَهُ وَحَلَاوَتَهُ . تَوَانَوْا
 فِي الْعَمَلِ الَّذِي أُمِرُوا بِهِ وَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ . وَصَبَرُوا عَلَى مَا
 هُمْ فِيهِ مِنَ الضِّيْقِ وَالْغَمِّ مَعَ مَا عَلِمُوا مِنْ تِلْكَ الْعُقُوبَةِ الَّتِي هُمْ
 صَائِرُونَ إِلَيْهَا . وَقَنِعُوا بِتِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْيَسِيرَةِ . وَصَارَ الْمُوَكَّلُ لَا
 يَدْعُ أَحَدًا مِنْهُمْ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُ إِلَّا وَيُخْرِجُهُ مِنْ ذَلِكَ أَلْيَتٍ .
 فَعَرَفْنَا أَنَّ الدُّنْيَا دَارٌ تَتَخَيَّرُ فِيهَا الْأَبْصَارُ وَضُرِبَ لِأَهْلِهَا فِيهَا الْأَجَالُ .
 فَمَنْ وَجَدَ الْحَلَاوَةَ الْقَلِيلَةَ الَّتِي تَكُونُ فِي الدُّنْيَا وَأَشْغَلَ نَفْسَهُ بِهَا
 كَانَ مِنَ الْهَالِكِينَ . حَيْثُ أَثَرَ أَمْرَ دُنْيَاهُ عَلَى آخِرَتِهِ . وَمَنْ يُؤَثِّرُ
 أَمْرَ آخِرَتِهِ عَلَى دُنْيَاهُ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى تِلْكَ الْحَلَاوَةِ الْقَلِيلَةِ كَانَ
 مِنَ الْفَائِزِينَ

قَالَ شَّاسٌ : قَدْ سَمِعْتُ مَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 وَقَبِلْتُ ذَلِكَ مِنْكَ وَلَكِنِّي قَدْ رَأَيْتُهُمَا مُسَلَّطَيْنِ عَلَى الْإِنْسَانِ فَلَا
 بُدَّ لَهُ مِنْ إِرْضَائِهِمَا مَعًا . وَهِيَ مُحْتَافَانِ . فَإِنْ أَقْبَلَ الْعَبْدُ عَلَى طَلَبِ

الْمَعِيشَةِ . فَذَلِكَ إِضْرَارٌ بِرُوحِهِ فِي الْمَعَادِ . وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى
الْآخِرَةِ كَانَ ذَلِكَ إِضْرَارًا بِجَسَدِهِ . وَلَيْسَ لَهُ سَبِيلٌ إِلَى إِرْضَاءِ
الْمُتَحَالِفِينَ مَعًا .

قَالَ الْغُلَامُ : إِنَّهُ مَنْ حَصَلَ الْمَعِيشَةُ فِي الدُّنْيَا تُقَوِّيه عَلَى
الْآخِرَةِ . فَإِنِّي رَأَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِثْلَ مَلَكَئِكَ عَادِلٍ
وَجَائِرٍ . وَكَانَتْ أَرْضُ الْمَلِكِ الْجَائِرِ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَنَبَاتٍ . وَكَانَ
ذَلِكَ الْمَلِكُ لَا يَدْعُ أَحَدًا مِنَ التُّجَّارِ إِلَّا أَخَذَ مَالَهُ وَتَجَارَتَهُ . وَهُمْ
صَابِرُونَ عَلَى ذَلِكَ لِمَا يُصِيبُونَ مِنْ خِصْبِ تِلْكَ الْأَرْضِ فِي الْمَعِيشَةِ .
وَأَمَّا الْمَلِكُ الْعَادِلُ فَإِنَّهُ بَعَثَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ . وَأَعْطَاهُ مَالًا
وَافِرًا وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى أَرْضِ الْمَلِكِ الْجَائِرِ لِيَتَتَعَ بِهِ جَوَاهِرَ
مِنْهَا . فَأَنْطَلَقَ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْمَالِ حَتَّى دَخَلَ تِلْكَ الْأَرْضَ . فَقِيلَ
لِلْمَلِكِ : إِنَّهُ جَاءَ إِلَى أَرْضِكَ رَجُلٌ تَاجِرٌ وَمَعَهُ مَالٌ كَثِيرٌ يُرِيدُ أَنْ
يَتَتَعَ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْهَا . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَأَحْضَرَهُ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ
وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ وَمَنْ جَاءَ بِكَ إِلَى أَرْضِي . وَمَا حَاجَتُكَ : فَقَالَ لَهُ :
إِنِّي مِنْ أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا . وَإِنَّ مَلِكَ تِلْكَ الْأَرْضِ أَعْطَانِي مَالًا
وَأَمَرَنِي أَنْ أَتَتَعَ لَهُ بِهِ جَوَاهِرَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ . فَأَمْتَلْتُ أَمْرَهُ
وَجِئْتُ : فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : وَيْحَكَ . أَمَا عَلِمْتَ صُنْعِي بِأَهْلِ أَرْضِي مِنْ
أَنِّي أَخَذُ مَا لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَكَيْفَ تَأْتِينِي بِمَالِكَ . وَهَذَا أَنْتَ مُقِيمٌ
بِأَرْضِي مُنْذُ كَذَا وَكَذَا : فَقَالَ لَهُ التَّاجِرُ : إِنْ الْمَالُ لَيْسَ لِي مِنْهُ

شَيْءٌ. وَإِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ تَحْتَ يَدَيَّ حَتَّى أُوصِلَهُ لِصَاحِبِهِ. فَقَالَ لَهُ: إِنِّي لَسْتُ بِتَارِكِكَ تَأْخُذُ مَعِيشَتَكَ مِنْ أَرْضِي حَتَّى تَقْدِيَ نَفْسَكَ بِهَذَا الْمَالِ جَمِيعِهِ. فَقَالَ الرَّجُلُ فِي نَفْسِهِ: قَدْ وَقَعْتُ بَيْنَ مَلِكَيْنِ. وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ جَوْرَ هَذَا الْمَلِكِ عَامٌّ عَلَى مَنْ أَقَامَ بِأَرْضِهِ. فَإِنْ لَمْ أَرْضِهِ كَانَ هَلَاقِي وَذَهَابُ الْمَالِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا وَلَمْ أَصِبْ حَاجَتِي. وَإِنْ أَعْطَيْتُهُ جَمِيعَ الْمَالِ كَانَ هَلَاقِي عِنْدَ الْمَلِكِ صَاحِبِ الْمَالِ لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَيْسَ لِي حِيلَةٌ سِوَى أَنِّي أُعْطِيهِ مِنْ هَذَا الْمَالِ جُزْءًا يَسِيرًا وَأَرْضِيهِ بِهِ وَأَدْفَعُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ هَذَا الْمَالِ الْهَلَكَ. وَأَصِيبُ مِنْ خِصْبِ هَذِهِ الْأَرْضِ قُوتَ نَفْسِي حَتَّى أَتْبَاعَ مَا أُرِيدُ مِنَ الْجَوَاهِرِ. وَأَكُونُ قَدْ أَرْضَيْتُهُ بِمَا أَعْطَيْتُهُ وَأَخْذُ نَصِيبِي مِنْ أَرْضِهِ هَذِهِ. وَأَتَوَجَّهُ إِلَى صَاحِبِ الْمَالِ بِحَاجَتِهِ. فَإِنِّي أَرْجُو مِنْ عَدْلِهِ وَتَجَاوُزِهِ مَا لَا أَخَافُ مَعَهُ عُقُوبَةً فِيمَا أَخَذَهُ هَذَا الْمَلِكُ مِنَ الْمَالِ. خُصُوصًا إِذَا كَانَ يَسِيرًا. ثُمَّ إِنَّ التَّاجِرَ دَعَا لِلْمَلِكِ وَقَالَ لَهُ: أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنَا أَقْدِي نَفْسِي بِجُزْءٍ صَغِيرٍ مِنْ هَذَا الْمَالِ مُنْذُ دَخَلْتُ أَرْضَكَ حَتَّى أَخْرَجَ مِنْهَا. فَقَبِلَ الْمَلِكُ مِنْهُ ذَلِكَ وَخَلَّى سَبِيلَهُ سَنَةً. فَاشْتَرَى الرَّجُلُ بِمَالِهِ جَمِيعَهُ جَوَاهِرَ وَأَنْطَلَقَ إِلَى صَاحِبِهِ

فَالْمَلِكُ الْعَادِلُ مِثَالُ الْآخِرَةِ. وَالْجَوَاهِرُ الَّتِي بِأَرْضِ الْمَلِكِ الْجَائِرِ مِثَالُ لِحَسَنَاتِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَالرَّجُلُ صَاحِبُ الْمَالِ. مِثَالُ مَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا. وَالْمَالُ الَّذِي مَعَهُ مِثَالُ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ عَلِمْتُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَطْلُبُ الْمَعِيشَةَ فِي الدُّنْيَا
أَنْ لَا يُخْلِيَ يَوْمًا عَنْ طَلَبِ الْآخِرَةِ . فَيَكُونُ قَدْ أَرْضَى الدُّنْيَا بِمَا
نَالَهُ مِنْ خِصْبِ الْأَرْضِ . وَأَرْضَى الْآخِرَةَ بِمَا يَصْرِفُ مِنْ حَيَاتِهِ
فِي طَلَبِهَا

قَالَ شَمَّاسٌ : فَأَخْبِرْنِي هَلِ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ سَوَاءٌ فِي الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ . أَوْ إِنَّمَا يَخْتَصُّ بِالْعِقَابِ صَاحِبُ الشَّهَوَاتِ وَفَاعِلُ الْخَطِيئَاتِ
قَالَ الْغُلَامُ : قَدْ يَكُونُ الْمِيلُ إِلَى الشَّهَوَاتِ وَالْخَطِيئَاتِ مُوجِبًا
لِلثَّوَابِ بِحَبْسِ النَّفْسِ عَنْهَا وَالتَّوْبَةِ مِنْهَا . وَالْأَمْرُ بِيَدِ مَنْ يَفْعَلُ مَا
يَشَاءُ وَيَبْضِئُهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ . عَلَى أَنَّ الْمَعَاشَ لَا بُدَّ مِنْهُ لِلْجَسَدِ .
وَلَا جَسَدَ إِلَّا بِالرُّوحِ . وَطَهَارَةُ الرُّوحِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ فِي الدُّنْيَا
وَالْإِتِّفَاقِ إِلَى مَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ . فَهِيَ فَرَسٌ رَهَانٍ وَرَضِيعَةٌ
لِبَاقٍ . وَمُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَبِاعْتِبَارِ النِّيَّةِ تَفْصِيلُ الْأَجْمَالِ .
وَكَذَلِكَ الْجَسَدُ وَالرُّوحُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْأَعْمَالِ . وَفِي الثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ . وَذَلِكَ مِثْلُ الْأَعْمَى وَالْمُقْعَدِ اللَّذِينَ أَخَذَهُمَا رَجُلٌ
صَاحِبُ بُسْتَانٍ وَأَدْخَلَهُمَا بُسْتَانَهُ وَأَمَرَهُمَا أَنْ لَا يُفْسِدَا فِيهِ وَلَا
يَصْنَعَا فِيهِ أَمْرًا يَضُرُّ بِهِ . فَلَمَّا طَابَتِ أَثْمَارُ الْبُسْتَانِ قَالَ الْمُقْعَدُ
لِلْأَعْمَى : وَيْحَكَ إِنِّي أَرَى أَثْمَارًا طَيِّبَةً وَقَدْ أَشْتَهَيْتَهَا وَلَسْتُ أَقْدِرُ
عَلَى الْقِيَامِ إِلَيْهَا لِأَكُلَ مِنْهَا . فَقُمِ أَنْتَ لِأَنَّكَ صَاحِبُ الرَّجْلَيْنِ .
وَأَتَيْنَا مِنْهَا بِمَا نَأْكُلُ : فَقَالَ الْأَعْمَى : وَيْحَكَ . قَدْ ذَكَرْتَهَا لِي

وَقَدْ كُنْتُ عَنْهَا غَافِلًا . وَلَسْتُ أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . لِأَنِّي لَسْتُ
 أَبْصِرُهَا . فَمَا الْحِيلَةُ فِي تَحْصِيلِ ذَلِكَ : فَيَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ ، إِذْ
 أَتَاهُمَا النَّاطِرُ عَلَى الْبُسْتَانِ . وَكَانَ رَجُلًا عَالِمًا . فَقَالَ لَهُ الْمُقْعَدُ :
 وَيْحَكَ . يَا نَاطِرُ . إِنَّا قَدْ أَشْتَهَيْنَا شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ . وَنَحْنُ كَمَا
 تَرَى أَنَا مُقْعَدٌ وَصَاحِبِي هَذَا أَعْمَى لَا يُبْصِرُ شَيْئًا فَمَا حِيلَتُنَا
 فَقَالَ لَهُمَا النَّاطِرُ : وَيْحَكُمَا أَلَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مَا قَدْ عَاهَدَكُمَا
 عَلَيْهِ صَاحِبُ الْبُسْتَانِ . مِنْ أَنْكُمَا لَا تَتَعَرَّضَانِ لِشَيْءٍ مِمَّا يُؤْثِرُ فِيهِ
 الْفَسَادَ . فَأَنْتَهُمَا وَلَا تَفْعَلَا : فَقَالَا لَهُ : لَا بُدَّ لَنَا مِنْ أَنْ نُصِيبَ
 مِنْ هَذِهِ الثَّمَارِ مَا نَأْكُلُهُ . فَأَخْبَرْنَا بِمَا عِنْدَكَ مِنَ الْحِيلَةِ : فَلَمَّا لَمْ
 يَنْتَهِيَا عَنْ رَأْيِهِمَا قَالَ لَهُمَا : الْحِيلَةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَهْوِمَ الْأَعْمَى
 وَيَحْمَلَكَ أَيُّهَا الْمُقْعَدُ عَلَى ظَهْرِهِ وَيُذْنِيكَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي تُعْجِبُكَ
 أَثْمَارُهَا . حَتَّى إِذَا أَدْنَاكَ مِنْهَا تَجَنَّبِي أَنْتَ مَا أَصَبْتَ مِنَ الثَّمَارِ .
 فَقَامَ الْأَعْمَى وَحَمَلَ الْمُقْعَدَ . وَجَعَلَ الْمُقْعَدُ يَهْدِيهِ إِلَى السَّبِيلِ حَتَّى أَدْنَاهُ
 إِلَى شَجَرَةٍ فَصَارَ الْمُقْعَدُ يَأْخُذُ مِنْهَا مَا أَحَبَّ . وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَائِبَهُمَا
 حَتَّى أَفْسَدَا مَا فِي الْبُسْتَانِ مِنَ الشَّجَرِ . وَإِذَا بِصَاحِبِ الْبُسْتَانِ قَدْ
 جَاءَ وَقَالَ لَهُمَا : وَيْحَكُمَا هَذِهِ أَلْفَعَالُ . أَلَمْ أُعَاهِدَكُمَا عَلَى أَنْ لَا تُفْسِدَا
 فِي هَذَا الْبُسْتَانِ . فَقَالَا لَهُ : قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ لَمْ نَقْدِرْ أَنْ نَصِلَ إِلَى
 شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ لِأَنَّ أَحَدَنَا مُقْعَدٌ لَا يَهْوِمُ وَالْآخَرُ أَعْمَى لَا يُبْصِرُ
 مَا بَيْنَ يَدَيْهِ . فَمَا ذَنْبُنَا

فَقَالَ لَهُمَا صَاحِبُ الْبُسْتَانِ: لَعَلَّكُمْ تَظُنَّانِ أَنِّي لَسْتُ أَذْرِي كَيْفَ
صَنَعْتُمَا وَكَيْفَ أَفْسَدْتُمَا فِي بُسْتَانِي. كَأَنِّي بِكَ أَيُّهَا الْأَعْمَى قَدْ قُتِ
وَحَمَلْتَ الْمُقْعَدَ عَلَى ظَهْرِكَ وَصَارَ يَهْدِيكَ السَّبِيلَ حَتَّى أَوْصَاكَ إِلَى
الشَّجَرِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَهُمَا وَعَاقَبَهُمَا عِقَابًا شَدِيدَةً وَأَخْرَجَهُمَا مِنَ الْبُسْتَانِ
فَالْأَعْمَى مِثَالُ الْجَسَدِ. لِأَنَّهُ لَا يُبْصِرُ إِلَّا بِالنَّفْسِ. وَالْمُقْعَدُ
مِثَالُ النَّفْسِ الَّتِي لَا حَرَكَةَ لَهَا إِلَّا بِالْجَسَدِ. وَأَمَّا الْبُسْتَانُ فَإِنَّهُ مِثَالُ
لِلْعَمَلِ الَّذِي يُجَاوِزُ بِهِ الْعَبْدُ. وَالنَّاظِرُ مِثَالُ الْعَقْلِ الَّذِي يَأْمُرُ بِالْخَيْرِ
وَيَنْهَى عَنِ الشَّرِّ. فَالرُّوحُ وَالْجَسَدُ مُشْتَرِكَانِ فِي الْعِقَابِ وَالْثَوَابِ
قَالَ شِمَاسٌ: صَدَقْتَ وَقَدْ قَبِلْتُ مِنْكَ ذَلِكَ. فَأَخْبِرْنِي عَنْ
الْعَالِمِ الْعَلِيمِ ذِي الرَّأْيِ السَّيِّدِ. وَالْفِطْنَةِ الْوَقَادَةِ وَالذَّهْنِ
الْقَائِقِ الرَّائِقِ. هَلْ يُغَيِّرُهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَنْ هَذِهِ الْحَالَاتِ
الَّتِي ذَكَرْتَ

قَالَ الْغُلَامُ: إِنَّ هَاتَيْنِ الْخِصَامَتَيْنِ إِذَا دَخَلَتَا عَلَى الرَّجُلِ غَيَّرَتَا
عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ وَرَأْيَهُ وَذِهْنَهُ. وَكَانَ مِثْلُهُ مِثْلُ الْعُقَابِ الْكَاسِرِ
الْمُحَاذِرِ عَنِ الْقَتْلِ الْمُقِيمِ فِي جَوْ السَّمَاءِ لِفَرْطِ حِدْقِهِ. فَبَيْنَمَا هُوَ
كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ رَجُلًا صَيَادًا قَدْ نَصَبَ شَرَكَهُ. فَلَمَّا فَرَغَ الرَّجُلُ
مِنْ نَصْبِ الشَّرَكِ وَضَعَ فِيهِ قِطْعَةَ لَحْمٍ. فَعِنْدَ ذَلِكَ أَبْصَرَ الْعُقَابُ
قِطْعَةَ اللَّحْمِ فَعَابَ عَلَيْهِ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ حَتَّى نَسِيَ مَا شَاهَدَ مِنَ
الشَّرَكِ وَمِنْ سُوءِ الْحَالِ لِكُلِّ مَا وَقَعَ مِنَ الطَّائِرِ. فَأَنْقَضَ مِنْ جَوْ

السَّاءُ . حَتَّى وَقَعَ عَلَى قِطْعَةِ اللَّحْمِ فَأَشْتَبَكَ فِي الشَّرْكِ . فَلَمَّا جَاءَ
الصَّيَّادُ رَأَى الْعُقَابَ فِي شَرْكَهِ . فَتَعَجَّبَ عَجَبًا شَدِيدًا وَقَالَ : أَنَا
نَصَبْتُ شَرَكِي لِيَقَعَ فِيهِ حَمَامٌ أَوْ تَحْوُهُ مِنَ الطُّيُورِ الضَّعِيفَةِ . فَكَيْفَ
وَقَعَ فِيهِ هَذَا الْعُقَابُ

وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الرَّجُلَ الْعَاقِلَ إِذَا حَمَلَهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ
يَتَدَبَّرُ عَاقِبَةَ ذَلِكَ الْأَمْرِ بِعَقْلِهِ . فَيَمْتَنِعُ مِمَّا حَسَنَاهُ . وَيَتَهَرُّ بِعَقْلِهِ
شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ . فَإِذَا حَمَلَهُ الْهَوَى وَالشَّهْوَةُ عَلَى أَمْرٍ يَتَّبِعِي أَنْ يَجْعَلَ
الْعَمَلَ مِثْلَ الْفَارِسِ الْمَاهِرِ فِي فُرُوسِيَّتِهِ . إِذَا رَكِبَ الْفَرَسَ الْأَرْعَنَ
فَإِنَّهُ يَجْذِبُهُ بِاللِّجَامِ الشَّدِيدِ حَتَّى يَسْتَقِيمَ . وَيَمِضِي مَعَهُ عَلَى مَا يُرِيدُ .
وَأَمَّا مَنْ كَانَ سَفِيهًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَأْيَ عِنْدَهُ وَالْأُمُورُ مُشْتَبِهَةٌ
عَلَيْهِ وَالْهَوَى وَالشَّهْوَةُ مُسَلِّطَانِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَعْمَلُ بِشَهْوَتِهِ وَهَوَاهُ
فَيَكُونُ مِنَ الْهَالِكِينَ وَلَا يَكُونُ فِي النَّاسِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْهُ

فَبَعْدَ مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَحُسْنِ إِصَابَةٍ فِي الْإِجَابَةِ قَالَ شَمَّاسُ
لِلْمَلِكِ جُلَيْعَادَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ أَنْتَ مَلِكُنَا وَلَكِنْ نَحِبُّ أَنْ تَعْهَدَ لَوْلَدِكَ
بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِكَ وَنَحْنُ الْخَوْلُ وَالرَّعِيَّةُ . فَعِنْدَ ذَلِكَ حَثَّ الْمَلِكُ مَنْ
حَضَرَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالنَّاسِ عَلَى أَنْ مَا سَمِعُوهُ مِنْهُ يُحْفَظُونَهُ وَيَعْمَلُونَ بِهِ .
وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَمْتَثِلُوا أَمْرَ ابْنِهِ فَإِنَّهُ جَعَلَهُ وَلِيَّ عَهْدِهِ مِنْ بَعْدِهِ لِيَكُونَ
خَلِيفَةً عَلَى مُلْكِهِ وَالِدِهِ . وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ
وَالشُّجْعَانِ وَالشُّيُوخِ وَالصِّبْيَانِ وَبَقِيَّةِ النَّاسِ أَنْ لَا يَتَخَالَفُوا عَلَيْهِ

وَلَا يَنْكُشُوا عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَلَمَّا أَتَى عَلَى ابْنِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً
مَرَضَ الْمَلِكُ مَرَضًا شَدِيدًا حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ . فَلَمَّا أَتَقَنَ الْمَلِكُ
أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ نَزَلَ بِهِ قَالَ لِأَهْلِهِ : هَذَا دَاءُ الْمَوْتِ قَدْ نَزَلَ بِي .
فَادْعُوا لِي أَقَارِبِي وَوَلَدِي وَاجْتَمِعُوا لِي أَهْلَ مَمْلَكَتِي . حَتَّى لَا يَبْقَى
مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحْضُرُ . فَخَرَجُوا وَنَادَوْا النَّاسَ الْقَرِيبِينَ وَأَجْهَرُوا
بِالنِّدَاءِ لِلنَّاسِ الْبَعِيدِينَ حَتَّى حَضَرُوا بِأَجْمَعِهِمْ وَدَخَلُوا عَلَى الْمَلِكِ .
ثُمَّ قَالُوا لَهُ : كَيْفَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمَلِكُ وَكَيْفَ تَرَى لِنَفْسِكَ مِنْ مَرَضِكَ
هَذَا . قَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : إِنْ مَرَضِي هَذَا هُوَ الَّذِي فِيهِ الْقَاضِيَةُ وَقَدْ نَفَذَ
السَّهْمُ بِمَا قَدَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ . وَأَنَا الْآنَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا
وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْآخِرَةِ . ثُمَّ قَالَ لِابْنِهِ : أَدْنُ مِنِّي . فَقَدَّامَتْهُ الْغُلَامُ
وَهُوَ يَبْكِي بَكَاءً شَدِيدًا حَتَّى كَادَ أَنْ يَبُلَّ فِرَاشَهُ . وَالْمَلِكُ قَدْ دَمَعَتْ
عَيْنَاهُ وَبَكَى كُلُّ مَنْ حَضَرَ . ثُمَّ قَالَ الْمَلِكُ لَوَلَدِهِ : لَا تَبْكُ يَا ابْنِي .
فَإِنِّي لَسْتُ بِأَوَّلِ مَنْ جَرَى لَهُ هَذَا الْمُخْتَوْمُ لِأَنَّهُ سَافِرٌ عَلَى جَمِيعِ مَا
خَلَقَهُ اللَّهُ . وَأَعْمَلْ خَيْرًا يَسْبِقُكَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَقْصِدُهُ جَمِيعُ
الْخَلَائِقِ . وَلَا تُطِعِ الْهَوَى وَأَشْغَلْ نَفْسَكَ بِذِكْرِ اللَّهِ فِي قِيَامِكَ
وَقُعُودِكَ وَيَقْظَتِكَ وَنَوْمِكَ . وَاجْعَلِ الْخَلْقَ نُصَبَ عَيْنِكَ . وَهَذَا آخِرُ
كَلَامِي مَعَكَ وَالسَّلَامُ :

فَقَالَ الْغُلَامُ لِأَبِيهِ : قَدْ عَلِمْتَ يَا أَبَتِي . أَنِّي لَمْ أَزَلْ لَكَ مُطِيعًا .
وَلَوْ صَيَّتُكَ حَافِظًا وَلَا أَمَرْتُكَ مُنْفِذًا وَلِرِضَاكَ طَالِبًا . وَأَنْتَ لِي نِعَمٌ

الْأَبُ فَكَيْفَ أَخْرَجُ بَعْدَ مَوْتِكَ عَمَّا تَرْضَى بِهِ . وَأَنْتَ بَعْدَ حُسْنِ
 تَرْبِيَّتِي مُفَارِقٌ لِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَى رَدِّكَ عَلَيَّ . فَإِذَا حَفِظْتَ وَصِيَّتَكَ
 صِرْتُ بِهَا سَعِيدًا وَصَارَ لِي النَّصِيبُ الْأَكْبَرُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ وَهُوَ
 فِي غَايَةِ الْأَسْتِغْرَاقِ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ : يَا بُنَيَّ أَلْزَمْ عَشْرَ خِصَالٍ
 يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُنَّ : إِذَا اغْتَضَبْتَ فَأَكْظِمْ غَيْظَكَ .
 وَإِذَا بُلِيتَ فَأَصْبِرْ . وَإِذَا نَطَقْتَ فَأَصْدُقْ . وَإِذَا وَعَدْتَ فَأَوْفِ . وَإِذَا
 حَكَمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا قَدَرْتَ فَأَعْفُ . وَاعْزِمِ قَوَادِكَ . وَأَضْفَحْ عَنْ
 أَعْدَائِكَ . وَأَبْذُلْ مَعْرُوفَكَ لِعَدُوِّكَ . وَكُفْ أَذَاكَ عَنْهُ . وَأَلْزَمْ أَيْضًا
 عَشْرَ خِصَالٍ أُخْرَى يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِكَ وَهِيَ : إِذَا
 قَسِمْتَ فَأَعْدِلْ . وَإِذَا عَاقَبْتَ بِحَقِّ فَلَا تَتَجَبَّرْ . وَإِذَا عَاهَدْتَ فَأَوْفِ
 بِعَهْدِكَ . وَأَقْبَلِ النَّصِحَ . وَأَتْرِكِ اللِّجَاجَةَ . وَأَلْزِمِ الرِّعْيَةَ بِالِاسْتِقَامَةِ
 عَلَى الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ الْحَمِيدَةِ . وَكُنْ حَاجِدًا عَادِلًا بَيْنَ النَّاسِ حَتَّى
 يُحِبَّكَ كَبِيرُهُمْ وَصَغِيرُهُمْ وَيَخَافُكَ عَاتِيَهُمْ وَمُفْسِدُهُمْ . ثُمَّ قَالَ
 لِلْحَاضِرِينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُمَرَاءِ الَّذِينَ كَانُوا حَاضِرِينَ عَهْدَهُ لَوْلَاهُ
 بِالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ : إِنِّي أَمْرٌ مَلِكِكُمْ وَتُخَالَفَةٌ أَمْرٍ مَلِكِكُمْ وَتَرْكُ الْإِسْتِمَاعِ
 لِكَبِيرِكُمْ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ هَلَاكًا لِأَرْضِكُمْ وَتَفَرُّقًا لِمَجْمَعِكُمْ وَضَرَرًا
 لَا بُدَّ أَيْكُمْ وَتَلَفًا لِمَوَالِكُمْ فَتَشَمَّتْ بِكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ . وَهَذَا أَنْتُمْ عَلِمْتُمْ
 مَا عَاهَدْتُمُونِي عَلَيْهِ فَهَكَذَا يَكُونُ عَهْدُكُمْ مَعَ هَذَا الْغُلَامِ وَالْمِثَاقُ
 الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يَكُونُ أَيْضًا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

لأمره . لأن في ذلك صلاح أحوالكم . وأثبتوا معه على ما كنتم
 معي فتستقيم أموركم ويحسن حالكم وها هو ذا ملككم وولي
 نعمتكم والسلامة . ثم بعد هذا أشتدت به سكرات الموت والتجهم
 لسانه . فضم ابنه إليه وقبله وشكر الله ثم قضى نحبهُ . وطلعت
 روحهُ . فذاع عليه جميع رعيته وأهل مملكته . ثم إنهم كفنوه ودفنوه
 بكرام . وتجيل وإعظام . ثم رجعوا والغلام معهم . فألبسوه حلة
 الملك وتوجوه بتاج والده وألبسوه الخاتم في أصبعه وأجاسوه على
 سرير الملك . فسار الغلام فيهم بسيرة أبيه بالحلم والعدل والإحسان
 مدة يسيرة . ثم تعرضت له الدنيا وجذبت به بشهواتها . فاستغنى لذاتها
 وأقبل على زخارف أمورها وترك ما كان قلده أبوه من المواثيق .
 ونبتذ الطاعة لوأله وأهمل مملكته . ومشى في مافيه هلاكه مدة
 من الزمان . إلا أنه بعد عسفه عاد إلى حسن السيرة والسياسة .
 وهذا ما انتهى إليه أمر الملك جليعاد وولده . والحمد لله لا يتهي

حكاية الطيور والوحوش

مع ابن آدم

زعموا أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان .
 طاووس يأوي إلى جانب البحر مع زوجته . وكان ذلك الموضع
 كثير السباع وفيه من سائر الوحوش . غير أنه كثير الأشجار

وَالْأَنْهَارِ . وَذَلِكَ الطَّائُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ يَأْوِيَانِ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ تِلْكَ
الْأَشْجَارِ لَيْلًا مِنْ خَوْفِهِمَا مِنَ الْوُحُوشِ وَيَعْدُوَانِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ
نَهَارًا . وَلَمْ يَزَالَا كَذَلِكَ حَتَّى كَثُرَ خَوْفُهُمَا فَسَارَا يَبْتَغِيَانِ مَوْضِعًا
غَيْرَ مَوْضِعِهِمَا يَأْوِيَانِ إِلَيْهِ . فَبَيْنَمَا هُمَا يُفْتَشَانِ عَلَى مَوْضِعٍ إِذْ ظَهَرَتْ
لَهُمَا جَزِيرَةٌ كَثِيرَةٌ الْأَشْجَارِ وَالْأَنْهَارِ . فَنَزَلَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَآكَلَا
مِنْ أَثْمَارِهَا وَشَرَبَا مِنْ أَنْهَارِهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ إِذَا بِبَطَّةٍ أَقْبَلَتْ
عَلَيْهِمَا وَهِيَ فِي شِدَّةِ الْفَزَعِ . وَلَمْ تَزَلْ تَسْعَى حَتَّى أَتَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ
الَّتِي عَلَيْهَا الطَّائُوسُ هُوَ وَزَوْجَتُهُ فَأُطْمَأْنِنَتْ . فَلَمْ يَشْكُ الطَّائُوسُ
فِي أَنَّ تِلْكَ الْبَطَّةَ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ . فَسَأَلَهَا عَنْ حَالِهَا وَعَنْ سَبَبِ
خَوْفِهَا فَقَالَتْ : إِنِّي مَرِيضَةٌ مِنَ الْحُزَنِ وَخَوْفِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَحَذَارِ
حَذَارٍ مِنْ بَنِي آدَمَ : فَقَالَ لَهَا الطَّائُوسُ : لَا تَخَافِي حَيْثُ وَصَلْتَ إِلَيْنَا .
فَقَالَتِ الْبَطَّةُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَرَّجَ هَمِّي وَغَمِّي بِرُؤُوسِكُمَا وَقَدْ أَتَيْتُ
رَاغِبَةً فِي مَوَدَّتِكُمَا . فَلَمَّا فَرَعْتُ مِنْ كَلَامِهَا نَزَلَتْ إِلَيْهَا زَوْجَتُ
الطَّائُوسِ وَقَالَتْ لَهَا : أَهَلًا وَسَهْلًا لَا بَأْسَ عَلَيْكَ . وَمِنْ أَيْنَ يَصِلُ
إِلَيْنَا ابْنُ آدَمَ وَتَحْنُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْبَحْرِ . فَمِنْ
أَلْبَرٍ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَصِلَ إِلَيْنَا . وَمِنْ الْبَحْرِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَطْلُعَ عَلَيْنَا
فَأَبْشِرِي وَحَدِّثِينَا بِالَّذِي نَزَلَ بِكَ وَأَعْتَرَاكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَقَالَتِ
الْبَطَّةُ : أَعْلَمِي أَنَّهَا الطَّائُوسَةُ أَنِّي فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ طَوْلَ عُمْرِي
أَمِينَةٌ لَا أَرَى مَكْرُوهًا . فَبِئْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي فَرَأَيْتُ صُورَةَ

ابْنِ آدَمَ وَهُوَ يُخَاطِبُنِي وَأَخَاطِبُهُ وَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِي : أَتَيْتَهَا
الْبَطَّةُ . أَحْذَرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . وَلَا تَغْتَرِي بِكَلَامِهِ . وَلَا بِمَا
يُدْخِلُهُ عَلَيْكَ . فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْحِيلِ وَالْخِدَاعِ . فَالْحَذَرُ كُلُّ الْحَذَرِ
مِنْ مَكْرِهِ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَكِرٌ . كَمَا قَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَدُوعُ مِنْكَ كَمَا يَدُوعُ الشَّعْلُ
وَأَعْلَمِي أَنَّ ابْنَ آدَمَ يَحْتَالُ عَلَى الْحَيَاتَانِ فَيُخْرِجُهُمَا مِنَ الْجَارِ .
وَيَرْمِي الطَّيْرَ بِبِنْدُقَةٍ مِنْ طِينٍ . وَيُوقِعُ الْفِيلَ بِمَكْرِهِ . وَابْنُ آدَمَ
لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ شَرِّهِ وَلَا يَنْجُو طَيْرٌ وَلَا وَحْشٌ . وَقَدْ بَلَّغْتُكَ مَا
سَمِعْتُهُ عَنْ ابْنِ آدَمَ . فَاسْتَيْقِظْ مِنْ مَنَامِي خَائِفَةً مَرْعُوبَةً . وَأَنَا
إِلَى الْآنَ لَا يَنْشَرِحُ صَدْرِي خَوْفًا عَلَى نَفْسِي مِنْ ابْنِ آدَمَ لِئَلَّا
يُدْهَمَنِي بِحِيلَتِهِ وَيَصِيدَنِي بِجَبَائِلِهِ . وَلَمْ يَأْتِ عَلَيَّ آخِرُ النَّهَارِ إِلَّا
وَقَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي . وَبَطَلَتْ هِمَّتِي . ثُمَّ إِنِّي أَشْتَقْتُ إِلَى الْأَكْلِ
وَالشُّرْبِ . فَخَرَجْتُ أَتَمَشِّي وَخَاطِرِي مُكَدَّرٌ وَقَلْبِي مَقْبُوضٌ . فَلَمَّا
وَصَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ وَجَدْتُ عَلَى بَابِ مَغَارَةٍ شِبْلًا أَصْفَرَ اللَّوْنِ .
فَلَمَّا رَأَيْتُ ذَلِكَ الشِّبْلَ فَرِحَ بِي فَرَحًا شَدِيدًا وَأَعْجَبَهُ لَوْنِي وَكَوْنِي
لَطِيفَةِ الذَّاتِ . فَصَاحَ عَلَيَّ وَقَالَ لِي : أَقْرُبِي مِنِّي . فَلَمَّا قَرُبْتُ مِنْهُ قَالَ
لِي : مَا أَسْمُكَ وَمَا جِنْسُكَ . فَقُلْتُ لَهُ : أَسْمِي بَطَّةٌ وَأَنَا مِنْ جِنْسِ
الطُّيُورِ . ثُمَّ قُلْتُ لَهُ : مَا سَبَبُ قُعُودِكَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ فِي هَذَا
الْمَكَانِ . فَقَالَ الشِّبْلُ : سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ وَالِدِي الْأَسَدَ لَهُ أَيَّامٌ

وَهُوَ يُحَذِّرُنِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَأَتَّفَقَ أَنِّي رَأَيْتُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ فِي
 مَنَامِي صُورَةَ ابْنِ آدَمَ . ثُمَّ إِنَّ الشَّيْطَانَ حَكَى لِي نَظِيرَ مَا حَكَيْتُهُ لَكَ
 فَلَمَّا سَمِعْتَ كَلَامَهُ قُلْتُ لَهُ يَا أَسَدُ : إِنِّي قَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ فِي
 أَنْ تَقْتُلَ ابْنَ آدَمَ . فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا شَدِيدًا وَأَزْدَدْتُ
 خَوْفًا عَلَى خَوْفِي مِنْ خَوْفِكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ أَنَّكَ سَاطَانُ الْوُحُوشِ .
 وَمَا زِلْتُ يَا أُخْتِي أُحَذِّرُ الشَّيْطَانَ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَأُوصِيهِ بِقَتْلِهِ حَتَّى
 قَامَ مِنْ وَقْتِهِ وَسَاعَتِهِ مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ وَتَمَشَّى وَتَشَبَّهَتْ
 وَرَاءَهُ . فَفَرَّقَ بَيْنَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَلَمْ يَزَلْ يَتَمَشَّى وَأَنَا أَمْشِي وَرَاءَهُ
 إِلَى مَفْرَقِ الطَّرِيقِ . فَوَجَدْنَا غَبْرَةً طَارَتْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَنْكَشَفَتْ
 الْغَبْرَةُ . فَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا حِمَارٌ شَارِدٌ عُرْيَانٌ وَهُوَ تَارَةٌ يَهْمِصُ
 وَيَجْرِي وَتَارَةٌ يَتَمَرَّغُ . فَلَمَّا رَأَاهُ الْأَسَدُ صَاحَ عَلَيْهِ . فَأَتَى إِلَيْهِ
 خَاضِعًا . فَقَالَ لَهُ : أَيُّهَا الْحَيَوَانُ الْخَرِيفُ الْعَقْلُ . مَا جِئْتُكَ وَمَا
 سَبَبُ قُدُومِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ أَنَا
 جِئْتُ حِمَارٌ وَسَبَبُ قُدُومِي إِلَى هَذَا الْمَكَانِ هَرَبِي مِنْ ابْنِ آدَمَ .
 فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : وَهَلْ أَنْتَ خَائِفٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ أَنْ يَقْتُلَكَ . فَقَالَ لَهُ
 الْحِمَارُ : لَا يَا ابْنَ السُّلْطَانِ . وَإِنَّمَا خَوْفِي أَنْ يَعْمَلَ حِيلَةً عَلَيَّ وَيَرْكِبَنِي .
 لِأَنَّ عِنْدَهُ شَيْئًا يُسَمِّيهِ الْبَرْدَعَةَ فَيَجْعَلُهَا عَلَى ظَهْرِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ
 الْحِزَامَ . فَيَشُدُّهُ عَلَى بَطْنِي . وَشَيْئًا يُسَمِّيهِ الْجِجَامَ فَيَجْعَلُهُ فِي فَمِي .
 وَيَعْمَلُ لِي مَخَاسًا يَنْخُسُنِي بِهِ وَيَكْفِيَنِي مَا لَا أُطِيقُ مِنَ الْجُرْيِ .

وَإِذَا عَثَرْتُ لَعَنِي وَإِنْ نَهَيْتُ شَتَمَنِي. وَبَعْدَ ذَلِكَ إِذَا كَبُرْتُ
وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْجُرْيِ يَجْعَلُ لِي رَحْلاً مِنَ الْحَشَبِ وَيُسَلِّمَنِي إِلَى
السَّمَائِينَ فَيَحْمِلُونِ الْمَاءَ عَلَى ظَهْرِي مِنَ الْبَحْرِ فِي الْقَرَبِ وَتَحْوِهَا
كَالْجَرَارِ وَلَا أَزَالُ فِي ذَلِكَ وَهَوَانٍ وَتَعَبٍ حَتَّى أَمُوتَ فَيَرْمُونِي فَوْقَ
الْتَّلَالِ لِلْكَلَابِ. فَأَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ مِنْ هَذَا أَلْهَمَ وَأَيُّ مُصِيبَةٍ أَكْبَرُ
مِنْ هَذِهِ الْمَصَائِبِ

فَلَمَّا سَمِعْتُ أُتِيهَا الطَّائِفَةُ كَلَامَ الْحِمَارِ أَقْشَعَرَّ جَسَدِي مِنْ
أَبْنِ آدَمَ وَقُلْتُ لِلشَّيْبِلِ: يَا سَيِّدِي إِنَّ الْحِمَارَ مَعْدُورٌ. وَقَدْ زَادَنِي
كَلَامُهُ رُعباً عَلَى رُعْيِي. فَقَالَ الشَّيْبِلُ لِلْحِمَارِ: إِلَى أَيْنَ أَنْتِ سَائِرٌ.
فَقَالَ لَهُ الْحِمَارُ: إِنِّي نَظَرْتُ أَبْنَ آدَمَ قَبْلَ إِشْرَاقِ الشَّمْسِ مِنْ بَيْدِهِ.
فَقَرَرْتُ هَرَباً مِنْهُ. وَهَذَا أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَنْطَاقَ. وَلَمْ أَزَلْ أَجْرِي مِنْ
شِدَّةِ خَوْفِي مِنْهُ لَعَلِّي أَجِدُ لِي مَوْضِعاً يَأْوِينِي مِنْ أَبْنِ آدَمَ الْغَدَّارِ
فَإِنَّمَا ذَلِكَ الْحِمَارُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الشَّيْبِلِ فِي ذَلِكَ الْكَلَامِ وَهُوَ
يُرِيدُ أَنْ يُودِعَنَا وَرَوْحَ إِذْ ظَهَرَتْ لَنَا غَبْرَةٌ. وَنَظَرَ الْحِمَارُ بَعَيْنِهِ إِلَى
نَاحِيَةِ الْغَبْرَةِ فَتَهَقَّ وَصَاحَ. وَبَعْدَ سَاعَةٍ أَنْكَشَفَتِ الْغَبْرَةُ عَنْ فَرَسٍ
أَذْهَمَ بَغْرَةً كَالدَّرْهَمِ. وَذَلِكَ الْفَرَسُ ظَرِيفُ الْغُرَّةِ مَلِيحُ التَّحْجِيلِ.
حَسَنُ الْقَوَائِمِ وَالصَّهِيلِ وَلَمْ يَزَلْ يَجْرِي حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الشَّيْبِلِ
أَبْنِ الْأَسَدِ. فَلَمَّا رَأَاهُ الشَّيْبِلُ اسْتَعْظَمَهُ وَقَالَ لَهُ: مَا جِئْتُكَ أَيُّهَا
الْوَحْشُ الْجَلِيلُ. وَمَا سَبَبُ شُرُودِكَ فِي هَذَا الْبَرِّ الْعَرِضِ الطَّوِيلِ.

فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ . أَنَا فَرَسٌ مِنْ جِنْسِ الْخَيْلِ . وَسَبَبُ
شُرُودِي هَرَبِي مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَتَعَجَّبَ الشَّيْلُ مِنْ كَلَامِ الْفَرَسِ وَقَالَ
لَهُ: لَا تَقُلْ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ عَيْبٌ عَلَيْكَ . وَأَنْتَ طَوِيلٌ غَلِيظٌ
وَكَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَعَ عِظَمِ جُثَّتِكَ . وَسُرْعَةِ جَرِيكَ . وَأَنَا مَعَ
صِغَرِ جِسْمِي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْتَقِيَ مَعَ ابْنِ آدَمَ فَأَبْطِشَ بِهِ
وَأَكُلَ لَحْمَهُ وَأَسْكِنَ رَوْعَ هَذِهِ الْبَطَّةِ الْمُسْكِينَةِ وَأُقِرَّهَا فِي وَطَنِهَا .
وَهَا أَنْتَ لَمَّا أَتَيْتَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ قَطَعْتَ قَلْبِي بِكَلَامِكَ وَأَرْجَعْتَنِي
عَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَفْعَلَهُ . فَإِذَا كُنْتُ أَنْتَ مَعَ عِظَمِكَ قَدْ قَهَرْتَ ابْنَ آدَمَ
وَلَمْ يَخَفْ مِنْ طَوَاكِ وَعَرَضِكَ مَعَ أَنَّكَ لَوْ رَفَسْتَهُ بِرِجْلِكَ لَقَتَلْتَهُ
وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ بَلْ تَسْقِيهِ كَأْسَ الرَّدَى . فَضَحِكَ الْفَرَسُ لَمَّا سَمِعَ
كَلَامَ الشَّيْلِ وَقَالَ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ أَنْ أَغْلِبَهُ يَا ابْنَ الْمَلِكِ . فَلَا يَغْرُكَ
طَوِيلِي وَلَا عَرَضِي وَلَا ضَخَامَتِي مَعَ ابْنِ آدَمَ . لِأَنَّهُ مِنْ شِدَّةِ حِيلِهِ وَمَكْرِهِ
يَصْنَعُ لِي شَيْئًا يُقَالُ لَهُ الشَّكَالُ . وَيَضَعُ فِي أَرْبَعِ قَوَائِمِي شِكَا لَيْنَ
مِنْ جِبَالِ الْأَيْفِ الْمَلْفُوفَةِ بِاللَّبَادِ وَيَصْلِبُنِي مِنْ رَأْسِي فِي وَتْدٍ عَالٍ وَأَبْقَى
وَاقِمًا وَأَنَا مَصْلُوبٌ لَا أَقْدِرُ أَنْ أَقْعُدَ وَلَا أَنْامَ . وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَنِي
يَعْمَلُ لِي شَيْئًا فِي رِجْلَيْهِ مِنَ الْحَدِيدِ أَشْمُهُ الرِّكَابُ وَيَضَعُ عَلَى ظَهْرِي
شَيْئًا يُسَمِّيهِ السَّرَجَ وَيَشْدُهُ بِحِزَامَيْنِ مِنْ تَحْتِ إِبْطِي وَيَضَعُ فِي فَمِي
شَيْئًا مِنَ الْحَدِيدِ يُسَمِّيهِ الْجَامَ وَيَضَعُ فِيهِ شَيْئًا مِنَ الْجِلْدِ يُسَمِّيهِ الصِّرْعَ .
فَإِذَا رَكِبَ فَوْقَ ظَهْرِي عَلَى السَّرَجِ يَمْسِكُ الصِّرْعَ بِيَدِهِ وَيُهَوِّدُنِي

بِهِ وَيَهْمُزُنِي بِالرَّكَّابِ فِي خَوَاصِرِي حَتَّى يُذَمِّهَا . وَلَا تَسْأَلْ
يَا ابْنَ السُّلْطَانِ عَمَّا أَقَاسِيهِ مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَإِذَا كَبُرْتُ وَأَنْتُ حِلَّ
ظَهْرِي وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى سُرْعَةِ الْجَرِيِّ يَبِيعُنِي لِلطَّحَّانِ لِيُدَوِّرَنِي فِي
الطَّاحُونِ . فَلَا أَزَالُ دَائِرًا فِيهَا لَيْسًا وَنَهَارًا إِلَى أَنْ أَهْرَمَ فَيَبِيعُنِي
لِلْجَزَّارِ فَيَذْبَحْنِي وَيَسْلُخُ جِلْدِي وَيَتَيْفُ ذَنْبِي وَيَبِيعُهُمَا لِلْغَرَابِلِيِّ
وَالْمَنَاخِلِيِّ وَيَسْلَا شَحْمِي

فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْبِلُ كَلَامَ الْفَرَسِ أَزْدَادَ غَيْظًا وَغَمًّا وَقَالَ لَهُ : مَتَى
فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ . قَالَ فَارَقْتُهُ نِصْفَ النَّهَارِ وَهُوَ فِي أَثَرِي . فَيَنِمُّ
الشَّيْبِلُ يَتَحَدَّثُ مَعَ الْفَرَسِ بِهَذَا الْكَلَامِ إِذَا بَغْبَرَةٌ ثَارَتْ . وَبَعْدَ ذَلِكَ
أَنْكَشَفَتِ الْبَغْبَرَةُ وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا جَمَلٌ هَائِجٌ وَهُوَ يَبِيعُ وَيَخْطُبُ بِرِجْلَيْهِ
فِي الْأَرْضِ وَلَمْ يَزَلْ يَفْعَلُ كَذَلِكَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْنَا . فَلَمَّا رَأَاهُ الشَّيْبِلُ
كَبِيرًا غَلِيظًا ظَنَّ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ فَأَرَادَ الْوُثُوبَ عَلَيْهِ . فَقَالَتْ لَهُ : يَا ابْنَ
السُّلْطَانِ . إِنَّ هَذَا مَا هُوَ ابْنُ آدَمَ وَإِنَّمَا هَذَا جَمَلٌ وَكَأَنَّهُ هَارِبٌ
مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَيَنِمُّ أَنَا يَا أُخْتِي مَعَ الشَّيْبِلِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا
بِالْجَمَلِ تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِي الشَّيْبِلِ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ
وَقَالَ لَهُ : مَا سَبَبُ مَجِيئِكَ فِي هَذَا الْمَكَانِ . قَالَ : جِئْتُ هَارِبًا مِنْ
ابْنِ آدَمَ . قَالَ لَهُ الشَّيْبِلُ : وَأَنْتَ مَعَ عِظَمِ خَلْقِكَ وَطَوْلِكَ وَعَرْضِكَ
كَيْفَ تَخَافُ مِنْ ابْنِ آدَمَ وَلَوْ رَفَصَتْهُ بِرِجْلِكَ رَفْصَةً لَقَتَلْتَهُ . فَقَالَ لَهُ
الْجَمَلُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ . أَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَهُ دَوَاهٍ لَا تُطَاقُ وَمَا

يَغْلِبُهُ إِلَّا الْمَوْتُ . لِأَنَّهُ يَضَعُ فِي أَتْفَى خَيْطًا وَيُسَمِّيهِ خِزَامًا وَيَجْعَلُ فِي
رَأْسِي مِقْوَدًا وَيُسَامِنِي إِلَى أَصْغَرِ أَوْلَادِهِ فَيَجِرُنِي الْوَلَدُ الصَّغِيرُ بِالْخَيْطِ
مَعَ كِبَرِي وَعِظْمِي وَيَحْمِلُونِي أَثْقَلَ الْأَحْمَالِ وَيُسَافِرُونَ بِي الْأَسْفَارَ
الطُّوَالَ وَيَسْتَعْمِلُونِي فِي الْأَشْغَالِ الشَّاقَّةِ آتَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ .
وَإِذَا كَبُرْتُ وَشَحْتُ أَوْ انْكَسَرْتُ فَلَا يَحْفَظُ صُحْبَتِي بَلْ يَبِيعُونِي لِلْجَزَّارِ
فَيَذِبُونِي وَيَبِيعُ جِلْدِي لِلدَّبَّاعِينَ وَلَحْمِي لِلطَّبَّاخِينَ . وَلَا تَسْأَلُ عَمَّا أَقَامَنِي
مِنْ ابْنِ آدَمَ . فَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : أَيَّ وَقْتٍ فَارَقْتَ ابْنَ آدَمَ . فَقَالَ :
فَارَقْتُهُ وَقْتَ الْغُرُوبِ . وَأَظْنُهُ يَأْتِي عِنْدَ انْصِرَافِي فَلَا يَجِدُنِي فَيَسْمَعُ
فِي طَلْبِي . فَدَعَانِي يَا ابْنَ السُّلْطَانِ حَتَّى أَهْجُ فِي الْبَرَارِيِّ وَالْقِفَارِ .
فَقَالَ الشَّيْطَانُ : تَهَلَّ قَلِيلًا يَا جَمَلُ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ أَفْتَرِسُهُ وَأُطْعِمُكَ مِنْ
لَحْمِهِ وَأَهْشِمُ عَظْمَهُ وَأَشْرَبُ مِنْ دَمِهِ : فَقَالَ لَهُ الْجَمَلُ : يَا ابْنَ السُّلْطَانِ .
أَنَا خَائِفٌ عَلَيْكَ مِنْ ابْنِ آدَمَ فَإِنَّهُ مُخَادِعٌ مَا كَرُّ . ثُمَّ أَنْشَدَ
قَوْلَ الشَّاعِرِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ
فَإِنَّمَا الْجَمَلُ يُتَحَدَّثُ مَعَ الشَّيْطَانِ فِي هَذَا الْكَلَامِ . وَإِذَا بَغَبَرَتْ
ظَلَمَتْ وَبَعْدَ سَاعَةٍ انْكَشَفَتْ عَنْ شَيْخٍ قَصِيرٍ رَقِيقٍ الْبَشَرَةِ عَلَى
كَتِفِهِ مِقْطَفٌ فِيهِ عُدَّةُ نَجَارٍ وَعَلَى رَأْسِهِ شُعْبَةٌ وَثَمَانِيَةُ الْوَاحِ
وَبِيْدِهِ أَقْفَالٌ صَغَارٌ وَهُوَ يَهْرُولُ فِي مَشْيِهِ وَمَا زَالَ يَمْشِي
حَتَّى قَرُبَ مِنَ الشَّيْطَانِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ يَا أُخْتِي . وَقَعَتْ مِنْ شِدَّةِ

الْخَوْفِ . وَأَمَّا السَّبِيلُ فَإِنَّهُ قَامَ وَتَمَشَّى إِلَيْهِ وَلَاقَاهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ
 صَحَبَكَ النَّجَّارُ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ بِلِسَانٍ فَصِيحٍ : أَيُّهَا الْمَلِكُ الْجَلِيلُ .
 صَاحِبُ الْبَاعِ الطَّوِيلِ . أَسْعَدَ اللَّهُ مَسَائِكَ وَمَسْعَاكَ . وَزَادَ فِي
 شَجَاعَتِكَ وَقَوَاكَ . أَجَرَنِي مِمَّا دَهَانِي . وَبَشَّرَهُ رَمَانِي . لِأَنِّي مَا
 وَجَدْتُ لِي نَصِيرًا غَيْرَكَ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيِ الْأَسَدِ
 وَبَكَى . وَأَنَّ وَأَشْتَكَى . فَلَمَّا سَمِعَ السَّبِيلُ بُكَاءَهُ وَشَكْوَاهُ قَالَ لَهُ :
 أَجَرْتُكَ مِمَّا تَخْشَاهُ . فَمَنْ الَّذِي قَدْ ظَلَمَكَ . وَمَا أَنْتَ تَكُونُ أَيُّهَا
 الْوَحْشُ . الَّذِي مَا رَأَيْتُ غُمْرِي مِثْلَكَ . وَلَا أَحْسَنَ صُورَةً . وَلَا
 أَفْصَحَ لِسَانًا مِنْكَ . فَمَا شَأْنُكَ . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ :
 أَمَّا أَنَا فَنَجَّارٌ : وَأَمَّا الَّذِي ظَلَمَنِي فَإِنَّهُ ابْنُ آدَمَ وَفِي صَبَاحِ هَذِهِ
 اللَّيْلَةِ يَكُونُ عِنْدَكَ فِي هَذَا الْمَسْكَنِ . فَلَمَّا سَمِعَ السَّبِيلُ مِنَ النَّجَّارِ
 هَذَا الْكَلَامَ . تَبَدَّلَ الضِّيَاءُ فِي وَجْهِهِ بِالظُّلَامِ . وَشَخَّرَ وَنَحَرَ
 وَارْتَمَتْ عَيْنَاهُ بِالشَّرَرِ . وَصَاحَ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَا سَهْرَنَ فِي هَذِهِ
 اللَّيْلَةِ إِلَى الصَّبَاحِ . وَلَا أَرْجِعُ إِلَى وَالِدِي حَتَّى أَبْلُغَ مَقْصِدِي : ثُمَّ
 إِنَّ السَّبِيلَ أَلْفَتَ إِلَى النَّجَّارِ وَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرَى خَطَوَاتِكَ قَصِيرَةً
 وَلَا أَقْدِرُ أَنْ أَكْثِرَ بِخَاطِرِكَ لِأَنِّي ذُو مَرُوءَةٍ وَأَنْلَنُ أَنَّكَ لَا تَقْدِرُ
 أَنْ تَمَاشِيَ الْوُحُوشَ . فَأَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ :
 أَعْلَمُ أَنَّ نِيَّ رَاجِحٌ إِلَى وَزِيرِ وَالِدِكَ الْقَهْدِ . لِأَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ ابْنَ
 آدَمَ دَاسَ هَذِهِ الْأَرْضَ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ خَوْفًا عَظِيمًا وَأَرْسَلَ

إِلَى رَسُولٍ مِنَ الْوُحُوشِ لِأَصْنَعَ لَهُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ وَيَأْوِي إِلَيْهِ
وَيَمْنَعُ عَنْهُ عَدُوَّهُ حَتَّى لَا يَصِلَ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ بَنِي آدَمَ . فَلَمَّا جَاءَنِي
الرَّسُولُ أَخَذْتُ هَذِهِ الْأَلْوَاحَ وَتَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ
كَلَامَ النَّجَّارِ أَخَذَهُ الْحَسَدُ لِلْفَهْدِ . فَقَالَ لَهُ : بِحَيَاتِي لَا بُدَّ أَنْ
تَصْنَعَ لِي هَذِهِ الْأَلْوَاحَ بَيْتًا قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَ لِلْفَهْدِ بَيْتَهُ . وَإِذَا
فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي فَأَمْضِ إِلَى الْفَهْدِ وَأَصْنَعْ لَهُ مَا يُرِيدُ . فَلَمَّا سَمِعَ
النَّجَّارُ مِنَ الشَّيْلِ هَذَا الْكَلَامَ قَالَ لَهُ : يَا سَيِّدَ الْوُحُوشِ . مَا
أَقْدِرُ أَنْ أَصْنَعَ لَكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا صَنَعْتُ لِلْفَهْدِ مَا يُرِيدُ . ثُمَّ أَجَبَنِي
إِلَى خِدْمَتِكَ وَأَصْنَعُ لَكَ بَيْتًا يُحَصِّنُكَ مِنْ عَدُوِّكَ . فَقَالَ لَهُ
الشَّيْلُ : وَاللَّهِ مَا أَخْلَيْكَ رُوحٌ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ حَتَّى تَصْنَعَ لِي
هَذِهِ الْأَلْوَاحَ بَيْتًا . ثُمَّ إِنَّ الشَّيْلَ هَمَّ عَلَى النَّجَّارِ وَوَثَبَ عَلَيْهِ .
وَأَرَادَ أَنْ يَمْزَحَ مَعَهُ فَلَطَسَهُ بِيَدِهِ فَرَمَى الْمِقْطَفَ مِنْ عَلَى كَتِفِهِ
وَوَقَعَ النَّجَّارُ مَغْشِيًا عَلَيْهِ . فَضَحِكَ الشَّيْلُ عَلَيْهِ وَقَالَ لَهُ : وَيْلَكَ
يَا نَجَّارُ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَمَا لَكَ قُوَّةٌ فَأَنْتَ مَعْدُورٌ إِذْ خِفْتَ مِنْ
ابْنِ آدَمَ . فَلَمَّا وَقَعَ النَّجَّارُ عَلَى ظَهْرِهِ اغْتَاظَ غَيْظًا شَدِيدًا وَلَكِنَّهُ
كَتَمَ ذَلِكَ عَنِ الشَّيْلِ مِنْ خَوْفِهِ مِنْهُ . فَقَعَدَ النَّجَّارُ عَلَى حَبْلِهِ
وَضَحِكَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ لَهُ : هَا أَنَا أَصْنَعُ لَكَ الْبَيْتَ . ثُمَّ إِنَّ
النَّجَّارَ تَنَاوَلَ الْأَلْوَاحَ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ وَسَمَّرَ الْبَيْتَ وَجَعَلَهُ مِثْلَ
الْمَنَابِ عَلَى قِيَاسِ الشَّيْلِ وَخَلَّى بَابَهُ مَفْتُوحًا . لِأَنَّهُ جَعَلَهُ عَلَى

صُورَةُ الصُّنْدُوقِ وَفَتَحَ لَهُ طَاقَةً كَبِيرَةً وَجَعَلَ لَهَا غِطَاءً كَبِيرًا
وَتَقَبَ فِيهِ ثِقَبًا كَثِيرَةً وَأَخْرَجَ مِنْهَا مَسَامِيرَ مُطْرَفَةٍ وَقَالَ لِلشَّيْلِ :
أَدْخُلْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ هَذِهِ الطَّاقَةِ حَتَّى أَقْبِسَهُ عَلَيْكَ : فَقَرِحَ
الشَّيْلُ بِذَلِكَ وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الطَّاقَةِ فَرَأَاهَا ضَيِّقَةً . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ :
أَدْخُلْ وَأَبْرِكْ عَلَى يَدَيْكَ وَرِجْلَيْكَ : فَقَعَلَ الشَّيْلُ ذَلِكَ وَدَخَلَ
الصُّنْدُوقَ فَبَقِيَ ذَنْبُهُ خَارِجًا فِي آخِرِهِ . فَأَرَادَ الشَّيْلُ أَنْ يَتَأَخَّرَ
إِلَى وَرَائِهِ وَيَخْرُجَ . فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ : أَهْلُ وَأَصْبِرْ حَتَّى أَنْظُرَ هَلْ
يَسْمَعُ ذَنْبُكَ مَعَكَ : فَأَمْتَشَلَ الشَّيْلُ أَمْرَهُ . ثُمَّ إِنَّ النَّجَّارَ لَفَّ ذَنْبَ
الشَّيْلِ وَحَشَاهُ فِي الصُّنْدُوقِ وَرَدَّ اللُّوحَ عَلَى الطَّاقَةِ سَرِيعًا وَسَمَرَهُ .
فَصَاحَ الشَّيْلُ قَائِلًا : يَا نَجَّارُ مَا هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي صَنَعْتَهُ لِي . دَعْنِي
أَخْرُجَ مِنْهُ : فَقَالَ لَهُ النَّجَّارُ : هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ . لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ عَلَى مَا قَاتَ .
إِنَّكَ لَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ . ثُمَّ ضَحِكَ النَّجَّارُ وَقَالَ لِلشَّيْلِ : إِنَّكَ
وَقَعْتَ فِي الْقَفْصِ وَمَا بَقِيَ لَكَ خَلَاصٌ مِنْ ضَيْقِ الْأَقْفَاصِ يَا أَخْبَثَ
الْوُحُوشِ : فَقَالَ : يَا أَخِي مَا هَذَا الْخِطَابُ الَّذِي تُخَاطِبُنِي بِهِ . فَقَالَ لَهُ
النَّجَّارُ : أَعْلَمْ يَا كَلْبَ الْبَرِّ أَنَّكَ قَدْ وَقَعْتَ فِي مَا كُنْتَ تَخَافُ مِنْهُ
وَقَدْ رَمَاكَ الْقَدَرُ وَلَمْ يَنْفَعَكَ الْحَذَرُ . فَلَمَّا سَمِعَ الشَّيْلُ كَلَامَهُ يَا أَخِي
عَلِمَ أَنَّهُ ابْنُ آدَمَ الَّذِي حَذَرَهُ مِنْهُ أَبُوهُ فِي الْبَقِظَةِ وَالْهَاتِفِ فِي الْمَنَامِ .
وَأَنَّا تَحَقَّقْتُ أَنَّهُ هُوَ بِلَا شَكٍّ وَلَا رَيْبٍ وَخِفْتُ مِنْهُ عَلَى نَفْسِي خَوْفًا
عَظِيمًا وَبَعُدْتُ عَنْهُ قَلِيلًا وَصِرْتُ أَنْتَظِرُ مَاذَا يَفْعَلُ بِالشَّيْلِ . فَرَأَيْتُ

يَا أُخْتِي ابْنِ آدَمَ حَفَرَ حُفْرَةً فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ بِالْقُرْبِ مِنَ
الصُّنْدُوقِ الَّذِي فِيهِ الشَّيْبِلُ وَرَمَاهُ فِي تِلْكَ الْحُفْرَةِ وَأَلْقَى عَلَيْهِ
الْحَطَبَ وَأَحْرَقَهُ بِالنَّارِ . فَكَبُرَ يَا أُخْتِي خَوْفِي وَلِي يَوْمَانِ وَأَنَا هَارِبَةٌ
مِنْ ابْنِ آدَمَ وَخَائِفَةٌ مِنْهُ

فَلَمَّا سَمِعَتْ الطَّاوُوسَةُ مِنَ الْبَطَّةِ هَذَا الْكَلَامَ . تَعَجَّبَتْ مِنْهُ غَايَةً
الْعَجَبِ وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي . إِنَّكَ آمِنَةٌ مِنْ ابْنِ آدَمَ . لِأَنَّنا فِي جَزِيرَةٍ مِنْ
جَزَائِرِ الْبَحْرِ . لَيْسَ لِابْنِ آدَمَ فِيهَا مَسَلَاكٌ . فَأَخْتَارِي الْمَقَامَ عِنْدَنَا إِلَى أَنْ
يُسَهِّلَ اللَّهُ أَمْرَكَ وَأَمْرَنَا : قَالَتْ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَطْرُقَنِي طَارِقٌ .
وَالْقَضَاءُ لَا يَنْفَكُ عَنْهُ أَبَقُ . فَقَالَتْ : أَقْعِدِي عِنْدَنَا . وَأَنْتِ مِثْلُنَا .
وَمَا زَالَتْ بِهَا حَتَّى قَعَدَتْ وَقَالَتْ : يَا أُخْتِي أَنْتِ تَعْلَمِينَ قِلَّةَ صَبْرِي .
وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُكَ هُنَا مَا كُنْتُ قَعَدْتُ : فَقَالَتْ الطَّاوُوسَةُ : إِنْ كَانَ
عَلَى جِيشِنَا شَيْءٌ نَسْتَوْفِيهِ . وَإِنْ كَانَ دَنَا أَجَلُنَا فَمَنْ يُخَلِّصُنَا . وَلَنْ
تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا . فَبَيْنَمَا هُمَا فِي هَذَا الْكَلَامِ .
إِذْ طَلَعَتْ عَلَيْهِمَا غَبْرَةٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ صَاحَتِ الْبَطَّةُ وَرَزَلَتْ فِي
الْبَحْرِ . وَقَالَتْ : الْحَذَرُ الْحَذَرُ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَفْرُجٌ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ :
قَبْعَدَ سَاعَةٌ أَنْ تَكْشِفَتِ الْغَبْرَةُ . وَبَانَ مِنْ تَحْتِهَا ظَبْيٌ . فَأُطْلِمَا أَنْتِ
الْبَطَّةُ وَالطَّاوُوسَةُ . ثُمَّ قَالَتْ لِلْبَطَّةِ : يَا أُخْتِي إِنْ الَّذِي بَصُرْتَ
وَحَذَرْتَ مِنْهُ ظَبْيٌ وَهَاهُوَ قَدْ أَقْبَلَ نَحُونَا . فَلَيْسَ عَلَيْنَا مِنْهُ بَأْسٌ
لِأَنَّ الظَّبْيَ إِنَّمَا يَأْكُلُ الْحَشَائِشَ مِنْ نَبَاتِ الْأَرْضِ . وَكَمَا أَنْتِ

مِنْ جِنْسِ الطَّيْرِ . هُوَ الْآخَرُ مِنْ جِنْسِ الْوُحُوشِ . فَأُطْمِئِنِّي وَلَا
 تَهْتَمِّي . فَإِنَّ أَلْهَمَ يُنْخَلُ الْبَدَنُ : فَلَمْ تُتِمَّ الطَّاوُوسَةُ كَلَامَهَا حَتَّى
 وَصَلَ الظَّبْيُ إِلَيْهِمَا . يَسْتَظِلُّ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ . فَلَمَّا رَأَى الطَّاوُوسَةَ
 وَالْبَطَّةَ سَلَّمَ عَلَيْهِمَا وَقَالَ لهُمَا : إِنِّي دَخَلْتُ إِلَى هَذِهِ الْجَزِيرَةِ
 الْيَوْمَ فَلَمْ أَرْ أَكْثَرَ مِنْهَا خِصْبًا وَلَا أَحْسَنَ مِنْهَا مَسْكِنًا . ثُمَّ
 دَعَاهُمَا لِمِرَافَقَتِهِ وَمُصَافَاةِهِ . فَلَمَّا رَأَتْ الْبَطَّةُ وَالطَّاوُوسَةُ تَوَدُّدَهُ
 إِلَيْهِمَا أَقْبَلَتَا عَلَيْهِ وَرَغِبَتَا فِي عِشْرَتِهِ . فَتَصَادَقُوا وَتَحَالَفُوا عَلَى ذَلِكَ
 وَصَارَ مِثْلَهُمْ وَاحِدًا وَمَا كَلَّمَهُمْ وَمَشَرِبَهُمْ سِوَاءً . وَلَمْ يَزَالُوا آمِنِينَ
 أَكْلِينَ شَارِبِينَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ سَفِينَةٌ كَانَتْ تَأْتِيهِ فِي الْبَحْرِ .
 فَأَرَسَتْ قَرِيبًا مِنْهُمْ فَطَلَعَ النَّاسُ وَتَفَرَّقُوا فِي الْجَزِيرَةِ فَرَأَوْا اجْتِمَاعَ
 الظَّبْيِ وَالطَّاوُوسَةِ وَالْبَطَّةِ فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَتْهُمْ الطَّاوُوسَةُ
 صَعِدَتْ إِلَى الشَّجَرَةِ ثُمَّ طَارَتْ فِي الْجَوِّ وَشَرَدَ الظَّبْيُ فِي الْبَرِّيَّةِ
 فَبَقِيََتِ الْبَطَّةُ مُخْبَلَّةً . وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى صَادُوهَا وَصَاحَتْ قَائِلَةً :
 لَمْ يَنْفَعْنِي الْحَذَرُ مِنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ . وَأَنْصَرَفُوا بِهَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ .
 فَلَمَّا رَأَتْ الطَّاوُوسَةُ مَا جَرَى لِلْبَطَّةِ ارْتَحَلَتْ مِنَ الْجَزِيرَةِ وَقَالَتْ :
 لَا أَرَى الْأَقَاتِ إِلَّا مُرَاصِدَةً لِكُلِّ أَحَدٍ وَلَوْلَا هَذِهِ السَّفِينَةُ مَا
 حَصَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ هَذِهِ الْبَطَّةِ اقْتِرَاقٌ . وَلَقَدْ كَانَتْ مِنْ خِيَارِ
 الْأَصْدِقَاءِ : ثُمَّ طَارَتْ الطَّاوُوسَةُ وَاجْتَمَعَتْ بِالظَّبْيِ فَسَلَّمَ عَلَيْهَا
 وَهَنَّاها بِالسَّلَامَةِ وَسَلَّمَاها عَنِ الْبَطَّةِ . فَقَالَتْ لَهُ : أَخَذَهَا الْعَدُوُّ

وَكَرِهْتُ الْمَقَامَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ بَعْدَهَا . ثُمَّ بَكَتْ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ
وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ :

إِنَّ يَوْمَ الْفِرَاقِ قَطَعَ قَلْبِي قَطَعَ اللَّهُ قَلْبَ يَوْمِ الْفِرَاقِ
ثُمَّ قَالَتْ أَيْضًا هَذَا أَلَيْتَ :

تَمَنَيْتُ الْوِصَالَ يَوْمًا لِأُخْبِرَهُ بِمَا صَنَعَ الْفِرَاقُ
فَأَغَمَّ الظُّبِّيُّ غَمًّا شَدِيدًا وَرَدَّ عَزَمَ الطَّائُوسَةِ عَنْ الرَّحِيلِ
فَأَقَامَتْ مَعَ الظُّبِّيِّ آمِنِينَ أَكْلِينَ شَارِبِينَ . غَيْرَ أَنَّهُمَا لَمْ يَزَالَا
حَزِينَيْنِ عَلَى فِرَاقِ الْبَطَّةِ . فَقَالَ الظُّبِّيُّ لِلطَّائُوسَةِ : يَا أُخْتِي . قَدْ
عَلِمْتُ أَنَّ النَّاسَ الَّذِينَ طَلَعُوا لَنَا مِنَ الْمَرْكَبِ كَانُوا سَبَبًا لِفِرَاقِنَا
وَلِهَلَاكِ الْبَطَّةِ فَأَحْذَرِيهِمْ وَأَحْذَرِي سِيَّ مِنْهُمْ وَمِنْ مَكْرِ بَنِي آدَمَ
وَحِدَاعِهِ . قَالَتْ : قَدْ عَلِمْتُ يَقِينًا أَنَّ مَا قَتَلَهَا غَيْرُ تَرْكِهَا التَّسْبِيحَ
وَلَقَدْ قُلْتُ لَهَا : إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ تَرْكِكَ التَّسْبِيحِ . لِأَنَّ كُلَّ
شَيْءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ يُسَبِّحُهُ . فَإِنْ غَفَلَ عَنِ التَّسْبِيحِ عُوقِبَ بِهَلَاكِهِ .
فَلَمَّا سَمِعَ الظُّبِّيُّ كَلَامَ الطَّائُوسَةِ قَالَ : أَحْسَنَ اللَّهُ صُورَتَكَ .
وَأَقْبَلَ عَلَى التَّسْبِيحِ لَا يَفُتُّ عَنْهُ سَاعَةً . وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ تَسْبِيحَ
الظُّبِّيِّ . سُجَّانَ الدِّيَّانِ ذِي الْجَبُرُوتِ وَالسُّلْطَانِ

حِكَايَةُ الطُّيُورِ

زَعَمُوا أَنَّ طَيْرًا مِنَ الطُّيُورِ . طَارَ وَعَلَا إِلَى الْجَوِّ . ثُمَّ أَنْقَضَ
عَلَى صَخْرَةٍ فِي وَسْطِ الْمَاءِ وَكَانَ الْمَاءُ جَارِيًا . فَبَيْنَمَا الطَّائِرُ وَقِفُ

إِذَا هُوَ بِرِمَّةٍ إِنْسَانٍ جَرَّهَا الْمَاءُ حَتَّى أَسْنَدَهَا إِلَى تِلْكَ الصَّخْرَةِ وَقَدْ
 انْتَفَحَتْ وَارْتَفَعَتْ . فَدَنَا مِنْهَا طَيْرُ الْمَاءِ وَتَأَمَّلَهَا فَرَأَاهَا رِمَّةٌ ابْنُ
 آدَمَ فَوَجَدَ فِيهَا ضَرْبَ سُوفٍ وَطَعَنَ رِمَاحٍ . فَقَالَ طَيْرُ الْمَاءِ فِي
 نَفْسِهِ : أَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْمَقْتُولَ كَانَ شَرِيرًا فَأَجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ
 فَقَتَلُوهُ وَأَسْتَرَأَوْا مِنْهُ وَمِنْ شَرِّهِ . وَلَمْ يَزَلْ طَيْرُ الْمَاءِ حَازِرًا وَهُوَ
 يَتَعَجَّبُ . فَمِنْهَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا يُسُورُ وَعَقَبَانِ أَحَاطُوا بِتِلْكَ الْجَيْفَةِ مِنْ
 جَمِيعِ جَوَانِبِهَا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ طَيْرُ الْمَاءِ جَزَعًا شَدِيدًا وَقَالَ :
 لَا صَبْرَ لِي عَلَى الْإِقَامَةِ فِي هَذَا الْمَكَانِ . ثُمَّ طَارَ مِنْهُ يُفَتِّشُ عَلَى
 مَوْضِعٍ يَأْوِيهِ إِلَى حِينَ تَنْقُذُ تِلْكَ الْجَيْفَةَ وَتَرْوِحُ سِبَاعُ الطُّيُورِ
 عَنْهَا . وَلَمْ يَزَلْ طَائِرًا حَتَّى وَجَدَ نَهْرًا فِي وَسْطِهِ شَجَرَةً . فَنَزَلَ عَلَيْهَا
 مُتَغَيِّرًا كَثِيرًا خَرِينًا عَلَى فِرَاقِ وَطَنِهِ وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا زَالَتْ
 الْأَحْزَانُ تَتَّبِعُنِي وَكُنْتُ قَدْ اسْتَرَحْتُ لَمَّا رَأَيْتُ تِلْكَ الْجَيْفَةَ وَفَرِحْتُ
 بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا وَقُلْتُ : هَذَا رِزْقُ سَاقَةِ اللَّهِ إِلَيَّ . فَصَارَ فَرَحِي غَمًّا
 وَسُرُورِي حُزْنًا وَهَمًّا . فَأَخَذَتْهَا وَأَفْتَرَسَتْهَا سِبَاعُ الطُّيُورِ مِنِّي وَحَالُوا
 بَيْنِي وَبَيْنَهَا . فَكَيْفَ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ سَالِمًا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِنَ الْكَدَرِ
 وَأَظْمِنُ إِلَيْهَا . وَقَدْ قِيلَ فِي الْمَثَلِ : الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ يُغْتَرُّ
 بِهَا مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . وَيَطْمَئِنُّ إِلَيْهَا بِمَالِهِ وَقَوْمِهِ وَعَشِيرَتِهِ . وَلَمْ يَزَلِ
 الْمُغْتَرُّ بِهَا رَاكِنًا إِلَيْهَا يَخْتَالُ فَوْقَ الْأَرْضِ حَتَّى يَصِيرَ تَحْتَهَا وَيَخْشُو
 عَلَيْهِ التُّرَابَ أَعَزُّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبُهُمْ لَدَيْهِ . وَمَا لَلْفَتَى خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

عَلَى هُمُومٍ وَمَكَارِهِهَا . وَقَدْ فَارَقْتُ مَكَانِي وَوَطَنِي وَكُنْتُ كَارِهَا بِفُرْقَةٍ :
إِخْوَانِي وَأَحِبَّائِي وَخُلَايَايَ

فَبَيْنَمَا هُوَ فِي فِكْرَتِهِ إِذَا بِذَكَرٍ مِنَ السَّالِحِينَ أَقْبَلَ مُنْهَدِرًا فِي
الْمَاءِ وَدَنَانٍ مِنْ طَيْرِ الْمَاءِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَقَالَ : يَا سَيِّدِي مَا الَّذِي حَجَبَكَ
وَأَبْعَدَكَ عَنْ مَوْضِعِكَ : قَالَ : حُلُولُ الْأَعْدَاءِ فِيهِ وَلَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى
مُجَاوَرَةِ عَدُوِّهِ . وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ

إِذَا حَلَّ الثَّقِيلُ بِأَرْضِ قَوْمٍ فَمَا لِلسَّاكِنِينَ سِوَى الرَّحِيلِ
فَقَالَ لَهُ الْغَيْلَمُ : إِنْ كَانَ الْأَثَرُ كَمَا وَصَفْتَهُ وَأَحَالُ مِثْلَ مَا
ذَكَرْتَهُ . فَأَنَا لَا أَزَالُ بَيْنَ يَدَيْكَ وَلَا أَفَارِقُكَ لِأَقْضِيَ لَكَ حَاجَتَكَ
وَأُفِي بِخِدْمَتِكَ . فَإِنَّهُ قِيلَ : لَا وَخَشَّةَ أَشَدُّ مِنْ وَخَشَةِ الْغَرِيبِ الْمُنْقَطِعِ
عَنْ أَهْلِهِ وَوَطَنِهِ . وَقَدْ قِيلَ : إِنْ فُرْقَةُ الصَّالِحِينَ لَا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ
الْمَصَائِبِ . وَأَحْسَنُ مَا يُسَلَّى بِهِ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ الْأَسْتِثْنَاءُ فِي الْغُرْبَةِ
وَالصَّبْرِ عَلَى الرِّزْيَةِ وَالْكُرْبَةِ . وَأَرْجُو أَنْ تَحْمَدَ صُحْبَتِي مَعَكَ .
وَأَكُونُ لَكَ خَادِمًا وَمُعِينًا . فَلَمَّا سَمِعَ طَيْرُ الْمَاءِ مَقَالَ الْغَيْلَمِ . قَالَ لَهُ :
لَقَدْ صَدَقْتَ فِي قَوْلِكَ . وَلَعَمْرِي إِنِّي وَجَدْتُ لِلْفِرَاقِ الْمَاءَ وَغَمًّا مُدَّةً
بُعْدِي عَنْ مَكَانِي وَفِرَاقِي لِإِخْوَانِي وَخُلَايَايَ لِأَنَّ فِي الْفِرَاقِ عِبْرَةً لِمَنْ
أَعْتَبَرَ وَفِكْرَةً لِمَنْ تَفَكَّرَ . وَإِذَا لَمْ يَجِدِ الْفَتَى مِنْ يُسَلِّيه مِنْ الْأَصْحَابِ
يَنْقُطِعُ عَنْهُ الْخَيْرُ أَبَدًا وَيَثْبُتُ الشَّرُّ سَرْمَدًا . وَائْتَسِ لِلْعَاقِلِ إِلَّا التَّسْلِيَّ
بِالْإِخْوَانِ عَنِ الْهُمُومِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ . وَمُلَازِمَةَ الصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ .

فَإِنَّهُمَا خَصَلَتَانِ مُحَمَّدَتَانِ . يُعِينَانِ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَتَوَائِبِ الدَّهْرِ .
وَيَدْفَعَانِ الْفَزَعَ وَالْجَزَعَ فِي كُلِّ أَمْرٍ . فَقَالَ لَهُ الْغَيْلِمُ : إِيَّاكَ وَالْجَزَعَ .
فَإِنَّهُ يُفْسِدُ عَلَيْكَ عَيْشَكَ . وَيَذْهَبُ مِرْوَتَكَ : وَمَا زَالَا يَتَخَدَّثَانِ مَعَ
بَعْضِهِمَا إِلَى أَنْ قَالَ طَيْرُ الْمَاءِ لِلْغَيْلِمِ : أَنَا لَمْ أَزَلْ أَخْشَى نَوَائِبَ
الزَّمَانِ وَطَوَارِقَ الْحَدَثَانِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْغَيْلِمُ مَقَالَ طَيْرِ الْمَاءِ أَقْبَلَ
عَلَيْهِ وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لَهُ : لَمْ تَرَلْ جَمَاعَةَ الطَّيْرِ تَتَبَرَّكُ بِكَ
وَتَعْرِفُ فِي مَشُورَتِكَ الْخَيْرَ . فَكَيْفَ تَحْمِلُ الِثْمَ وَالضَّرِيرَ . وَلَمْ يَزَلْ
يُسَكِّنُ رَوْعَ طَيْرِ الْمَاءِ حَتَّى أَطْمَأَنَّ . ثُمَّ إِنَّ طَيْرَ الْمَاءِ طَارَ إِلَى
مَكَانِ الْجَيْفَةِ . فَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ لَمْ يَرِ مِنْ سِبَاعِ الطَّيْرِ شَيْئًا .
وَلَا مِنْ تِلْكَ الْجَيْفَةِ إِلَّا عِظَامًا فَرَجَعَ وَأَخْبَرَ الْغَيْلِمَ بِزَوَالِ الْعَدُوِّ
مِنْ مَكَانِهِ وَقَالَ لَهُ : أَعْلَمْ أَنِّي أَحِبُّ الرُّجُوعَ إِلَى مَكَانِي لِأَتَمَّأَى
بِخُلَايَ . فَإِنَّهُ لَا صَبْرَ لِلْعَاقِلِ عَلَى فِرَاقِ وَطْنِهِ . فَأَتَيَا إِلَى ذَلِكَ
الْمَكَانِ فَلَمْ يَجِدَا شَيْئًا مِمَّا يَخَافَانِ مِنْهُ فَأَنْشَدَ طَيْرُ الْمَاءِ يَقُولُ :
وَلَرُبَّ نَازِلَةٍ يَضِيقُ لَهَا الْهَوَى
ذُرْعًا وَعِنْدَ اللَّهِ مِنْهَا الْخُرْجُ
ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَمَكَّتْ حَلَقَاتِهَا
فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظْنُهَا لَا تُفْرِجُ
ثُمَّ إِنَّهُمَا سَكَنَا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ . فَيُنَا طَيْرُ الْمَاءِ مَسْرُورَ أَمِينٍ .
إِذْ سَاقَ الْقَضَاءُ إِلَيْهِ بَازِيًا جَائِعًا . فَضَرَبَهُ بِعِغَالِهِ فِي بَطْنِهِ ضَرْبَةً
فَقَتَلَهُ وَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ الْحَذَرُ عِنْدَ فَرَاحِ الْأَجَلِ . وَسَبَبُ قَتْلِهِ غَفْلَتُهُ
عَنِ التَّنَبُّهِ . قِيلَ إِنَّ تَسْبِيحَهُ سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا قَدَّرَ وَدَبَّرَ .

سُبْحَانَ رَبِّنَا فِي مَا أَغْنَىٰ وَأَفْقَرَ . هَذَا مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ طَيْرِ الْمَاءِ
وَجَوَارِحِ الطُّيُورِ

الدُّرَّاجُ وَالسَّلَاحِفُ

وَهُوَ مِثْلُ مَنْ رَضِيَ بِاللَّذَّةِ الْيَسِيرَةِ فَهَلَكَ

حُكِيَ أَنَّ سَلَاحِفَ كَانَتْ فِي جَزِيرَةٍ مِنَ الْجَزَائِرِ . وَكَانَتْ تِلْكَ
الْجَزِيرَةُ ذَاتَ أَشْجَارٍ وَأَثْمَارٍ وَأَنْهَارٍ . فَأَتَفَقَ أَنَّ دُرَّاجًا اجْتَارَ بِهَا يَوْمًا .
وَقَدْ أَصَابَهُ الْحَرُّ وَالْتَعَبُ . فَلَمَّا أَضْرَبَ بِهِ ذَلِكَ حَطَّ مِنْ طَيْرَانِهِ فِي
تِلْكَ الْجَزِيرَةِ الَّتِي بِهَا تِلْكَ السَّلَاحِفُ . فَلَمَّا رَأَى السَّلَاحِفُ اِلْتِحَاءَ إِلَيْهَا
وَنَزَلَ عِنْدَهَا . وَكَانَتْ السَّلَاحِفُ تَرَعَى فِي جِهَاتِ الْجَزِيرَةِ . ثُمَّ تَرْجِعُ
إِلَى مَكَانِهَا . فَلَمَّا رَجَعَتْ مِنْ مَسَارِحِهَا إِلَى مَكَانِهَا . رَأَتْ الدُّرَّاجَ
فِيهِ . فَلَمَّا رَأَتْهُ أَعْجَبَهَا . وَزَيْنَهُ اللَّهُ لَهَا . فَسَبَّحَتْ خَالِقَهَا وَأَحْبَبَتْ هَذَا
الدُّرَّاجَ حُبًّا شَدِيدًا وَفَرِحَتْ بِهِ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ : لَا شَكَّ أَنَّ
هَذَا مِنْ أَحْسَنِ الطُّيُورِ . فَصَارَتْ كُلُّهَا تُلَاطِفُهُ وَتَجَنُّعُ إِلَيْهِ . فَلَمَّا
رَأَى مِنْهَا عَيْنَ الْمَحَبَّةِ مَالَ إِلَيْهَا وَأَسْتَأْنَسَ بِهَا . وَصَارَ يَطِيرُ إِلَى أَيِّ
جِهَةٍ أَرَادَ . وَعِنْدَ الْمَسَاءِ يَرْجِعُ إِلَى الْمَبِيتِ عِنْدَهَا . فَإِذَا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ
يَطِيرُ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ وَصَارَتْ هَذِهِ عَادَتَهُ . وَأَسْتَمَرَ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ
مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ . فَلَمَّا رَأَتْ السَّلَاحِفُ أَنَّ غِيَابَهُ عَنْهَا يُوحِشُهَا
وَتَحَقَّقَتْ أَنَّهَا لَا تَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ . وَإِذَا أَصْبَحَ طَارَ مُبَادِرًا وَلَا
تَشْعُرُ بِهِ مَعَ زِيَادَةِ حُبِّهَا لَهُ . قَالَ بَعْضُهَا : إِنَّ هَذَا الدُّرَّاجَ قَدْ أَحْبَبْنَاهُ

رَصَارَ لَنَا صَدِيقًا . وَمَا بَقِيَ لَنَا قُدْرَةٌ عَلَى فِرَاقِهِ . فَمَا يَكُونُ مِنَ الْحِيلَةِ
 الْمَوْصَلَةِ إِلَى إِقَامَتِهِ عِنْدَنَا دَائِمًا . لِأَنَّهُ إِذَا طَارَ يَغِيبُ عَنَّا النَّهَارَ كُلَّهُ
 وَلَا نَرَاهُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ . فَأَشَارَتْ عَلَيْهَا وَاحِدَةٌ قَائِلَةً : أَسْتَرِخْنَ
 يَا أَخَوَاتِي وَأَنَا أَجْعَلُهُ لَا يُفَارِقُنَا طَرَفَةَ عَيْنٍ . فَقَالَ لَهَا الْجَمِيعُ : إِنْ
 فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنَّا لَكَ كُلُّنَا عَمِيدًا

فَلَمَّا حَضَرَ الدَّرَاجُ مِنْ مَسَرِّحِهِ وَجَلَسَ بَيْنَهَا تَقَرَّبَتْ مِنْهُ
 السُّلْخَفَاءُ الْمُحْتَالَةُ وَدَعَتْ لَهُ وَهَنَاتُهُ بِالسَّلَامَةِ وَقَالَتْ لَهُ : يَا سَيِّدِي
 أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَكَ مِنَّا الْمَحَبَّةَ وَكَذَلِكَ أَوْدَعَ قَلْبَكَ مَحَبَّتَنَا
 وَصَرَتْ لَنَا فِي هَذَا الْقَفْرِ أُنَيْسًا وَأَحْسَنُ أَوْقَاتِ الْمُحِبِّينَ إِذَا كَانُوا
 مُجْتَمِعِينَ وَالْبَلَاءُ الْعَظِيمُ فِي الْبُعْدِ وَالْفِرَاقِ . وَلَكِنَّكَ تَتْرُكُنَا
 عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَلَمْ تَعُدْ إِلَيْنَا إِلَّا عِنْدَ الْغُرُوبِ فَيَصِيرُ عِنْدَنَا
 وَحْشَةٌ زَائِدَةٌ . وَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا وَنَحْنُ فِي وَجْدٍ عَظِيمٍ
 بِهَذَا السَّبَبِ . فَقَالَ لَهَا الدَّرَاجُ : نَعَمْ أَنَا عِنْدِي مَحَبَّةٌ لَكُنَّ وَأَشْتِيَاقٌ
 عَظِيمٌ إِلَيْكُمْ زِيَادَةً عَلَى مَا عِنْدَكُمْ وَفِرَاقُكُمْ لَيْسَ سَهْلًا عِنْدِي .
 لَكِنْ مَا بِيَدِي حِيلَةٌ فِي ذَلِكَ لِكُونِي طَيْرًا بِأَجْنَحَةٍ فَلَا يُمْكِنُنِي
 الْمَقَامُ مَعَكُمْ دَائِمًا لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ طَبِيعِي . فَإِنَّ الطَّيْرَ إِذَا
 الْأَجْنَحَةُ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقَرٌّ إِلَّا فِي اللَّيْلِ لِأَجْلِ النَّوْمِ . وَإِذَا أَصْبَحَ
 طَارَ وَسَرَحَ فِي أَيِّ مَوْضِعٍ أَعْجَبَهُ . فَقَالَتْ لَهُ السُّلْخَفَاءُ : صَدَقْتَ
 وَلَكِنْ ذُو الْأَجْنَحَةِ فِي غَالِبِ الْأَوْقَاتِ لَا رَاحَةَ لَهُ لِكُونِهِ لَا يَنَالُهُ

مِنَ الْخَيْرِ رُبُّ مَا يَحْصُلُ لَهُ مِنَ الْمَشَقَّةِ وَغَايَةُ الْمُتَصَوِّدِ لِلشَّخْصِ
الرِّفَافِيَّةِ وَالرَّاحَةِ . وَنَحْنُ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمَحَبَّةَ وَالْأُلْفَةَ
وَنَحْشَى عَلَيْكَ مِمَّنْ يَصْطَادُكَ مِنْ أَعْدَائِكَ فَتَهْلِكَ وَتُحْرَمُ مِنْ
رُؤْيَا وَجْهِكَ

فَأَجَابَهَا الدُّرَّاجُ قَائِلًا : صَدَقْتَ . وَلَكِنْ مَا عِنْدَكَ مِنَ الرَّأْيِ
وَالْحِيلَةِ فِي أَمْرِي . فَقَالَتْ لَهُ : الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَنْتَفِ سَوَاعِدُكَ
الَّتِي تُسْرِعُ بِطَيْرَانِكَ وَتَقْعُدَ عِنْدَنَا مُسْتَرِيمًا وَتَأْكُلَ مِنْ
أَكْلَانَا وَتَشْرَبَ مِنْ شَرْبِنَا فِي هَذِهِ الْمَسْرَحَةِ الْكَثِيرَةِ الْأَشْجَارِ
الْيَانَعَةِ الْأَثْمَارِ وَنَقِيمِ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ الْمُخْصَبِ
وَيَتَنَعَّ كُلُّ مَنَا بِصَاحِبِهِ . فَمَالَ الدُّرَّاجُ إِلَى قَوْلِهَا وَقَصَدَ الرَّاحَةَ
لِنَفْسِهِ . ثُمَّ نَتَفَ رِيْشَهُ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ حَتَّى مَا اسْتَحْسَنَهُ
مِنْ رَأْيِ السُّلُفَاءِ وَاسْتَقَرَّ عِنْدَهُنَّ عَائِشًا مَبْعُوثًا وَرَضِي بِاللَّذَّةِ
الْيَسِيرَةِ وَالطَّرَبِ الزَّائِلِ

فَبَيْنَمَا هُنَّ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ إِذَا بِابْنِ عَرَسٍ قَدْ مَرَّ فَرَمَتْهُ بِعَيْنِهِ
وَتَأَمَّلَهُ فَرَأَاهُ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ لَا يَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ . فَأَمَّا رَأَاهُ عَلَى
تِلْكَ الْحَالَةِ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : إِنَّ هَذَا الدُّرَّاجَ سَمِينُ
اللَّحْمِ قَلِيلُ الرِّيشِ . ثُمَّ دَنَا مِنْهُ ابْنُ عَرَسٍ وَأَقْرَسَهُ . فَصَاحَ الدُّرَّاجُ
وَطَلَبَ النُّجْدَةَ مِنَ السَّلَاحِ فَلَمْ يَنْجُدْهُ بَلْ تَبَاعَدَنَ عَنْهُ وَأَنْكَشَنَ
فِي بَعْضِهِنَّ . لَمَّا رَأَيْنِ ابْنَ عَرَسٍ قَائِمًا عَلَيْهِ . وَحَيْثُ رَأَيْنِ ابْنَ عَرَسٍ

يَعِدُّ بِهِ خَتَمَهُنَّ الْبُكَاءُ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُنَّ الدُّرَّاجُ : هَلْ عِنْدَكُنَّ شَيْءٌ
غَيْرُ الْبُكَاءِ . فَقُلْنَ لَهُ : يَا أَخَانَا لَيْسَ لَنَا قُوَّةٌ وَلَا طَاقَةٌ وَلَا حِيلَةٌ فِي
أَمْرِ ابْنِ عَرَسٍ . فَحَزِنَ الدُّرَّاجُ عِنْدَ ذَلِكَ وَقَطَعَ الرَّجَاءَ مِنْ حَيَاةِ
نَفْسِهِ وَقَالَ لَهُنَّ : لَيْسَ لَكُنَّ ذَنْبٌ إِنَّمَا الذَّنْبُ لِي حَيْثُ أَطَعْتُكُمْ
وَنَتَقْتُ أَجَنَّتِي الَّتِي أَطِيرُ بِهَا . فَأَنَا أَسْتَحِقُّ الْهَلَكَ لِمَطَاوَعَتِي لَكُنَّ
وَلَا أَلُومُكُمْ فِي شَيْءٍ

الشَّعَابُ وَالذَّنْبُ

وَهُوَ مَثَلٌ مَنْ لَمْ يَعْدِلْ فِي تَحْكُمِهِ . فَتَكُونُ عَاقِبَتُهُ الْبَوَارُ
زَعَمُوا أَنَّ جَمَاعَةً مِنَ الشَّعَابِ . خَرَجُوا ذَاتَ يَوْمٍ يَطْلُبُونَ مَا
يَأْكُلُونَ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَجُولُونَ فِي طَابِ ذَلِكَ . إِذَا هُمْ بِجَمَلٍ مَيِّتٍ .
فَقَالُوا فِي أَنْفُسِهِمْ : قَدْ وَجَدْنَا مَا نَعِيشُ بِهِ زَمَانًا طَوِيلًا . وَلَكِنْ
نَخَافُ أَنْ يَبْغِيَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ . وَيَمِيلَ الْأَقْوَى بِقُوَّتِهِ عَلَى الضَّعِيفِ .
فَإِنَّكَ الضَّعِيفُ مِنَّا . فَيَبْغِي لَنَا أَنْ نَطَّابَ حَكْمًا يَحْكُمُ بَيْنَنَا وَنَجْعَلَ
لَهُ نَصِيبًا فَلَا يَكُونُ لِلْأَقْوَى سُلْطَةٌ عَلَى الضَّعِيفِ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَتَشَاوَرُونَ
فِي شَأْنِ ذَلِكَ . وَإِذَا يَذُوبُ أَقْبَلَ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنْ
أَصَابَ رَأْيُكُمْ فَاجْعَلُوا هَذَا الذَّنْبَ حَكْمًا بَيْنَنَا لِأَنَّهُ أَقْوَى النَّاسِ .
وَأَبُوهُ سَابِقًا كَانَ سُلْطَانًا عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَعْدِلَ بَيْنَنَا .
ثُمَّ إِنَّهُمْ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا صَارَ إِلَيْهِ رَأْيُهُمْ وَقَالُوا : لَقَدْ
حَكَمْنَاكَ بَيْنَنَا لِأَجْلِ أَنْ تُعْطِيَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا مَا يَقُوَّتُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ .

عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ لئَلَّا يَبْغِي قُوْنًا عَلَى ضَعِيفِنَا فِيْهِكَ بَعْضُنَا بَعْضًا .
 فَأَجَابَهُمُ الذِّبُّ إِلَى قَوْلِهِمْ وَتَعَاطَى أُمُورَهُمْ وَقَسَمَ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ
 الْيَوْمِ مَا كَفَاهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ الذِّبُّ فِي نَفْسِهِ : إِنْ قَسَمَ
 هَذَا الْجَمَلُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ الْعَاجِزِينَ لَا يَعُودُ عَلَيَّ مِنْهَا شَيْءٌ إِلَّا الْجُزْءُ
 الَّذِي جَعَلُوهُ لِي . وَإِنْ أَكَّأْتُ وَحْدِي فَهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ لِي ضَرْأً مَعَ
 أَنَّهُمْ غَنَمٌ لِي وَلِأَهْلِ بَيْتِي . فَمَنْ الَّذِي يَمْنَعُنِي عَنْ أَخْذِ هَذَا لِنَفْسِي .
 وَلَعَلَّ اللَّهَ مُسَيِّبُهُ لِي بِغَيْرِ جَمِيلَةٍ مِنْهُمْ . فَأَلَحَّسَنُ لِي أَنْ أَخْتَصَّ بِهِ
 دُونَهُمْ وَمِنْ هَذَا الْوَقْتِ لَا أُعْطِيهِمْ شَيْئًا . فَلَمَّا أَصْبَحَ الثَّعَالِبُ
 جَاؤَا إِلَيْهِ عَلَى الْعَادَةِ يَطْلُبُونَ مِنْهُ قُوْتَهُمْ فَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ
 أَعْطِنَا مَوْتَةَ يَوْمِنَا . فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا : مَا بَقِيَ عِنْدِي شَيْءٌ أُعْطِيهِ لَكُمْ .
 فَذَهَبُوا مِنْ عِنْدِهِ عَلَى أَسْوَأِ حَالٍ ثُمَّ قَالُوا : إِنْ اللَّهَ أَوْقَعَنَا فِي هَمٍّ
 عَظِيمٍ مَعَ هَذَا الْخَائِنِ الْحَيْثِ الَّذِي لَا يَتَّقِي اللَّهَ وَلَا يَخَافُهُ وَلَيْسَ
 لَنَا حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ . ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : إِنَّمَا جَمَلُهُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ
 ضَرُورَةُ الْجُوعِ . فَدَعَوْهُ الْيَوْمَ يَأْكُلُ مِنْهُ حَتَّى يَشْبَعَ وَفِي غَدٍ نَذْهَبُ
 إِلَيْهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا لَهُ : يَا أَبَا سِرْحَانَ إِنَّمَا وَلَيْنَاكَ
 عَلَيْنَا لِأَجْلِ أَنْ تَدْفَعَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا قُوْتَهُ وَتُنْصِفَ الضَّعِيفَ
 مِنَ الْقَوِيِّ . وَإِذَا فَرَغَ تَجَهَّدْنَا لَنَا فِي تَحْصِيلِ غَيْرِهِ وَنَصِيرَ دَائِمًا
 تَحْتَ كَنَفِكَ وَرِعَايَتِكَ . وَقَدْ مَسَّنَا الْجُوعُ وَلَنَا يَوْمَانِ مَا أَكَلْنَا .
 فَأَعْطِنَا مَوْتَتَنَا . وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ جَمِيعِ مَا تَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنْ دُونِ

ذَلِكَ . فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا بَلْ - أَزْدَادَ قَسْوَةٍ . قَرَّاجُوهُ فَلَمْ
يَرْجِعْ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : لَيْسَ لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا أَنَّا نَنْطَلِقُ إِلَى
الْأَسَدِ وَنَزِمِي أَنْفُسَنَا عَلَيْهِ . وَنَحْمِلُ لَهُ الْجَمْلَ فَإِنْ أَحْسَنَ لَنَا بِشَيْءٍ
مِنْهُ كَانَ مِنْ فَضْلِهِ وَإِلَّا فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْ هَذَا الْخَبِيثِ . ثُمَّ انْطَلَقُوا
إِلَى الْأَسَدِ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ مَعَ الذِّئْبِ ثُمَّ قَالُوا لَهُ : نَحْنُ
عَبِيدُكَ وَقَدْ جِئْنَاكَ مُسْتَجِيرِينَ بِكَ لِتُخَلِّصَنَا مِنْ هَذَا الذِّئْبِ وَنُصِيرَ
لَكَ عَبِيدًا . فَلَمَّا سَمِعَ الْأَسَدُ كَلَامَ الثَّعَالِبِ أَخَذَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَارَ لِلَّهِ
تَعَالَى وَمَضَى مَعَهُمْ إِلَى الذِّئْبِ . فَلَمَّا رَأَى الذِّئْبُ الْأَسَدَ مُقْبِلًا
طَلَبَ الْفِرَارَ مِنْ قُدَّامِهِ . فَجَرَى الْأَسَدُ خَلْفَهُ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَمَزَقَهُ
قِطْعًا وَمَكَّنَ الثَّعَالِبَ مِنْ قَرِيبَتِهِمْ . فَمِنْ هَذَا يَنْتُجُ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
لِأَحَدٍ أَنْ يَتَهَاوَنَ فِي أَمْرِ رِعَايَتِهِ

السَّنْدَبَادُ الْحَمَالُ

إِنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلِيفَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ
بَغْدَادَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالُ وَكَانَ رَجُلًا فَقِيرَ الْحَالِ
يَحْمِلُ بِأُجْرَتِهِ عَلَى رَأْسِهِ . فَاتَّفَقَ لَهُ أَنَّهُ حَمَلَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ
حَمْلَةً ثَقِيلَةً وَكَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ شَدِيدَ الْحَرِّ فَتَعَبَ مِنْ تِلْكَ الْحَمْلَةِ
وَعَرِقَ وَأَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ . فَهَرَّ عَلَى بَابِ رَجُلٍ تَاجِرٍ قُدَّامَهُ كُنُسٌ
وَرَشٌّ وَهُنَاكَ هَوَاءٌ مُعْتَدِلٌ وَكَانَ بِجَانِبِ الْبَابِ مِصْطَبَةٌ عَرِيضَةٌ
فَحَطَّ الْحَمَالُ حَمْلَتَهُ عَلَى تِلْكَ الْمِصْطَبَةِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَشْمَّ الْهَوَاءَ فَخَرَجَ

عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ نَسِيمٌ رَائِقٌ وَرَائِحَةٌ ذَكِيَّةٌ فَاسْتَلَذَّ الْحَمَالُ
لِذَلِكَ وَجَلَسَ عَلَى جَانِبِ الْمِصْطَبَةِ . فَسَمِعَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ نَغَمَ
أُوتَارٍ وَعُودٍ وَأَصْوَاتًا مُطْرِبَةً وَأَنْوَاعَ إِنْشَادٍ مُغْرِبَةً . وَسَمِعَ أَيْضًا
أَصْوَاتَ طُيُورٍ تُنَاقِي وَتُسَبِّحُ اللَّهَ تَعَالَى بِاخْتِلَافِ الْأَصْوَاتِ وَسَائِرِ
اللُّغَاتِ مِنْ قَمَارِيٍّ وَهَزَارٍ وَشَحَارِيرٍ وَبُلْبُلٍ وَفَاحِشَةٍ وَكَرَوَانٍ . فَعِنْدَ
ذَلِكَ تَعَجَّبَ فِي نَفْسِهِ وَطَرِبَ طَرَبًا شَدِيدًا . فَتَقَدَّمَ إِلَى الْبَابِ
فَوَجَدَ دَاخِلَ الْبَيْتِ بُسْتَانًا عَظِيمًا وَنَظَرَ فِيهِ غُلَمَانًا وَعَبِيدًا وَخَدَمًا
وَحَشَمًا وَشَيْئًا لَا يُوجَدُ إِلَّا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ
هَبَّتْ عَلَيْهِ رَائِحَةٌ أَطْعَمَتْ طَبِيعَةَ ذَكِيَّةٍ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ
وَالشَّرَابِ الطَّيِّبِ . فَرَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : سُبْحَانَكَ يَا رَبِّ
يَا خَالِقُ يَا رَازِقُ تَزُودُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ
جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ مِنَ الْعُيُوبِ . يَا رَبِّ لَا أَعْتَزُّ بِعَلَيْكَ
فِي حُكْمِكَ وَقُدْرَتِكَ فَإِنَّكَ لَا تُسَالُ عَمَّا تَفْعَلُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ . سُبْحَانَكَ تَغْنِي مَنْ تَشَاءُ وَتُفْقِرُ مَنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ . لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ مَا أَعْظَمَ شَأْنُكَ وَمَا أَقْوَى سُلْطَانُكَ
وَمَا أَحْسَنَ تَذْوِيرَكَ قَدْ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ مِنْ تَشَاءٍ مِنْ عِبَادِكَ . فَهَذَا
الْمَكَانُ صَاحِبُهُ فِي غَايَةِ النِّعْمَةِ وَهُوَ مُتَلَذِّذٌ بِالرَّوَائِحِ اللَّاطِيفَةِ
وَالْمَأْكَلِ اللَّذِيزَةِ وَالْمَشَارِبِ الْفَاخِرَةِ فِي سَائِرِ الصِّفَاتِ . وَقَدْ
حَكَمْتَ فِي خَلْقِكَ بِمَا تُرِيدُ وَقُدْرَتُهُ عَلَيْهِمْ . فَمِنْهُمْ تَعْبَانُ وَمِنْهُمْ

مُسْتَرِيحٌ وَمِنْهُمْ سَعِيدٌ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلِي فِي غَايَةِ التَّعَبِ
وَالذُّلِّ . وَأَنْشَدَ يَقُولُ

فَكَمْ مِنْ شَقِيٍّ بِلَا رَاحَةٍ
وَأَصْبَحْتُ فِي تَعَبٍ زَائِدٍ
وَعَيْرِي سَعِيدٌ بِلَا شَقْوَةٍ
يَنْعَمُ فِي عَيْشِهِ دَائِمًا
وَكُلُّ الْخَلَائِقِ مِنْ نُطْقَةٍ
وَالْكَنَّ شَتَانٌ مَا بَيْنَنَا
وَلَسْتُ أَقُولُ عَلَيْكَ أَفْتِرَاءً
يَنْعَمُ فِي خَيْرٍ فِيءٍ وَظِلٍّ
وَأَمْرِي عَجِيبٌ وَقَدْ زَادَ حَمْلِي
وَمَا حَمَلَ الدَّهْرَ يَوْمًا كَحَمْلِي
بِبَسْطٍ وَعِزٍّ وَشُرْبٍ وَأَكْلٍ
أَنَا مِثْلُ هَذَا وَهَذَا كَمِثْلِي
وَشَتَانٌ مَا بَيْنَ خَمْرٍ وَخَلٍّ
فَأَنْتَ حَكِيمٌ حَكَمْتَ بِعَدْلٍ

فَلَمَّا فَرَغَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالَ مِنْ شِعْرِهِ وَنَظْمِهِ أَرَادَ أَنْ يَحْمِلَ
حَمَلَتَهُ وَيَسِيرَ إِذْ قَدْ طَاعَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَابِ غُلَامٌ صَغِيرٌ السِّنِّ حَسَنُ
الْوَجْهِ مَلِيحٌ الْقَدِّ فَاخِرُ الْمَلَأِيسِ . فَقَبَضَ عَلَى يَدِ الْحَمَالِ وَقَالَ لَهُ :
أَدْخُلْ كَلِمَ سَيِّدِي فَإِنَّهُ يَدْعُوكَ . فَأَرَادَ الْحَمَالُ الْإِمْتِنَاعَ مِنَ الدُّخُولِ مَعَ
الْغُلَامِ فَأَمَّ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ . فَحَطَّ حَمَلَتَهُ عِنْدَ الْبَوَابِ فِي دَهْلِيزِ الْمَسْكَنِ
وَدَخَلَ مَعَ الْغُلَامِ دَاخِلَ الدَّارِ . فَوَجَدَ دَارًا مَلِيحَةً وَعَلِيهَا أَنْسٌ وَوَقَارٌ
وَنَظَرَ إِلَى مَجْلِسٍ عَظِيمٍ فَنَظَرَ فِيهِ مِنَ السَّادَاتِ الْكِرَامِ وَالْمَوَالِي
الْعِظَامِ وَفِيهِ مِنْ جَمِيعِ أَصْنَافِ الزَّهْرِ وَجَمِيعِ أَصْنَافِ الْمَشْمُومِ وَمِنْ
أَنْوَاعِ النُّقْلِ وَالْقَوَاكِهِ وَشَيْئًا كَثِيرًا مِنْ أَصْنَافِ الْأَطْعِمَةِ النَّفِيسَةِ .
وَفِيهِ مَشْرُوبٌ مِنْ خَوَاصِّ دَوَالِي الْكُرُومِ وَفِيهِ آلَاتُ السَّمَاعِ .

وَالطَّرَبِ مِنْ أَصْنَافِ الْجَوَارِي الْحَسَانِ كُلِّ مِنْهُمْ فِي مَقَامِهِ عَلَى
حَسَبِ التَّرْتِيبِ . وَفِي صَدْرِ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ عَظِيمٌ مُحْتَرَمٌ قَدْ
لَكَزَهُ الشَّيْبُ فِي عَوَارِضِهِ وَهُوَ مَلِيحُ الصُّورَةِ حَسَنُ الْمَنْظَرِ وَعَلَيْهِ
هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ وَعِزٌّ وَافْتِحَارٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ بَهَتْ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالُ وَقَالَ
فِي نَفْسِهِ : وَاللَّهِ إِنْ هَذَا الْمَكَانَ مِنْ بَعْضِ الْجِنَانِ أَوْ إِنَّهُ يَكُونُ
قَصْرَ مَلِكٍ أَوْ سُلْطَانٍ : ثُمَّ إِنَّهُ تَأَدَّبَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وَدَعَا لَهُمْ وَقَبَّلَ
الْأَرْضَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَوَقَفَ وَهُوَ مُنْكَسِرُ الرَّأْسِ مُتَخَشِّعٌ . فَأَذِنَ لَهُ
صَاحِبُ الْمَكَانِ بِالْجُلُوسِ فَجَلَسَ وَقَدْ قَرَّبَهُ إِلَيْهِ وَصَارَ يُؤَانِسُهُ
بِالْكَلَامِ وَيَرْحَبُ بِهِ . ثُمَّ قَدَّمَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَنْوَاعِ الطَّعَامِ الْمُمْتَنِعِ
الطَّيِّبِ النَّفِيسِ . فَتَقَدَّمَ السَّنْدَبَادُ الْحَمَالُ وَسَمَّى وَآكَلَ حَتَّى اكْتَفَى
وَشَبِعَ وَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ . ثُمَّ إِنَّهُ غَسَلَ يَدَيْهِ وَشَكَرَهُمْ عَلَى
ذَلِكَ . فَقَالَ صَاحِبُ الْمَكَانِ : مَرْحَبًا بِكَ وَنَهَارُكَ مُبَارَكٌ . فَمَا يَكُونُ
أَسْمُكَ . وَمَا تُعَانِي مِنْ الصَّنَائِعِ . فَقَالَ لَهُ : يَا سَيِّدِي أَسْمِي السَّنْدَبَادُ
الْحَمَالُ وَأَنَا أَجْلُ عَلَى رَأْسِي أَسْبَابَ النَّاسِ بِالْأَجْرَةِ . فَتَبَسَّمَ صَاحِبُ
الْمَكَانِ وَقَالَ لَهُ : أَعْلَمْ يَا حَمَالُ أَنَّ أَسْمُكَ مِثْلُ أَسْمِي . فَأَنَا السَّنْدَبَادُ
الْبَجْرِيُّ وَلَكِنْ يَا حَمَالُ قَصْدِي أَنْ تُسَمِّنِي الْآيَاتِ الَّتِي كُنْتَ
تُنَشِّدُهَا وَأَنْتَ عَلَى الْبَابِ . فَاسْتَحْيَا الْحَمَالُ وَقَالَ لَهُ : بِاللَّهِ عَلَيْكَ لَا
تُؤَاخِذْنِي فَإِنَّ التَّعَبَ وَالْمُشَقَّةَ وَقَلَّةَ مَا فِي الْيَدِ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ قِلَّةَ
الْأَدَبِ وَالسَّفَهَةِ . فَقَالَ لَهُ : لَا تَسْتَحْ فَأَنْتَ صِرْتَ أَخِي فَأَنْشِدْ

الْأَيَّاتِ فَإِنَّهَا أَعْجَبَتْنِي لَمَّا سَمِعْتُهَا مِنْكَ وَأَنْتَ تُنْشِدُهَا عَلَى الْبَابِ .
فَعِنْدَ ذَلِكَ أَنْشَدَ الْحَمَّالُ تِلْكَ الْأَيَّاتَ فَأَعْجَبَتْهُ وَطَرِبَ لِسَمَاعِهَا وَقَالَ
لَهُ : يَا حَمَّالُ أَعْلَمُ أَنَّ لِي قِصَّةً عَجِيبَةً وَسَوْفَ أَخْبِرُكَ بِجَمِيعِ مَا صَارَ
لِي وَمَا جَرَى لِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَصِيرَ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ وَأَجْلِسَ فِي
هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تَرَانِي فِيهِ . فَإِنِّي مَا وَصَلْتُ إِلَى هَذِهِ السَّعَادَةِ
وَهَذَا الْمَكَانِ إِلَّا بَعْدَ تَعَبٍ شَدِيدٍ وَمَشَقَّةٍ عَظِيمَةٍ وَأَهْوَالٍ كَثِيرَةٍ .
وَكَمْ قَاسَيْتُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ مِنَ التَّعَبِ وَالنَّصَبِ . وَقَدْ سَافَرْتُ
سَبْعَ سَفَرَاتٍ وَكُلُّ سَفَرَةٍ لَهَا حِكَايَةٌ عَجِيبَةٌ تُخَيِّرُ الْفِكَرَ
السَّفَرَةُ السَّادِسَةُ

مِنْ السَّبْعِ السَّفَرَاتِ لِلْسَّنْدَبَادِ الْبَحْرِيِّ
إِعْلَمُوا يَا سَادَةَ يَا كِرَامُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبٌ تَاجِرٌ وَكَانَ مِنْ
أَكْبَرِ النَّاسِ وَالتَّجَارِ . وَكَانَ عِنْدَهُ مَالٌ كَثِيرٌ وَنَوَالٌ جَزِيلٌ .
وَقَدْ مَاتَ وَأَنَا وَلَدٌ صَغِيرٌ وَخَلَفَ لِي مَالًا وَعَقَارًا وَضِياعًا . فَلَمَّا
كَبُرْتُ وَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى الْجَمِيعِ وَقَدْ أَكَلْتُ أَكْلًا مَلِيحًا وَشَرَبْتُ
شُرْبًا مَلِيحًا وَعَاشَرْتُ الشَّبَابَ وَتَجَمَّلْتُ بِلِبْسِ الثِّيَابِ وَمَشَيْتُ مَعَ
الْحُلَّانِ وَالْأَصْحَابِ وَاعْتَقَدْتُ أَنَّ ذَلِكَ يَدُومُ لِي وَيَنْفَعُنِي وَلَمْ أَزَلْ
عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ وَأَقَفْتُ مِنْ غَفْلَتِي . ثُمَّ إِنِّي رَجَعْتُ
إِلَى عَقْلِي فَوَجَدْتُ مَالِي قَدْ مَالَ وَحَالِي قَدْ حَالَ وَقَدْ ذَهَبَ جَمِيعُ
مَا كَانَ مَعِي وَلَمْ أَسْتَفِقْ لِنَفْسِي إِلَّا وَأَنَا مَرُوعٌ مَذْهُوشٌ وَقَدْ

تَفَكَّرْتُ حِكَايَةَ كُنْتُ أَسْمَعُهَا سَابِقًا مِنْ أَبِي وَهِيَ حِكَايَةُ سَيِّدِنَا
 سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فِي قَوْلِهِ ثَلَاثَةُ خَيْرٍ مِنْ ثَلَاثَةِ : يَوْمُ
 الْمَمَاتِ خَيْرٌ مِنْ يَوْمِ الْوِلَادَةِ . وَكَانَ حَيُّ خَيْرٌ مِنْ سَبْعٍ مَيِّتٍ .
 وَالْقَبْرُ خَيْرٌ مِنَ الْفَقْرِ . ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَجَمَعْتُ مَا كَانَ عِنْدِي مِنْ آثَارِ
 وَمَلْبُوسٍ وَبَعْتُهُ ثُمَّ بَعْتُ عَتَارِي وَجَمِيعَ مَا تَمَلَّكَتُ يَدَيَّ فَجَمَعْتُ ثَلَاثَةَ
 آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَقَدْ خَطَرَ بِيَالِي السَّفَرُ إِلَى بِلَادِ النَّاسِ وَتَذَكَّرْتُ
 كَلَامَ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ حَيْثُ قَالَ :

بِقَدْرِ الْكَدِّ تَكْتَسِبُ الْمَعَالِي وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى سَهَرَ اللَّيَالِي
 يُغْوَصُ الْبَحْرُ مِنْ طَابِ اللَّالِي وَيَحْظَى بِالسِّيَادَةِ وَالنَّوَالِ
 وَمَنْ طَلَبَ الْعُلَى مِنْ غَيْرِ كَدٍّ أَضَاعَ الْعُمْرَ فِي طَابِ الْحَالِ
 فَاشْتَاقتُ نَفْسِي إِلَى السَّفَرِ وَالتَّجَارَةِ فَعَزَمْتُ عَلَى السَّفَرِ وَاشْتَرَيْتُ
 لِي بِضَائِعَ نَفِيسَةً فَاخِرَةً تَصْلُحُ لِلْبَحْرِ وَحَمَلْتُ حُمُولِي وَسَافَرْتُ مِنْ مَدِينَةِ
 بَغْدَادَ إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ فَرَأَيْتُ مَرْكَبًا عَظِيمًا فِيهِ تِجَارٌ وَأَكْبَارُ
 وَمَعَهُمْ بِضَائِعُ نَفِيسَةٌ فَنَزَلْتُ حُمُولِي مَعَهُمْ فِي هَذَا الْمَرْكَبِ وَسِيرْنَا
 بِالسَّلَامَةِ مِنْ مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ وَلَمْ نَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى
 مَكَانٍ وَمِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ وَنَحْنُ نَبِيعُ وَنَشْتَرِي وَنَتَّهَجُ عَلَى بِلَادِ
 النَّاسِ . وَقَدْ طَابَ لَنَا السَّعْدُ وَالسَّفَرُ وَاعْتَمَنَّا الْمَعَاشَ إِلَى أَنْ كُنَّا
 سَائِرِينَ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ وَإِذَا بِرَئِيسِ الْمَرْكَبِ صَرَخَ وَصَاحَ وَرَمَى
 عِمَامَتَهُ وَلَطَمَ عَلَى وَجْهِهِ وَتَفَاحَيْتُهُ وَوَقَعَ فِي بَطْنِ الْمَرْكَبِ مِنْ

شِدَّةِ النِّعَمِ وَالْقَهْرِ . فَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ جَمِيعُ التَّجَارِ وَالرُّكَّابِ . وَقَالُوا
 لَهُ : يَا رَئِيسُ مَا الْخَبَرُ : فَقَالَ لَهُمُ الرَّئِيسُ : أَعْلَمُوا يَا جَمَاعَةُ أَنَّنَا قَدْ تَبَهَّنَا
 بِمُرْكَبِنَا وَخَرَجْنَا مِنَ الْبَحْرِ الَّذِي كُنَّا فِيهِ وَدَخَلْنَا بَحْرًا لَمْ نَعْرِفْ
 طَرِيقَهُ وَإِذَا لَمْ يُقَيِّضِ اللَّهُ لَنَا شَيْئًا يُخَلِّصُنَا مِنْ هَذَا الْبَحْرِ هَلَكْنَا
 بِاجْمَعِنَا لَا مَحَالَةَ فَادْعُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُخَيِّبَنَا مِنْ هَذَا الْأَمْرِ : ثُمَّ إِنَّ
 الرَّئِيسَ قَامَ عَلَى حَيْلِهِ وَصَعِدَ عَلَى الصَّارِي وَأَرَادَ أَنْ يَحُلَّ الْقُلُوعَ
 فَقَوِيَ الرِّيحُ عَلَى الْمَرْكَبِ فَزَلَّ الرَّئِيسُ مِنَ الصَّارِي وَقَالَ : لَا حَوْلَ وَلَا
 قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْنَعَ الْمَأْثُورَ . وَاللَّهُ
 إِنَّنَا قَدْ وَقَعْنَا فِي مَهْلِكَةٍ عَظِيمَةٍ وَلَمْ يَبْقَ لَنَا مِنْهَا مَخَاضٌ وَلَا نَجَاةٌ :
 فَبَكَى جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَودَّعَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لِفِرَاقِ
 أَعْمَارِهِمْ وَأَنْقَطَعَ رَجَاؤُهُمْ وَمَالَ الْمَرْكَبُ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ
 فَانْكَسَرَ وَتَفَرَّقَتِ الْوَاحِيهَا . فَغَرِقَ جَمِيعُ مَا كَانَ فِيهِ وَوَقَعَ التَّجَارُ فِي
 الْبَحْرِ فَمِنْهُمْ مَنْ غَرِقَ وَمِنْهُمْ مَنْ تَمَسَّكَ بِذَلِكَ الْجَبَلِ وَطَلَعَ عَلَيْهِ .
 وَكُنْتُ أَنَا مِنْ جُمْلَةِ مَنْ طَلَعَ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَإِذَا فِيهِ جَزِيرَةٌ كَبِيرَةٌ
 عِنْدَهَا كَثِيرٌ مِنَ الْمَرَائِكِبِ الْمَكْسَرَةِ . وَفِيهَا أَرْزَاقٌ كَثِيرَةٌ عَلَى
 شَاطِئِ الْبَحْرِ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ مِنَ الْمَرَائِكِبِ الَّتِي كُسِّرَتْ
 وَغَرِقَ رُكَّابُهَا . وَفِيهَا شَيْءٌ كَثِيرٌ يُخَيِّرُ الْعَقْلَ وَالْفِكَرَ مِنَ الْمَتَاعِ
 وَالْأَمْوَالِ الَّتِي يُلْقِيهَا الْبَحْرُ عَلَى جَوَانِبِهَا فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعْتُ أَعْلَى

تِلْكَ الْجَزِيرَةُ وَمَشَيْتُ فِيهَا فَرَأَيْتُ فِي وَسْطِهَا عَيْنَ مَاءٍ عَذْبٍ جَارٍ
خَارِجٍ مِنْ تَحْتِ أَوَّلِ ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَاخِلٍ فِي آخِرِهِ مِنَ الْجَانِبِ
الثَّانِي فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَعَ جَمِيعُ الرُّكَّابِ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ إِلَى
الْجَزِيرَةِ وَانْتَشَرُوا فِيهَا وَقَدْ ذَهَلَتْ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ وَصَارُوا مِثْلَ
الْمَجَانِينِ مِنْ كَثَرَةِ مَا رَأَوْا فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْأَمْتِعةِ وَالْأَمْوَالِ الَّتِي
عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ وَقَدْ رَأَيْتُ فِي وَسْطِ تِلْكَ الْعَيْنِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ
أَصْنَافِ الْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْيَوَاقِيتِ وَاللَّائِي - الْكِبَارِ الْمُلُوكِيَّةِ وَهِيَ
مِثْلُ الْحَصَى فِي مَحَارِي الْمَاءِ فِي تِلْكَ الْعَيْنِ . وَجَمِيعُ أَرْضِ
تِلْكَ الْعَيْنِ تَبْرُقُ مِنْ كَثَرَةِ مَا فِيهَا مِنَ الْمَعَادِنِ وَغَيْرِهَا . وَرَأَيْنَا
شَيْئًا كَثِيرًا فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ أَغْلَى الْعُودِ الصِّينِيِّ وَالْعُودِ
الْقَمَارِيِّ . وَفِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ عَيْنٌ نَابِعةٌ مِنْ صَنْفِ الْعَنْبَرِ الْحَامِ
وَهُوَ يَسِيلُ مِثْلَ الشَّمْعِ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ الْعَيْنِ مِنْ شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ
وَيَمْتَدُّ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ فَتَطْلُعُ الْهَوَاشِ مِنْ الْبَحْرِ تَبْلَعُهُ وَتَنْزِلُ بِهِ
فِي الْبَحْرِ فَيَحْمِي فِي بُطُونِهَا فَتَقْدِفُهُ مِنْ أَفْوَاهِهَا فِي الْبَحْرِ فَيَجْمَدُ عَلَى
وَجْهِ الْمَاءِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ وَأَحْوَالُهُ فَتَقْدِفُهُ الْأَمْوَاجُ إِلَى
جَانِبِ الْبَحْرِ فَيَأْخُذُهُ السَّيَّاحُونَ وَالتَّجَّارُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَهُ فَيَبِيعُونَهُ .
وَأَمَّا الْعَنْبَرُ الْحَامُ الْخَالِصُ مِنَ الْبَلْعِ فَإِنَّهُ يَسِيلُ عَلَى جَانِبِ تِلْكَ
الْعَيْنِ وَيَتَجْمَدُ بِأَرْضِهِ . فَإِذَا طَلَعَتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَسِيحُ وَتَبْقَى مِنْهُ
رَائِحَةٌ ذَلِكَ الْوَادِي كُلِّهِ مِثْلُ الْمِسْكِ . وَإِذَا زَالَتْ عَنْهُ الشَّمْسُ

يَجْمَدُ. وَذَلِكَ الْمَكَانُ الَّذِي فِيهِ هَذَا الْعَبْرُ الْحَامُ لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى دُخُولِهِ وَلَا يَسْتَطِيعُ سُلُوكُهُ. فَإِنَّ الْجِبَلَ مُحِيطٌ بِتِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى صُعُودِ ذَلِكَ الْجِبَلِ. وَلَمْ تَزَلْ دَائِرِينَ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ تَتَفَرَّجُ عَلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنَ الْأَرْزَاقِ وَتَحْنُ مُتَحَيِّرُونَ فِي أَمْرِنَا وَفِيمَا نَرَاهُ وَعِنْدَنَا خَوْفٌ شَدِيدٌ. وَقَدْ جَمَعْنَا عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ شَيْئًا قَلِيلًا مِنَ الزَّادِ فَصِرْنَا نُوفِرُهُ وَنَأْكُلُ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ أَكْلَةً وَاحِدَةً وَتَحْنُ خَائِفُونَ أَنْ يَفْرَغَ الزَّادُ مِنَّا فَتَمُوتَ كَمَدًا مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنَّا نَغْسِلُهُ وَنُكَفِّنُهُ فِي ثِيَابٍ وَقَمَاشٍ مِنَ الَّذِي يَطْرَحُهُ الْبَحْرُ عَلَى جَانِبِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى مَاتَ مِنَّا خَلْقٌ كَثِيرٌ وَلَمْ يَبْقَ مِنَّا إِلَّا جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ. فَضَعَفْنَا بَوَاجِعَ الْبَطْنِ مِنَ الْبَحْرِ وَأَقَمْنَا مُدَّةً قَلِيلَةً فَمَاتَ جَمِيعُ أَصْحَابِي وَرَفَقَائِي وَاحِدٌ بَعْدَ وَاحِدٍ. وَكُلُّ مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ نَدْفِنُهُ. وَبَقِيتُ فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَجَدِي وَبَقِيَ مَعِيَ زَادٌ قَلِيلٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ كَثِيرًا فَبَكَيْتُ عَلَى نَفْسِي وَقُلْتُ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ رَفَقَائِي وَكَانُوا غَسَّلُونِي وَدَفَنُونِي فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ. ثُمَّ إِنِّي أَقَمْتُ مُدَّةً يَسِيرَةً وَقُمْتُ حَفَرْتُ لِنَفْسِي حُفْرَةً عَمِيقَةً فِي جَانِبِ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَقُلْتُ فِي نَفْسِي إِذَا ضَعُفْتُ وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَوْتَ قَدْ أَتَانِي أَرْقُدُ فِي هَذَا الْقَبْرِ فَأَمُوتُ فِيهِ وَيَبْقَى الرِّيحُ يُسْفِي الرَّمْلَ عَلَيَّ فَيُغَطِّيَنِي وَأَصِيرُ مَدْفُونًا فِيهِ. وَصِرْتُ أَلُومُ نَفْسِي عَلَى قِلَّةِ عَقْلِي وَخُرُوجِي مِنْ

بِلَادِي وَمَدِينَتِي وَسَفَرِي إِلَى الْبِلَادِ بَعْدَ الَّذِي فَاسَيْتُهُ أَوَّلًا وَثَانِيًا
وَتَالِثًا وَرَابِعًا وَخَامِسًا . وَلَا سَفَرَةَ مِنَ الْأَسْفَارِ إِلَّا وَأَقَاسِي أَهْوَالًا
وَشَدَائِدًا شَقًّا وَأَصْعَبَ مِنَ الْأَهْوَالِ الَّتِي قَبْلَهَا . وَمَا أَصْدَقُ بِالنَّجَاةِ
وَالسَّلَامَةِ وَأَتُوبُ عَنِ السَّفَرِ فِي الْبَحْرِ وَعَنْ عَوْدِي إِلَيْهِ . وَلَسْتُ مُحْتَاجًا
لِمَالٍ وَعِنْدِي شَيْءٌ كَثِيرٌ . وَالَّذِي عِنْدِي لَا أَقْدِرُ أَنْ أَفْنِيَهُ وَلَا أُضِيعَ
نِصْفَهُ فِي بَاقِي عُمْرِي . وَعِنْدِي مَا يَكْفِينِي وَزِيَادَةٌ . ثُمَّ إِنِّي تَفَكَّرْتُ
فِي نَفْسِي وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَا بُدَّ أَنْ هَذَا النَّهْرُ لَهُ أَوَّلٌ وَآخِرٌ وَلَا بُدَّ
مِنْ مَكَانٍ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَى الْعَمَارِ . وَالرَّأْيُ السَّيِّدُ عِنْدِي أَنِّي أَعْمَلُ
لِي فُلْكَأً صَغِيرًا عَلَى قَدْرِ مَا أَجْلِسُ فِيهِ وَأَنْزِلُ وَأُلْقِيهِ فِي هَذَا
النَّهْرِ وَأَسِيرُ بِهِ . فَإِنْ وَجَدْتُ لِي خَلَاصًا أَخْلَصُ وَأُنْجُو بِإِذْنِ اللَّهِ
تَعَالَى . وَإِنْ لَمْ أَجِدْ لِي مَخْلَصًا أَمُوتُ دَاخِلَ هَذَا النَّهْرِ أَحْسَنَ مِنْ
هَذَا الْمَكَانِ وَصِرْتُ أَتَحَسَّرُ عَلَى نَفْسِي . ثُمَّ إِنِّي قُمْتُ وَسَعَيْتُ
فَحَمَمْتُ أَخْشَابًا مِنْ تِلْكَ الْجَزِيرَةِ مِنْ خَشَبِ الْعُودِ الصَّيْنِيِّ وَالْقَمَارِيِّ
وَشَدَدْتُهَا عَلَى جَانِبِ الْبَحْرِ بِحِبَالٍ مِنْ حِبَالِ الْمَرَاكِبِ الَّتِي كُسِّرَتْ
وَجِثْتُ بِالْوَاخِ مَتَسَاوِيَةً مِنَ الْوَاخِ الْمَرَاكِبِ وَوَضَعْتُهَا فِي ذَلِكَ
الْخَشَبِ وَجَعَلْتُ ذَلِكَ الْفُلَّكَ عَلَى عَرْضِ ذَلِكَ النَّهْرِ أَوْ أَقْلَ مِنْ
عَرْضِهِ . وَشَدَدْتُهُ شَدًّا طَيِّبًا مَكِينًا . وَقَدْ أَخَذْتُ مَعِيَ مِنْ تِلْكَ
الْمُعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَوَّلُو الْكَبِيرِ الَّذِي مِثْلُ الْحَصَى
وغير ذلك من الذي فِي تِلْكَ الْجَزِيرَةِ وَشَيْئًا مِنَ الْعَنْبَرِ الْحَامِ

الْخَالِصِ الطَّيِّبِ وَوَضَعْتُهُ فِي ذَلِكَ الْفُلْكِ وَوَضَعْتُ فِيهِ جَمِيعَ مَا جَمَعْتُهُ
 مِنَ الْجَزِيرَةِ وَأَخَذْتُ مَعِيَ جَمِيعَ مَا كَانَ بَاقِيًا مِنَ الزَّادِ . ثُمَّ إِنِّي
 أَقْبَيْتُ ذَلِكَ الْفُلْكَ فِي هَذَا النَّهْرِ وَجَعَلْتُ لَهُ خَشَبَتَيْنِ عَلَى جَنْبَيْهِ
 مِثْلَ الْمَجَادِيفِ وَعَمِلْتُ بِقَوْلِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ

تَرْحَلُ عَنْ مَكَانٍ فِيهِ ضَيْمٌ وَخَلَّ الدَّارَ تَنْعَى مَنْ بَنَاهَا
 فَإِنَّكَ وَاحِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَنَفْسُكَ لَمْ تَجِدْ نَفْسًا سِوَاهَا
 وَلَا تَجْزَعُ لِحَادِثَةِ الْيَلَالِي فَكُلُّ مُصِيبَةٍ يَأْتِي أَنْتَهَا
 وَمَنْ كَانَتْ مَنِيَّتُهُ بِأَرْضٍ فَلَيْسَ يَمُوتُ فِي أَرْضٍ سِوَاهَا
 وَلَا تَبْعَثُ رَسُولَكَ فِي مِهِمَّ فَمَا لِلنَّفْسِ نَاصِحَةٌ سِوَاهَا

وَسِرْتُ بِذَلِكَ الْفُلْكِ فِي النَّهْرِ وَأَنَا مُتَفَكِّرٌ فِيمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ
 أَمْرِي . وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَدْخُلُ فِيهِ النَّهْرُ تَحْتَ
 ذَلِكَ الْجَبَلِ وَدَخَلْتُ الْفُلْكَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ وَقَدْ صِرْتُ فِي
 ظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَلَمْ يَزَلِ الْفُلْكَ دَاخِلًا بِي مَعَ الْمَاءِ إِلَى
 ضَيْقٍ تَحْتَ الْجَبَلِ . وَصَارَتْ جَوَانِبُ الْفُلْكِ تَحْكُ فِي جَوَانِبِ
 النَّهْرِ وَزَأْسِي يَحْكُ فِي سَقْفِ النَّهْرِ وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى أَنِّي أَعُودُ مِنْهُ
 وَقَدْ لَمْتُ نَفْسِي عَلَى مَا فَعَلْتُهُ بِرُوحِي وَقُلْتُ : إِنْ ضَاقَ الْمَكَانُ
 عَلَى الْفُلْكِ قَلَّ أَنْ يُخْرَجَ مِنْهُ وَلَا يُكْنِ عَوْدَهُ فَأَهْلَكَ فِي الْمَكَانِ
 كَمَا بَلََا مَحَالَةً . وَقَدْ أَنْطَرَحْتُ عَلَى وَجْهِ فِي الْفُلْكِ مِنْ ضَيْقِ
 النَّهْرِ . وَلَمْ أَزَلْ سَائِرًا وَلَا أَعْلَمُ لَيْلًا مِنْ نَهَارٍ بِسَبَبِ الظُّلْمَةِ الَّتِي

أَنَا فِيهَا تَحْتَ ذَلِكَ الْجَبَلِ مَعَ الْقَزَعِ وَالْخَوْفِ عَلَى نَفْسِي مِنْ
 الْهَلَاكِ . وَلَمْ أَزَلْ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سَائِرًا فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَهُوَ
 يَتَسَّعُ تَارَةً وَيَضِيقُ أُخْرَى . وَلَكِنَّ الظُّلْمَةَ قَدْ أَتَعَبَتْنِي تَعَبًا شَدِيدًا
 فَأَخَذْتَنِي سِنَّةٌ مِنَ النَّوْمِ مِنْ شِدَّةِ قَهْرِي فَنِمْتُ عَلَى وَجْهِي فِي
 الْفُلْكِ . وَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا بِي وَأَنَا نَائِمٌ لَا أَذْرِي بِكَثِيرٍ وَلَا قَلِيلٍ
 ثُمَّ إِنِّي أَسْتَيْقِظُ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي النُّورِ . فَفَتَحْتُ عَيْنِي فَرَأَيْتُ
 مَكَانًا وَاسِعًا وَذَلِكَ الْفُلْكَ مَرْبُوطٌ عَلَى جَزِيرَةٍ وَحَوْلِي جَمَاعَةٌ مِنَ
 الْهُنُودِ وَالْحَبْشَةِ . فَلَمَّا رَأَوْنِي قُمْتُ نَهَضُوا إِلَيَّ وَكَلَّمُونِي بِلِسَانِهِمْ
 فَلَمْ أَعْرِفْ مَا يَقُولُونَ . وَبَقِيتُ أَظُنُّ أَنَّهُ حُلُمٌ وَأَنَّ هَذَا فِي الْمَنَامِ
 مِنْ شِدَّةِ مَا كُنْتُ فِيهِ مِنَ الضِّيقِ وَالْقَهْرِ . فَلَمَّا كَلَّمُونِي وَلَمْ
 أَعْرِفْ حَدِيثَهُمْ وَلَمْ أَرُدُّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا . تَقَدَّمَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَقَالَ
 لِي بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَخَانَا . مَنْ تَكُونُ أَنْتَ وَمِنْ
 أَيْنَ جِئْتَ . وَمَا سَبَبُ مَجِيئِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . وَمِنْ أَيْنَ دَخَلْتَ
 فِي هَذَا الْمَاءِ . وَأَيُّ بِلَادٍ خَلَفَ هَذَا الْجَبَلَ لَا تَنَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا
 سَلَكَ مِنْ هُنَاكَ إِلَيْنَا . فَقُلْتُ لَهُ : مَنْ تَكُونُونَ أَنْتُمْ وَأَيُّ أَرْضٍ
 هَذِهِ : فَقَالَ لِي : يَا أَخِي نَحْنُ أَصْحَابُ الزَّرْعِ وَالْغَيْطَانِ وَجِئْنَا
 لِنَسْقِي غَيْطَانَنَا وَزَرَعَنَا فَوَجَدْنَاكَ نَائِمًا فِي الْفُلْكِ فَأَمْسَكْنَاهُ
 وَرَبَطْنَاهُ عِنْدَنَا حَتَّى تَقُومَ عَلَى مَهْلِكَ . فَأَخْبَرْنَا مَا سَبَبُ وُصُولِكَ
 إِلَى هَذَا الْمَكَانِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا اللَّهُ عَلَيْكَ بِأَسِيدِي أَتَيْتَنِي بِشَيْءٍ

مِنْ الطَّعَامِ فَإِنِّي جَائِعٌ وَبَعْدَ ذَلِكَ أَسْأَلُنِي عَمَّا تُرِيدُ . فَأَسْرَعَ
 وَأَتَانِي بِالطَّعَامِ فَأَكَلْتُ حَتَّى شَبِعْتُ وَأَرْتَحْتُ وَسَكَنَ رَوْعِي وَأَزْدَادَ
 شَبْعِي وَرُدَّتْ لِي رُوحِي . فَحَمِدْتُ اللَّهَ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ وَفَرِحْتُ
 بِخُرُوجِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ وَوَصُولِي إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ بِجَمِيعِ مَا جَرَى
 لِي مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَمَا لَقِيتُهُ فِي ذَلِكَ النَّهْرِ وَصِيقِهِ . ثُمَّ إِنَّهُمْ
 تَكَلَّمُوا مَعَ بَعْضِهِمْ وَقَالُوا : لَا بُدَّ أَتْنَا نَأْخُذُهُ مَعَنَا وَنَعْرِضُهُ عَلَى مَاكِنَا
 لِنُخْبِرَهُ بِمَا جَرَى لَهُ : قَالَ : فَأَخْذُونِي مَعَهُمْ وَحَمَلُوا مَعِيَ الْفُلَّكَ بِجَمِيعِ
 مَا فِيهِ مِنَ الْمَالِ وَالنَّوَالِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْمَعَادِنِ وَالْمَصَاغِ . وَقَدْ أَدْخَاوَنِي
 عَلَى مَلِكِهِمْ وَأَخْبَرُوهُ بِمَا جَرَى . فَسَلَّمَ عَلَيَّ وَرَحَّبَ بِي وَسَأَلَنِي عَنْ
 حَالِي وَمَا أَتَّفَقَ لِي مِنَ الْأُمُورِ . فَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي
 وَمَا لَقِيتُهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ . فَتَعَجَّبَ الْمَلِكُ مِنْ هَذِهِ الْحِكَايَةِ
 فَأَيَّةَ الْعَجَبِ وَهَنَانِي بِالسَّلَامَةِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ قُمْتُ وَطَلَمْتُ مِنْ ذَلِكَ
 الْفُلِّكَ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ الْمَعَادِنِ وَالْجَوَاهِرِ وَالْعُودِ وَالْعَبَرِ الْحَنَامِ
 وَأَهْدَيْتُهُ إِلَى الْمَلِكِ فَقَبِلَهُ مِنِّي وَكَرَّمَنِي إِكْرَامًا زَائِدًا وَأَتْرَافِي فِي
 مَكَانٍ عِنْدَهُ وَقَدْ صَاحَبْتُ أَخْيَارَهُمْ وَأَعَزُّوَنِي مَعَزَّةً عَظِيمَةً وَصِرْتُ
 لَا أَفَارِقُ دَارَ الْمَلِكِ . وَصَارَ الْوَارِدُونَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَةِ يَسْأَلُونَنِي
 عَنْ أُمُورِ بِلَادِي فَأَخْبَرْتَهُمْ بِهَا . وَكَذَلِكَ أَسْأَلُهُمْ عَنْ أُمُورِ
 بِلَادِهِمْ فَيُخْبِرُونَنِي بِهَا إِلَى أَنْ سَأَلَنِي مَلِكُهُمْ يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ عَنْ
 أَحْوَالِ بِلَادِي وَعَنْ أَحْوَالِ حُكْمِ الْخَلِيفَةِ فِي بِلَادِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ

فَأَخْبَرْتُهُ بِعَدْلِهِ فِي أَحْكَامِهِ . فَتَعَجَّبَ مِنْ أُمُورِهِ وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ
 إِنَّ الْخَلِيفَةَ لَهُ أُمُورٌ عَقْلِيَّةٌ وَأَحْوَالٌ مَرْضِيَّةٌ وَأَنْتَ قَدْ حَبَّبْتَنِي فِيهِ
 وَمُرَادِي أَنْ أَجْهَزَ لَهُ هَدِيَّةً وَأَرْسِلَهَا مَعَكَ إِلَيْهِ : فَقُلْتُ : سَمْعًا
 وَطَاعَةً يَا مَوْلَانَا أَوْصِلْهَا إِلَيْهِ وَأَخْبِرْهُ أَنَّكَ مُحِبٌّ صَادِقٌ . وَلَمْ أَزَلْ
 مُقِيمًا عِنْدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَنَا فِي غَايَةِ الْعِزِّ وَالْإِكْرَامِ وَحُسْنِ مَعِيشَةٍ
 مُدَّةً مِنَ الزَّمَانِ إِلَى أَنْ كُنْتُ جَالِسًا يَوْمًا مِنَ الْأَيَّامِ فِي دَارِ
 الْمَلِكِ فَسَمِعْتُ بِخَبَرِ جَمَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَنَّهُمْ جَهَّزُوا لَهُمْ مَرْكَبًا
 يُرِيدُونَ السَّفَرَ فِيهِ إِلَى نَوَاحِي مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ . فَقُلْتُ فِي نَفْسِي
 لَيْسَ لِي أَوْفَقُ مِنَ السَّفَرِ مَعَ هَؤُلَاءِ الْجَمَاعَةِ . فَأَسْرَعْتُ مِنْ وَقْتِي
 وَسَاعَتِي وَقَبَّلْتُ يَدَ ذَلِكَ الْمَلِكِ وَأَعْلَمْتُهُ بِأَنْ مُرَادِي السَّفَرُ مَعَ
 الْجَمَاعَةِ فِي الْمَرْكَبِ الَّذِي جَهَّزُوهُ لِأَنِّي أُشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي .
 فَقَالَ لِي الْمَلِكُ : الرَّأْيُ لَكَ وَإِنْ شِئْتَ الْإِقَامَةَ عِنْدَنَا فَعَلَى الرَّأْسِ
 وَالْعَيْنِ وَقَدْ حَصَلَ لَنَا أَنْسُكَ . فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا سَيِّدِي قَدْ غَمَّرَتْنِي
 بِجَمِيلِكَ وَإِحْسَانِكَ وَلَكِنِّي قَدْ أُشْتَقْتُ إِلَى أَهْلِي وَبِلَادِي وَعِيَالِي .
 فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامِي أَحْضَرَ التَّجَارَ الَّذِينَ جَهَّزُوا الْمَرْكَبَ وَأَوْصَاهُمْ
 عَلَيَّ وَقَدْ وَهَبَ لِي شَيْئًا كَثِيرًا مِنْ عِنْدِهِ وَدَفَعَ عَنِّي أَجْرَةَ الْمَرْكَبِ
 وَأَرْسَلَ مَعِي هَدِيَّةً عَظِيمَةً إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ بِمَدِينَةِ
 بَغْدَادَ . ثُمَّ إِنِّي وَدَّعْتُ جَمِيعَ أَصْحَابِي الَّذِينَ كُنْتُ أَتَرَدَّدُ عَلَيْهِمْ .
 ثُمَّ تَرَلْتُ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ مَعَ التَّجَارِ وَسِرْنَا وَقَدْ طَابَ لَنَا الرِّيحُ وَالسَّفَرُ

وَتَحْنُ مُتَوَكِّلُونَ عَلَى اللَّهِ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى . وَلَمْ تَزَلْ مُسَافِرِينَ مِنْ
بَحْرِ إِلَى بَحْرٍ وَمِنْ جَزِيرَةٍ إِلَى جَزِيرَةٍ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا بِالسَّلَامَةِ بِإِذْنِ
اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَدِينَةِ الْبَصْرَةِ . فَطَلْتُ مِنَ الْمَرْكَبِ وَلَمْ أَزَلْ
مُقِيمًا بِأَرْضِ الْبَصْرَةِ أَيَّامًا وَلَيَالِي حَتَّى جَهَّزْتُ نَفْسِي وَحَمَلْتُ حُمُولِي
وَتَوَجَّهْتُ إِلَى مَدِينَةِ بَغْدَادَ دَارِ السَّلَامِ . فَدَخَلْتُ عَلَى الْخَلِيفَةِ
هَارُونَ الرَّشِيدِ وَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ تِلْكَ الْهَدِيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُ بِجَمِيعِ مَا
جَرَى لِي . ثُمَّ خَزَنْتُ جَمِيعَ أَمْوَالِي وَأَمْتَعْتِي وَدَخَلْتُ حَارَتِي وَجَاءَنِي
أَهْلِي وَأَصْحَابِي وَفَرَّقْتُ الْهَدَايَا عَلَى جَمِيعِ أَهْلِي وَتَصَدَّقْتُ وَوَهَبْتُ .
وَبَعْدَ مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ أُرْسِلَ إِلَيَّ الْخَلِيفَةُ فَسَأَلَنِي عَنْ سَبَبِ
تِلْكَ الْهَدِيَّةِ وَمِنْ أَيْنَ هِيَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ لَا
أَعْرِفُ لِلْمَدِينَةِ الَّتِي هِيَ مِنْهَا أَسْمًا وَلَا طَرِيقًا . وَلَكِنْ لَمَّا غَرِقَ
الْمَرْكَبُ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ طَلَعْتُ عَلَى جَزِيرَةٍ وَقَدْ صَنَعْتُ لِي
فُؤُكًا وَنَزَلْتُ فِيهِ فِي نَهْرٍ كَانَ فِي وَسْطِ جَزِيرَةٍ . وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا جَرَى
لِي فِي السَّفَرَةِ وَكَيْفَ كَانَ خَلَاجِي مِنْ ذَلِكَ النَّهْرِ إِلَى تِلْكَ
الْمَدِينَةِ وَبِمَا جَرَى لِي فِيهَا وَبِسَبَبِ إِرْسَالِي الْهَدِيَّةَ . فَتَعَجَّبَ الْخَلِيفَةُ
مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الْعَجَبِ وَأَمَرَ الْمُؤَرِّخِينَ أَنْ يَكْتُبُوا حِكَايَتِي وَيَجْمَعُوهَا
فِي خِزَانَتِهِ لِيَعْتَبَرَ بِهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا

حِكَايَةُ عَابِدٍ

زَعَمُوا أَنَّ بَعْضَ الْعُبَادِ كَانَ يَتَعَبَّدُ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ . وَكَانَ

يَأْوِي إِلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ زَوْجٌ مِنَ الْحَمَامِ . وَكَانَ ذَلِكَ الْعَايِدُ
 قَدْ قَسَمَ قُوَّتَهُ نِصْفَيْنِ . وَجَعَلَ نِصْفَهُ لِنَفْسِهِ . وَنِصْفَهُ لَذَلِكَ الزَّوْجِ
 الْحَمَامِ . وَدَعَا الْعَايِدُ لَهَا بِكَثْرَةِ النِّسْلِ فَكَثُرَ نَسْلُهُمَا . وَلَمْ يَكُنْ
 الْحَمَامُ يَأْوِي سِوَى الْجَبَلِ الَّذِي فِيهِ الْعَايِدُ . وَكَانَ السَّبَبُ فِي
 اجْتِمَاعِ الْحَمَامِ بِالْعَايِدِ كَثْرَةُ تَسْبِيحِ الْحَمَامِ . وَقِيلَ : إِنَّ الْحَمَامَ
 يَقُولُ فِي تَسْبِيحِهِ : سُبْحَانَ خَالِقِ الْخَلْقِ . وَقَاسِمِ الرِّزْقِ . وَبَانِي
 السَّمَوَاتِ . وَبَاسِطِ الْأَرْضِينَ : وَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ الزَّوْجُ الْحَمَامُ فِي ارْتِدَادِ
 عَيْشِ هُوَ وَنَسْلُهُ حَتَّى مَاتَ الْعَايِدُ . فَتَشَتَّتَ شَتْلُ الْحَمَامِ وَتَفَرَّقَ
 فِي الْمَدُنِ وَالْقُرَى وَالْجِبَالِ

حِكَايَةُ الرَّاعِي الْعَايِدِ

ذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ فِي بَعْضِ الْجِبَالِ رَجُلٌ مِنَ الرُّعَاةِ . وَكَانَ
 صَاحِبَ دِينٍ وَعَقْلٍ وَعِفَّةٍ . وَكَانَ لَهُ أَغْنَامٌ يَرْعَاهَا وَيَنْتَفِعُ بِأَلْبَانِهَا
 وَأَصْوَافِهَا . وَكَانَ ذَلِكَ الْجَبَلُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ الرَّاعِي كَثِيرَ
 الْأَشْجَارِ وَالْمَرْعَى وَالسِّبَاعِ . وَلَمْ يَكُنْ لَتِلْكَ الْوُحُوشِ قُدْرَةٌ عَلَى
 الرَّاعِي وَلَا عَلَى غَنَمِهِ . وَلَمْ يَزَلْ مُقِيمًا فِي الْجَبَلِ مُطْمَئِنًّا لَا يَهْمُهُ
 شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا . لِسَعَادَتِهِ وَإِقْبَالِهِ عَلَى صَلَاتِهِ وَعِبَادَتِهِ . فَقَدَّرَ
 اللَّهُ أَنَّهُ مَرَضَ مَرَضًا شَدِيدًا فَدَخَلَ الْعَايِدُ فِي كَهْفِ الْجَبَلِ .
 وَصَارَتْ الْغَنَمُ تُخْرَجُ بِالنَّهَارِ إِلَى مَرْعَاهَا وَتَأْوِي بِاللَّيْلِ إِلَى الْكَهْفِ
 وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الرَّاعِي قَرْيَةٌ فِيهَا رَجُلٌ مِنَ الصَّالِحِينَ لَمْ يَعْلَمْ

بِمَكَانِهِ . فَرَأَى فِي مَنَامِهِ كَأَنَّ قَائِلًا يَقُولُ لَهُ : إِنَّ بِالْقُرْبِ مِنْكَ
 فِي مَكَانٍ كَذَا رَجُلًا صَالِحًا . فَأَذْهَبَ إِلَيْهِ وَكُنَ تَحْتَ طَاعَةِ
 أَمْرِهِ . فَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ تَوَجَّهَ نَحْوَهُ سَائِرًا . فَلَمَّا أَشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ
 أَتَاهُ إِلَى شَجَرَةٍ عِنْدَهَا عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي . فَأَسْتَرَّاحَ هُنَاكَ وَجَاسَ
 فِي ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . فَإِذَا هُوَ بِوُحُوشٍ وَطُيُورٍ أَتَتْ إِلَى تِلْكَ
 الْعَيْنِ لِتَشْرَبَ مِنْهَا . فَلَمَّا رَأَتْ الْعَايِدَ جَالِسًا تَقَرَّتْ مِنْهُ وَرَجَعَتْ
 وَشَرَدَتْ . فَقَالَ الْعَايِدُ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ . إِنِّي لَمْ أَسْتَرْحَ
 هُنَا إِلَّا ضَرَرًا عَلَى هَذِهِ الْوُحُوشِ وَالطُّيُورِ . فَقَامَ وَقَالَ مُعَاتِبًا لِنَفْسِهِ :
 لَقَدْ أَضَرُّ بِهَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي هَذَا الْيَوْمِ جُلُوسِي فِي هَذَا الْمَكَانِ .
 فَمَا الْعُذْرُ بَيْنِي وَبَيْنَ خَالِقِي وَخَالِقِ هَذِهِ الطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ فَإِنِّي
 كُنْتُ سَبَبًا لِمُشْرُودِهَا عَنْ شُرْبِهَا وَعَنْ رِزْقِهَا وَمَرْعَاهَا . فَوَاحِجَاتِي
 مِنْ رَبِّي يَوْمَ يَقْتَصُّ لِلشَّاةِ الْجَمَاءَ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءَ : ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَدَ
 يَقُولُ هَذِهِ الْآيَاتَ

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ عَلِمَ الْأَنَامُ	لَمَا خَلَقُوا لِمَا غَفَلُوا وَنَامُوا
فَمَوْتُ ثُمَّ بَعَثَ ثُمَّ حَشَرُهُ	وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
وَنَحْنُ إِذَا أَنْتَهَيْنَا أَوْ أَمِرْنَا	كَأَهْلِ الْكَهْفِ أَيقَاضُ نِيَامُ

ثُمَّ بَكَى عَلَى جُلُوسِهِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عِنْدَ الْعَيْنِ وَمَنْعِهِ الطُّيُورَ
 وَالْوُحُوشَ مِنْ شُرْبِهَا . وَوَلَّى سَائِحًا عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أَتَى إِلَى الرَّاعِي
 فَدَخَلَ إِلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ . فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَعَانَقَهُ وَبَكَى . فَقَالَ لَهُ

الرَّاعِي: مَا الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي لَمْ يَدْخُلْهُ أَحَدٌ
مِنَ النَّاسِ عَلَيَّ. فَقَالَ لَهُ الْعَابِدُ: إِنِّي رَأَيْتُ فِي مَنَامِي مَنْ يَصِفُ
لِي مَكَانَكَ وَيَأْمُرُنِي أَنْ أَسِيرَ إِلَيْكَ وَأُسَلِّمَ عَلَيْكَ. فَأَتَيْتُكَ
مُمْتَثِلًا لِمَا أُمِرْتُ بِهِ. فَقَبِلَهُ الرَّاعِي وَطَابَتْ نَفْسُهُ بِصُحْبَتِهِ وَجَلَسَ
مَعَهُ فِي الْجَبَلِ يَعْبُدَانِ اللَّهَ فِي ذَلِكَ الْغَارِ. فَحَسُنْتَ عِبَادَتُهُمَا وَلَمْ
يَزَالَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ يَعْبُدَانِ رَبَّهُمَا وَيَتَقَوَّتَانِ مِنْ لَحُومِ الْغَنَمِ
وَالْبَنِيهَا مُتَجَرِّدِينَ عَنِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ إِلَى أَنْ أَتَاهُمَا الْيَقِينُ. وَهَذَا
آخِرُ حَدِيثِهِمَا

حِكَايَاتُ مَلَائِكَةِ الْمَوْتِ الْحِكَايَةُ الْأُولَى

ذَكَرُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ الْمُتَقَدِّمِينَ. أَرَادَ أَنْ يَرْكَبَ
يَوْمًا. فِي جُمْلَةٍ أَهْلَ مَمْلَكَتِهِ وَأَرْبَابَ دَوْلَتِهِ. وَيُظْهِرَ لِلنَّخْلَاتِ عَجَائِبَ
زِينَتِهِ. فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ وَأَمْرَاءَهُ وَكُتَبَاءَ دَوْلَتِهِ أَنْ يَأْخُذُوا أَهْبَةَ
الْخُرُوجِ مَعَهُ. وَأَمَرَ خَازِنَ الثِّيَابِ بِأَنْ يُحْضِرَ لَهُ مِنْ أَفْخَرِ الثِّيَابِ مَا
يَصْلُحُ لِلْمَلِكِ فِي زِينَتِهِ. وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ خَيْلِهِ الْمُوصُوفَةِ الْعِتَاقِ الْمُعْرُوفَةِ.
فَفَعَلُوا ذَلِكَ. ثُمَّ إِنَّهُ اخْتَارَ مِنَ الثِّيَابِ مَا أَعْجَبَهُ. وَمِنَ الْخَيْلِ مَا
اسْتَحْسَنَهُ. ثُمَّ لَبِسَ الثِّيَابَ وَرَكِبَ الْجَوَادَ. وَسَارَ بِالْمُوكِبِ.
وَالطَّوْقِ الْمُرْصَعِ بِالْجَوَاهِرِ وَأَصْنَافِ الدَّرِّ وَالْيَوَاقِيتِ. وَجَعَلَ

يَرْكُضُ الْحِصَانَ فِي عَسْكَرِهِ وَيَفْتَحِرُ بَيْتَهُ وَتَجْبِرُهُ . فَأَتَاهُ
 إِبْلِيسُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى مَنْخَرِهِ وَفَخَّ فِي أَنْفِهِ نَفْخَةً الْكَبِيرَ وَالْعُجْبَ
 فَزَهَا وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَنْ فِي الْعَالَمِ مِثْلِي : وَطَفِقَ يَتَبَّهُ بِالْعُجْبِ
 وَالْكَبْرِ وَيُظْهِرُ الْأُبْهَةَ . وَيَزْهَوُ بِالْحِيلَاءِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَى أَحَدٍ مِنْ تَبِعِهِ
 وَكِبَرِهِ . وَغُجْبِهِ وَفَخْرِهِ . فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَجُلٌ عَلَيْهِ ثِيَابٌ رَثَّةٌ .
 فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ . فَقَبَضَ عَلَى عِنَانِ فَرَسِهِ . فَقَالَ لَهُ
 الْمَلِكُ : أَرْفَعْ يَدَكَ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي عِنَانٍ مَنْ قَدْ أَمْسَكَتَ . فَقَالَ
 لَهُ : إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ : فَقَالَ : أَصْبِرْ حَتَّى أَنْزِلَ وَأَذْكُرْ حَاجَتَكَ .
 فَقَالَ : إِنَّهَا سِرٌّ وَلَا أَقُولُهَا إِلَّا فِي أُذُنِكَ . فَمَالَ بِسَمْعِهِ إِلَيْهِ . فَقَالَ
 لَهُ : أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ . وَأُرِيدُ قَبْضَ رُوحِكَ . فَقَالَ : أَمْرَانِي بِقَدْرِ مَا
 أَعُودُ إِلَى بَيْتِي . وَأُودِعُ أَهْلِي وَأَوْلَادِي وَجِيرَانِي وَزَوْجَتِي . فَقَالَ :
 كَلَّا . لَا تَعُودُ وَلَنْ تَرَاهُمْ أَبَدًا . فَإِنَّهُ قَدْ مَضَى أَجَلُ عُمرِكَ . فَأَخَذَ
 رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى ظَهْرِ فَرَسِهِ . فَخَرَّ مَيِّتًا

وَمَضَى مَلَاكُ الْمَوْتِ مِنْ هُنَاكَ . فَأَتَى رَجُلًا صَالِحًا قَدْ رَضِيَ
 اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ . فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ . فَقَالَ مَلَاكُ الْمَوْتِ : أَيُّهَا
 الرَّجُلُ الصَّالِحُ . إِنْ لِي إِلَيْكَ حَاجَةٌ وَهِيَ سِرٌّ . فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ
 الصَّالِحُ : أَذْكُرْ حَاجَتَكَ فِي أُذُنِي فَقَالَ : أَنَا مَلَاكُ الْمَوْتِ . فَقَالَ
 الرَّجُلُ : مَرْحَبًا بِكَ . الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَحَبَّتِكَ فَإِنِّي كُنْتُ كَثِيرًا أَتَرَقَّبُ
 وَصُورَكَ إِلَيَّ . وَلَقَدْ طَالَتْ غَيْبَتُكَ عَنِ الْمَشْتَاكِ إِلَى قَدُومِكَ .

فَقَالَ لَهُ مَلِكُ الْمَوْتِ : إِنْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ فَأَقِضِهِ . فَقَالَ لَهُ : لَيْسَ لِي
شُغْلٌ أَهَمُّ عِنْدِي مِنْ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ : فَقَالَ : كَيْفَ تُحِبُّ أَنْ
أَقِضَ رُوحَكَ ، فَإِنِّي أَمِرتُ أَنْ أَقِضَهَا كَيْفَ أَرَدْتُ وَأَخْتَرْتُ :
فَقَالَ : أَهْلِي حَتَّى أَسْجُدَ وَأُصَلِّيَ . فَإِذَا سَجَدْتُ وَصَلَّيْتُ فَأَقِضْ
رُوحِي وَأَنَا سَاجِدٌ . فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : إِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَني
أَنْ لَا أَقِضَ رُوحَكَ إِلَّا بِاخْتِيَارِكَ كَيْفَ أَرَدْتُ . وَأَنَا أَفْعَلُ مَا
قُلْتَ . فَقَامَ الرَّجُلُ وَسَجَدَ وَصَلَّى فَقَبَضَ مَلِكُ الْمَوْتِ رُوحَهُ وَهُوَ
سَاجِدٌ وَنَقَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَحَلِّ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ وَالْمَغْفِرَةِ
الْحِكَايَةُ الثَّانِيَّةُ

زَعَمُوا أَنَّ مَلِكًا مِنَ الْمُلُوكِ كَانَ قَدْ جَمَعَ مَا لَا عَظِيمًا لَا
يُحْصَى عَدَدُهُ . وَاحْتَوَى عَلَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ خَلَقَهُ اللَّهُ
تَعَالَى فِي الدُّنْيَا لِيُرْفَهُ نَفْسُهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِمَا جَمَعَهُ مِنْ
النَّعَمِ الطَّائِلَةِ بَنَى لَهُ قَصْرًا عَالِيًا مُرْتَفَعًا شَاهِقًا يَصْلُحُ لِلْمُلُوكِ
وَيَكُونُ بِهِمْ لَا نَفَا . ثُمَّ رَكِبَ عَلَيْهِ بَايِنٍ مُحْكَمِينَ وَرَتَّبَ لَهُ الْعِلْمَانَ
وَالْأَجْنَادَ وَالْبَوَايِنَ كَمَا أَرَادَ . وَأَمَرَ الطَّبَاخَ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ أَنْ
يَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا مِنْ أَطْيَبِ الطَّعَامِ . وَجَمَعَ أَهْلَهُ وَحَشَمَهُ وَأَصْحَابَهُ
وَحَدَمَهُ لِيَأْكُلُوا عِنْدَهُ وَيَنَالُوا رِفْدَهُ . وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ
وَسَيَادَتِهِ . وَاتَّكَأَ عَلَى وِسَادَتِهِ . وَخَاطَبَ نَفْسَهُ وَقَالَ : يَا نَفْسُ . قَدْ
جَمَعْتُ لَكَ نِعَمَ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا . فَالْآنَ تَفَرِّغِي وَكُلِي مِنْ هَذِهِ

النِّعَمِ مُهَنَّاةً بِالْعَمْرِ الطَّوِيلِ . وَالْحَظِّ الْجَزِيلِ . فَلَمَّ يَفْرَغُ مِمَّا حَدَّثَ
 بِهِ نَفْسَهُ . حَتَّى أَتَاهُ رَجُلٌ مِنْ ظَاهِرِ الْقَصْرِ عَلَيْهِ ثِيَابُ رَثَّةٍ وَفِي
 عُنُقِهِ مِخْلَافَةٌ مُعَلَّقَةٌ عَلَى هَيْئَةِ سَائِلٍ لَيْتَالِ الطَّعَامِ . فَجَاءَ وَطَرَقَ حَلَقَةَ
 بَابِ الْقَصْرِ طَرَفَةً عَظِيمَةً هَائِلَةً . كَادَتْ تَرْتَزِلُ الْقَصْرَ وَتُخْرِجُ السَّرِيرَ .
 فَخَافَ الْغُلَمَانُ فَوَثَبُوا إِلَى الْبَابِ وَصَاحُوا بِالطَّارِقِ وَقَالُوا لَهُ :
 وَيْحَكَ مَا هَذِهِ الْفَعْلَةُ وَسُوءُ الْأَدَبِ . أَصْبِرْ حَتَّى يَأْكُلَ الْمَلِكُ
 وَنُعْطِيكَ مِمَّا يَفْضُلُ . فَقَالَ لِلْغُلَمَانِ : قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ يُخْرِجْ إِلَيَّ
 حَتَّى يَكَلِّمَنِي فَلِيَ إِلَيْهِ حَاجَةٌ وَشُغْلٌ بِهِمْ وَأَمْرٌ مَالِي . فَقَالُوا : تَنْخُ
 أَيُّهَا الضَّعِيفُ مَنْ أَنْتَ حَتَّى تَأْمُرَ صَاحِبَنَا بِالْخُرُوجِ إِلَيْكَ . فَقَالَ
 لَهُمْ : عَرَفُوهُ ذَلِكَ . فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَعَرَفُوهُ . فَقَالَ : هَلَّا زَجَرْتُمُوهُ
 وَجَرَدْتُمْ عَلَيْهِ وَنَهَرْتُمُوهُ . ثُمَّ طَرَقَ الْبَابَ أَعْظَمَ مِنَ الطَّرَقَةِ الْأُولَى .
 فَنَهَضَ الْغُلَمَانُ إِلَيْهِ بِالْعِصِيِّ وَالسِّلَاحِ وَقَصَدُوهُ لِيُجَارِبُوهُ . فَصَاحَ
 بِهِمْ صَوْتًا وَقَالَ : أَلْزَمُوا أَمَاكِنَكُمْ . فَأَنَا مَلِكُ الْمَوْتِ . فَرَعَبَتْ
 قُلُوبُهُمْ وَذَهَبَتْ عَقُولُهُمْ وَطَاشَتْ حُلُومُهُمْ وَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُمْ
 وَبَطَلَتْ عَنْ الْحَرَكَةِ جَوَارِحُهُمْ . فَقَالَ لَهُمُ الْمَلِكُ : قُولُوا لَهُ يَأْخُذُ
 بَدَلًا مِنِّي وَعِوَضًا عَنِّي . فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : لَا آخُذُ بَدَلًا وَلَا أَتَيْتُ
 إِلَّا مِنْ أَجْلِكَ لِأَفَرِّقَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ النِّعَمِ الَّتِي جَمَعْتَهَا وَالْأَمْوَالِ
 الَّتِي حَوَيْتَهَا وَخَزَنْتَهَا . فَعِنْدَ ذَلِكَ تَنْفَسُ الصُّعْدَاءُ وَبَكَى وَقَالَ :
 لَعَنَ اللَّهُ الْمَالَ الَّذِي غَرَّنِي وَأَضْرَى وَمَنْعَنِي عَنْ عِبَادَةِ رَبِّي . وَكُنْتُ

أُظِنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُنِي . فَبَقِيَ الْيَوْمَ حَسْرَةً عَلَيَّ وَوَبَالًا لَدَيَّ . وَهَذَا أَنَا أَخْرَجُ
صَفَرَ الْيَدَيْنِ مِنْهُ وَيَبْقَى لِأَعْدَائِي . (قَالَ) فَأَنْطَقَ اللَّهُ الْمَالَ وَقَالَ :
لِأَيِّ سَبَبٍ تَلْعَنُنِي الْعَنُ نَفْسَكَ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَنِي وَإِيَّاكَ مِنْ
تُرَابٍ وَجَعَلَنِي فِي يَدِكَ لِتَتَرَوْدَ مِنِّي لِأَخْرِكَ وَتَتَصَدَّقَ بِي عَلَى الْفُقَرَاءِ
وَالْمَسَاكِينِ وَالضُّعَفَاءِ . وَلِتَعْمُرَ بِي الْمَسَاجِدُ وَالْجُسُورُ وَالْقَنَاطِرُ
لَأَكُونَ عَوْنًا لَكَ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ . وَأَنْتَ جَمَعْتَنِي وَخَزَنْتَنِي وَفِي
هَوَاكَ أَنْفَقْتَنِي وَلَمْ تَشْكُرْ لِحَقِّي بَلْ كَفَرْتَنِي . فَأَلَانَ تَرْكُوتَنِي
لِأَعْدَائِكَ وَأَنْتَ بِحَسْرَتِكَ وَتَدَامَتِكَ . فَأَيُّ ذَنْبٍ لِي حَتَّى تَسُبَّنِي .
ثُمَّ إِنَّ مَلِكَ الْمَوْتِ قَبَضَ رُوحَهُ وَهُوَ عَلَى سَرِيرِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَ
الطَّعَامَ . فَخَرَّ مَيِّتًا سَاقِطًا مِنْ فَوْقِ سَرِيرِهِ كَقَوْلِهِ : حَتَّى إِذَا فَرِحُوا
بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ
الْحِكَايَةُ الثَّلَاثَةُ

حُكِيَ أَنَّ مَلِكًا جَبَّارًا مِنْ مُلُوكِ بَنِي إِسْرَائِيلَ . كَانَ فِي
بَعْضِ الْأَيَّامِ جَالِسًا عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ . فَرَأَى رَجُلًا قَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ
مِنْ بَابِ الدَّارِ وَلَهُ صُورَةٌ مُنْكَرَةٌ وَهَيْئَةٌ هَائِلَةٌ . فَأَشَارَ مِنْ
هُجُومِهِ عَلَيْهِ وَقَرَعَ مِنْ هَيْئَتِهِ فَوَثَبَ فِي وَجْهِهِ وَقَالَ : مَنْ أَنْتَ
أَيُّهَا الرَّجُلُ . وَمَنْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّخُولِ عَلَيَّ وَأَمْرِكَ بِالْمَجِيءِ إِلَى
دَارِي . فَقَالَ : أَمَرَنِي صَاحِبُ الدَّارِ . وَأَنَا لَا يَحْجُبُنِي حَاجِبٌ وَلَا
أَحْتَاجُ فِي دُخُولِ الْمُلُوكِ إِلَى إِذْنٍ . وَلَا أَزْهَبُ سِيَاسَةً سُلْطَانٍ وَلَا

كَثْرَةَ أَعْوَانٍ . أَنَا الَّذِي لَا يَهْرَعُنِي جَبَّارٌ . وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ قَبْضَتِي
 فِرَارٌ . أَنَا هَادِمُ اللَّذَاتِ وَمُفَرِّقُ الْجَمَاعَاتِ . فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ هَذَا
 الْكَلَامَ خَرَّ عَلَى وَجْهِهِ وَدَبَّتِ الرُّعْدَةُ فِي بَدَنِهِ وَوَقَعَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ .
 فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ : أَنْتَ مَلِكُ الْمَوْتِ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ
 بِاللَّهِ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي يَوْمًا وَاحِدًا لِأَسْتَغْفِرَ مِنْ ذَنْبِي . وَأَطْلُبَ الْعُذْرَ
 مِنْ رَبِّي وَأَرُدَّ الْأَمْوَالَ الَّتِي فِي خَزَائِنِي لِأَرْبَابِهَا . وَلَا أَتَحْمَلَ مَشَقَّةَ
 حِسَابِهَا وَوَيْلَ عِقَابِهَا . فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ : هَيَّاهُ هَيَّاهُ . لَا سَبِيلَ
 لَكَ إِلَى ذَلِكَ . وَكَيْفَ أَمْلِكُ وَأَيَّامُ عُمْرِكَ مُحْسُوبَةٌ . وَأَنْفَاسُكَ
 مَعْدُودَةٌ . وَأَوْقَاتُكَ مَشْبُوتَةٌ مَكْتُوبَةٌ . فَقَالَ أَمِيرُنِي سَاعَةً . فَقَالَ : إِنَّ
 السَّاعَةَ فِي الْحِسَابِ وَقَدْ مَضَتْ وَأَنْتَ غَافِلٌ . وَأَنْقَضَتْ وَأَنْتَ
 ذَاهِلٌ . وَقَدْ اسْتَوْفَيْتَ أَنْفَاسُكَ . وَلَمْ يَبْقَ لَكَ إِلَّا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ .
 فَقَالَ : مَنْ يَكُونُ عِنْدِي إِذَا نُقِلْتُ إِلَى الْحَدِيدِ . قَالَ : لَا يَكُونُ عِنْدَكَ
 إِلَّا عَمَلُكَ . فَقَالَ : مَا لِي عَمَلٌ . قَالَ : لَا جَرَمَ إِنَّهُ يَكُونُ مَقِيلُكَ فِي النَّارِ
 وَمَصِيرُكَ إِلَى غَضَبِ الْجَبَّارِ . ثُمَّ قَبَضَ رُوحَهُ فَخَرَّ سَاقِطًا عَنْ سَرِيرِهِ .
 وَوَقَعَ إِلَى الْأَرْضِ . فَحَصَلَ الصُّبْحُ فِي أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَارْتَفَعَتِ
 الْأَصْوَاتُ وَعَلَا الصِّيَاحُ وَالْبُكَاءُ . وَلَوْ عَلِمُوا مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ مِنْ
 سُخْطِ رَبِّهِ لَكَانَ بُكَاءُهُمْ عَلَيْهِ أَكْثَرَ وَعَوِيلُهُمْ أَشَدَّ وَأَوْفَرَ .
 ذِكْرُ الْمَوْتِ الدَّائِمِ

حُكِيَ أَنَّ إِسْكَندَرَ ذَا الْقَرْنَيْنِ أَجْتَازَ فِي سَفَرِهِ يَوْمَ ضَعْفَاءَ

لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا . وَقَدْ حَفَرُوا قُبُورَ مَوْتَاهُمْ عَلَى
أَبْوَابِ دُورِهِمْ . وَكَانُوا فِي كُلِّ وَقْتٍ يَتَعَهَّدُونَ تِلْكَ الْقُبُورِ
وَيَكْنُسُونَ التُّرَابَ عَنْهَا وَيُنْظِفُونَهَا وَيَزُودُونَهَا وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى
فِيهَا وَلَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا الْحَشِيشُ وَنَبَاتُ الْأَرْضِ . فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ
إِسْكَندَرُ ذُو الْقَرْنَيْنِ رَجُلًا يَسْتَدْعِي مَلِكَهُمْ إِلَيْهِ فَلَمْ يُجِبْهُ
وَقَالَ : مَالِي إِلَيْهِ حَاجَةٌ . فَسَارَ ذُو الْقَرْنَيْنِ إِلَيْهِ وَقَالَ : كَيْفَ
حَالُكُمْ وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . فَإِنِّي لَا أَرَى لَكُمْ شَيْئًا مِنْ ذَهَبٍ وَلَا مِنْ
فِضَّةٍ وَلَا أَجِدُ عِنْدَكُمْ شَيْئًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا . فَقَالَ لَهُ : إِنْ نَعِمَ الدُّنْيَا
لَا يَشْبَعُ مِنْهُ أَحَدٌ . فَقَالَ لَهُ إِسْكَندَرُ : لِمَ حَفَرْتُمُ الْقُبُورَ عَلَى أَبْوَابِكُمْ .
فَقَالَ : لِنَكُونَ نُصَبَ أَعْيُنَنَا . فَتَنْظُرُ إِلَيْهَا وَتُجَدِّدُ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَلَا
نُنْسِيَ الْآخِرَةَ وَيَذْهَبُ حُبُّ الدُّنْيَا مِنْ قُلُوبِنَا . فَلَا نَشْتَغِلُ بِهَا عَنْ
عِبَادَةِ رَبِّنَا تَعَالَى . فَقَالَ إِسْكَندَرُ : كَيْفَ تَأْكُلُونَ الْحَشِيشَ . قَالَ :
لَا نَأْكُرُهُ أَنْ نَجْعَلَ فِي بُطُونِنَا قُبُورَ الْحَيَوَانَاتِ . وَلَئِنْ لَذَّةَ الطَّعَامِ
لَا تَتَجَاوَزُ الْخَلْقَ . ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ فَأَخْرَجَ قِحْفًا مِنْ رَأْسِ آدَمِيٍّ فَوَضَعَهُ
بَيْنَ يَدَيْ إِسْكَندَرَ وَقَالَ لَهُ : يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ . أَتَعْلَمُ مَنْ كَانَ
صَاحِبَ هَذَا . قَالَ : لَا . قَالَ : كَانَ صَاحِبُهُ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا .
فَكَانَ يَظْلِمُ رَعِيَّتَهُ وَيَجْورُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى الضُّعَفَاءِ وَيَسْتَفْرِغُ زَمَانَهُ فِي
جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا . فَخَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ وَجَعَلَ النَّارَ مَقَرَّهُ وَهَذَا رَأْسُهُ .
ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَوَضَعَ قِحْفًا آخَرَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ لَهُ : أَتَعْرِفُ هَذَا

قَالَ: لَا. قَالَ هَذَا كَانَ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ الْأَرْضِ وَكَانَ عَادِلًا فِي رِعْيَتِهِ. شَفُوقًا عَلَى أَهْلِ وَلَا يَتِهِ وَمُلِكِهِ. فَقَبَضَ اللَّهُ رُوحَهُ وَأَسْكَنَهُ جَنَّةً وَرَفَعَ دَرَجَتَهُ. وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَقَالَ: تَرَى أَنْتَ أَيُّ هَذَيْنِ الرَّأْسَيْنِ. فَبَكَى ذُو الْقَرْنَيْنِ بَكَاءً شَدِيدًا وَصَّمَهُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَالَ لَهُ: إِنْ أَنْتَ رَغَبْتَ فِي صُحْبَتِي. سَلَّمْتُ إِلَيْكَ وَزَارَتِي وَقَاسَمْتُكَ فِي مَمْلَكَتِي. فَقَالَ الرَّجُلُ: هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ. مَا لِي رَغْبَةٌ فِي هَذَا. فَقَالَ لَهُ: إِنْكَدَرُ. وَلَمْ ذَلِكَ. قَالَ: لِأَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَعْدَاؤُكَ بِسَبَبِ أُمَالٍ وَالْمُلُوكِ الَّذِينَ أُعْطِيَتْهُ. وَجَمِيعُهُمْ أَصْدِقَائِي فِي الْحَقِيقَةِ بِسَبَبِ الْقَنَاعَةِ وَالصَّعْلَكَةِ. لِأَنِّي لَيْسَ لِي مُلْكٌ وَلَا طَمَعٌ فِي الدُّنْيَا. وَلَا لِي إِلَيْهَا طَلَبٌ. وَلَا فِيهَا أَدَبٌ. وَلَيْسَ لِي إِلَّا الْقَنَاعَةُ حَسْبٌ. فَصَّمَهُ إِنْكَدَرُ إِلَى صَدْرِهِ وَقَبْلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَنْصَرَفَ

نُخْبٌ

مِمَّا كَتَبَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ
فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ وَالْمُكَافَأَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ

فِي طَلِبَتِي أَعْمِيَيْنِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَعْمِيَيْنِ كَانَا يَجْلِسَانِ عَلَى طَرِيقِ أُمِّ جَعْفَرٍ.

وَكَاثَتْ مَوْصُوفَةً بِالْكَرَمِ . وَكَانَ أَحَدُهُمَا ذَا عِيَالٍ وَأَهْلٍ وَكَانَ يَقُولُ :
 اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلِكَ الْوَاسِعِ . وَكَانَ الْآخَرُ عَزْبًا لَا أَهْلَ لَهُ
 وَكَانَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي مِنْ فَضْلٍ أَمْ جَعْفَرٍ . فَصَارَتْ تُرْسِلُ
 لِطَالِبٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ دِرْهَمَيْنِ وَتُرْسِلُ لِطَالِبٍ فَضْلَهَا رَغِيفَيْنِ بَيْنَهُمَا
 دَجَاجَةٌ مَشْوِيَّةٌ فِي بَطْنِهَا عَشْرَةُ دَنَائِرٍ لَمْ تُعْلَمْ بِهَا . فَكَانَ يَكْرَهُ
 ذَلِكَ وَيَقُولُ لِلْآخَرِ : خُذْ هَذَيْنِ الرَغِيفَيْنِ وَالْدَجَاجَةَ وَأَعْطِنِي
 الدَّرْهَمَيْنِ فَيَفْعَلُ ذَلِكَ . فَمَضَى عَلَى ذَلِكَ شَهْرٌ ثُمَّ أَرْسَلَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ
 تَقُولُ : قُولُوا لِطَالِبٍ فَضْلَنَا أَمَا أَغْنَاكَ عَطَاؤُنَا . فَقَالَ لَهُمْ : قُولُوا لَهَا
 مَا أَعْطَيْتِهِ . فَقَالَتْ : ثَلَاثُمِائَةِ دِينَارٍ . فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ بَلْ كَانَتْ تُرْسِلُ
 لِي دَجَاجَةً وَرَغِيفَيْنِ كُلَّ يَوْمٍ وَكُنْتُ أَيْبَعُهَا لِصَاحِبِي بِدِرْهَمَيْنِ .
 فَقَالَتْ أُمُّ جَعْفَرٍ : صَدَقَ الرَّجُلُ . إِنَّهُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فَأَغْنَاهُ
 اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَلَمْ يَقْصِدْ غِنَاهُ . وَالْآخَرُ طَلَبَ مِنْ فَضْلِنَا
 فَرَحِمَهُ اللَّهُ

(نوادير القليوبي)

فِي قِطْعٍ يَقُوتُ قِطْعًا

حَكَى ابْنُ خَلِّكَانَ وَغَيْرُهُ فِي تَرْجَمَةِ الْإِمَامِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بَابِشَادَ
 النَّحْوِيِّ . أَنَّهُ كَانَ يَوْمًا عَلَى سَطْحٍ جَامِعٍ مِصْرَ يَأْكُلُ شَيْئًا وَعِنْدَهُ
 بَعْضُ أَصْحَابِهِ . فَحَضَرَهُمْ قِطْعٌ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً فِي فِيهِ وَغَابَ عَنْهُمْ . ثُمَّ
 عَادَ إِلَيْهِمْ فَرَمَوْا لَهُ لُقْمَةً ثَانِيَةً فَأَخَذَهَا وَذَهَبَ . ثُمَّ عَادَ فَرَمَوْا لَهُ شَيْئًا
 فَأَخَذَهُ وَذَهَبَ . ثُمَّ عَادَ فَقَعَلَ ذَلِكَ مِرَارًا كَثِيرَةً وَهُمْ يَرْمُونَ لَهُ وَهُوَ

يَأْخُذُ وَيَغِيبُ ثُمَّ يَعُودُ مِنْ قَوْرِهِ فَتَعَجُّبُوا مِنْهُ . فَتَبِعُوهُ فَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ ذَلِكَ الطَّعَامَ وَيَدْخُلُ بِهِ إِلَى خَرِيبَةٍ فِيهَا شِبْهُ أَلَيْتِ الْخِرَابِ وَفِي سَطْحِ ذَلِكَ أَلَيْتٍ قِطُّ أَعْمَى . فَإِذَا هُوَ يَضَعُ الطَّعَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَعَجُّبُوا مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ الشَّيْخُ ابْنُ بَابَشَادَ : إِذَا كَانَ هَذَا حَيَوَانًا آخَرَسَ قَدْ سَخَّرَ اللَّهُ لَهُ هَذَا الْقِطَّ وَهُوَ يَتَوَمُّ بِكِفَايَتِهِ وَلَمْ يَحْرِمَهُ الرِّزْقَ فَكَيْفَ يُضَيِّعُ مِثْلِي . ثُمَّ قَطَعَ الشَّيْخُ عِلَاقَتَهُ وَتَرَكَ خِدْمَةَ السُّلْطَانِ وَلَزِمَ بَيْتَهُ وَتَرَكَ جَمِيعَ أَشْغَالِهِ تَوَكَّلًا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَى أَنْ مَاتَ

(حَيَاةُ الْحَيَوَانِ لِلدَّامِيرِيِّ)

فِي جُودِ مَلِكٍ

قِيلَ إِنَّ الْمَلِكَ خِسرُو بْنَ بَرْوِيزَ كَانَ يُحِبُّ أَكْلَ السَّمَكِ وَكَانَ يَوْمًا جَالِسًا فِي الْمَنْظَرَةِ وَشِيرِينَ خِنْدَهُ فَجَاءَ صَيَّادٌ وَمَعَهُ سَمَكَةٌ كَبِيرَةٌ وَأَهْدَاهَا لِلْخِسرُو وَوَضَعَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَقَالَتْ شِيرِينَ : بَلَسَ مَا صَنَعْتَ فَقَالَ الْمَلِكُ : لِمَ . فَقَالَتْ : لِأَنَّكَ إِذَا أُعْطِيتَ بَعْدَ هَذَا لِأَحَدٍ مِنْ حَشَمِكَ هَذَا الْقَدْرَ قَالَ : قَدْ أَعْطَانِي مِثْلَ عَظِيَّةِ الصَّيَّادِ . فَقَالَ : لَقَدْ صَدَقْتَ . وَلَكِنْ يَقْبِجُ بِالْمُلُوكِ أَنْ يَرْجِعُوا فِي هِبَاتِهِمْ وَقَدْ قَاتَ الْأَمْرُ . فَقَالَتْ شِيرِينَ : أَنَا أَدَبْتُ هَذَا الْحَالَ . فَقَالَ وَكَيْفَ ذَلِكَ فَقَالَتْ : تَدْعُو الصَّيَّادَ وَتَقُولُ لَهُ : هَذِهِ السَّمَكَةُ ذَكَرٌ هِيَ أَمْ أَنْثَى . فَإِنْ قَالَ ذَكَرٌ فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ أَنْثَى . وَإِنْ قَالَ أَنْثَى فَقُلْ : إِنَّمَا طَلَبْتُ ذَكَرًا . فَتُودِي

الصَّيَّادُ فَعَادَ . وَكَانَ الصَّيَّادُ ذَا ذَكَاءٍ وَفِطْنَةٍ . فَقَالَ لَهُ خَسِرُوا هَذِهِ
 السَّمَكَةَ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى . فَقَبِلَ الصَّيَّادُ الْأَرْضَ وَقَالَ لَهُ : هَذِهِ السَّمَكَةُ
 حَتَّى لَا ذَكَرٌ وَلَا أُنْثَى . فَضَحِكَ خَسِرُوا مِنْ كَلَامِهِ وَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ
 آلَافِ دِرْهَمٍ . فَمَضَى الصَّيَّادُ إِلَى الْخَازِنِ وَقَبَضَ مِنْهُ ثَمَانِيَةَ آلَافِ
 دِرْهَمٍ . وَوَضَعَهَا فِي جِرَابٍ كَانَ مَعَهُ . وَحَمَلَهَا عَلَى عُنُقِهِ وَهُمْ بِالْخُرُوجِ
 فَوَقَعَ مِنَ الْجِرَابِ دِرْهَمٌ وَاحِدٌ . فَوَضَعَ الصَّيَّادُ الْجِرَابَ عَنْ كَاهِلِهِ
 وَأَتَمَحَنَى عَلَى الدَّرْهَمِ فَأَخَذَهُ وَالْمَلِكُ وَشِيرِينَ يُنْظَرَانِ إِلَيْهِ . فَقَالَتِ
 شِيرِينَ لِحَسْرَتِهِ : أَرَأَيْتَ خِصَّةَ هَذَا الرَّجُلِ وَسَفَالَتَهُ . سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ
 وَاحِدٌ فَأَلْقَى عَنْ كَاهِلِهِ ثَمَانِيَةَ آلَافِ دِرْهَمٍ وَأَتَمَحَنَى عَلَى الدَّرْهَمِ
 فَأَخَذَهُ وَلَمْ يَسْهَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَهُ لِيَأْخُذَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِ الْمَلِكِ .
 فَحَرِدَ خَسِرُوا مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : صَدَقْتَ يَا شِيرِينَ . ثُمَّ أَمَرَ بِإِعَادَةِ
 الصَّيَّادِ وَقَالَ لَهُ : يَا سَاقِطَ الْهِمَّةِ لَسْتَ بِبِنَاسٍ وَضَعْتَ هَذَا الْمَالَ
 عَنْ عُنُقِكَ لِأَجْلِ دِرْهَمٍ وَاحِدٍ وَأَسِيفْتُ أَنْ تَتْرُكَهُ فِي مَكَانِهِ .
 فَقَبِلَ الصَّيَّادُ الْأَرْضَ وَقَالَ : أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي لَمْ
 أَرْقِعْ ذَلِكَ الدَّرْهَمَ لِحَظَرِهِ عِنْدِي . وَإِنَّمَا رَفَعْتُهُ عَنِ الْأَرْضِ لِأَنَّ
 عَلَى وَجْهِهِ صُورَةَ الْمَلِكِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ اسْمُ الْمَلِكِ . فَخَشِيتُ أَنْ
 يَأْتِيَ أَحَدٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ يَضَعُ عَلَيْهِ قَدَمَهُ فَيَكُونُ ذَلِكَ اسْتِحْقَافًا بِاسْمِ
 الْمَلِكِ وَأَكُونُ أَنَا الْمُؤَاخَذَ بِهِذَا . فَجِئْتُ خَسِرُوا مِنْ كَلَامِهِ وَأَسْتَحْسِنُ
 مَا ذَكَرَهُ فَأَمَرَ لَهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . فَعَادَ الصَّيَّادُ وَمَعَهُ اثْنَا

عَشْرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . وَأَمَرَ خَيْرُ وَ مُنَادِيًا يُنَادِي لَا تَدْرُ أَحَدٌ بِرَأْيِ
النِّسَاءِ فَإِنَّهُ مَنْ تَدْرُ بِرَأْيِهِنَّ وَاعْتَمَدَ بِأَمْرِهِنَّ خَسِرَ دِرْهَمَهُ
(التبر المسبوك للغزالي)

في جودِ معن بن زائدة

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا يُحْكِي فِي الْجُودِ وَالْكَرَمِ مَا حَكَاهُ مَرْوَانُ
ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ الشَّاعِرُ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ
مُتَوَلٍّ بِلَادَ الْيَمَنِ أَنَّ الْمَنْصُورَ وَجَّهَ فِي طَلَبِي وَجَعَلَ لِمَنْ يَحْمِلُنِي
إِلَيْهِ مَالًا . (قَالَ) فَأَضْطَرَرْتُ لِشِدَّةِ الطَّلَبِ إِلَى أَنْ تَعَرَّضْتُ لِلشَّمْسِ
حَتَّى لَوَّحَتْ وَجْهِي وَخَفَّتْ عَارِضِي وَلَيْسَتْ جِبَّةٌ صُوفٍ وَرَكِبْتُ
جَمَلًا وَخَرَجْتُ مُتَوَجِّهًا إِلَى الْبَادِيَةِ لِأَقِيمَ بِهَا . (قَالَ) فَلَمَّا خَرَجْتُ مِنْ
بَابِ حَرْبٍ وَهُوَ أَحَدُ أَبْوَابِ بَغْدَادَ تَبِعَنِي أَسْوَدُ مُقَلَّدٌ بِسَيْفٍ حَتَّى
إِذَا غِبْتُ عَنِ الْحَرَسِ قَبَضَ عَلَى خِطَامِ الْجَمَلِ فَأَنَاحَهُ وَقَبَضَ عَلَى يَدِي .
فَقُلْتُ لَهُ : وَمَا بِكَ . قَالَ : أَنْتَ طَلَبُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَقُلْتُ : وَمَنْ أَنَا
حَتَّى أُطَلَبَ . فَقَالَ : أَنْتَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا هَذَا أَتَى اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ وَأَيْنَ أَنَا مِنْ مَعْنٍ . فَقَالَ : دَعْ هَذَا فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ بِكَ
مِنْكَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ مِنْهُ الْجِدَّةَ قُلْتُ لَهُ : هَذَا عَهْدُ جَوْهَرٍ فَقَدْ حَمَلْتُهُ
مَعِيَ بِأَضْعَافٍ مَا جَعَلَهُ الْمَنْصُورُ لِمَنْ يَحِبُّهُ بِي . فَخَذَهُ وَلَا تَكُنْ سَبَبًا
لِسَفْكَ دَمِي . قَالَ : هَاتِيهِ . فَأَخْرَجْتُهُ إِلَيْهِ فَنَظَرَ فِيهِ سَاعَةً وَقَالَ :
صَدَقْتَ فِي قِيَمَتِهِ وَلَسْتُ قَابِلَهُ حَتَّى أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ فَإِنْ صَدَقْتَنِي

أَطْلَقْتُكَ . فَقُلْتُ : قُلْ . قَالَ : إِنَّ النَّاسَ قَدْ وَصَفُوكَ بِالْجُودِ . فَأَخْبِرْنِي
هَلْ وَهَبْتَ مَالَكَ كُلَّهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَصَفِّهِ . قُلْتُ : لَا . قَالَ :
فَتَلْشَهُ . قُلْتُ : لَا . حَتَّى بَلَغَ الْعُشْرَ فَاسْتَحْيَيْتُ وَقُلْتُ : أَظُنُّ أَنِّي قَدْ
فَعَلْتُ هَذَا . قَالَ : وَمَا ذَاكَ بِعَظِيمٍ . أَنَا رَجُلٌ وَرِزْقِي مِنْ أَبِي
جَعْفَرٍ الْمَنْصُورِ كُلِّ شَهْرٍ عِشْرُونَ دِرْهَمًا وَهَذَا الْجَوْهَرُ قِيمَتُهُ أَلُوفُ
دَنَانِيرٍ قَدْ وَهَبْتُهُ لَكَ وَوَهَبْتُكَ لِنَفْسِكَ وَجُودِكَ الْمَأْثُورِ بَيْنَ النَّاسِ ،
وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مَنْ هُوَ أَجُودُ مِنْكَ فَلَا تُعْجِبُكَ نَفْسُكَ
وَلَتُخْخِرَ بَعْدَ هَذَا كُلِّ جُودٍ فَعَلَّتُهُ وَلَا تَتَوَقَّفَ عَنْ مَكْرَمَةٍ . ثُمَّ رُبِّي
الْعَقْدَ فِي حَجْرِي وَتَرَكَ خِطَامَ الْجَمَلِ وَوَلَّى مُنْصَرَفًا . فَقُلْتُ : يَا هَذَا
لَقَدْ فَضَحْتَنِي وَأَسْفَكَ دَمِي عَلَى أَهْوَنِ مِمَّا فَعَلْتَ فَخُذْ مَا دَفَعْتُهُ لَكَ
فَإِنِّي غَنِيٌّ عَنْهُ . فَضَحَكَ وَقَالَ : أَرَدْتُ أَنْ تُكَذِّبَنِي فِي مَقَالِي هَذَا .
وَاللَّهِ لَا أَخَذْتُهُ وَلَا أَخَذُ لِمَعْرُوفٍ ثَمَنًا أَبَدًا . وَمَضَى لِسَبِيلِهِ . ثُمَّ
طَلَبْتُهُ بَعْدَ أَنْ أَمِنْتُ وَبَذَلْتُ لِمَنْ يَجِيءُ بِهِ مَا شَاءَ فَمَا عَرَفْتُ لَهُ خَبْرًا
(ثمرات الاوراق للحموي)

فِي الْمُكَافَاةِ

مِمَّا جَاءَ فِي الْمُكَافَاةِ مَا حُكِيَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ قَالَ :
كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ الْبَرْمَكِيِّ وَقَدْ خَلَا فِي مَجْلِسِهِ
لِإِحْكَامِ أَمْرِ مِنْ أُمُورِ الرَّشِيدِ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ
جَمَاعَةٌ مِنْ أَصْحَابِ الْحَوَائِجِ فَقَضَاهَا لَهُمْ . ثُمَّ تَوَجَّهُوا لِشَأْنِهِمْ فَكَانَ

آخِرُهُمْ قِيَامًا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْوَلِ . فَتَظَرَ يَحْيَى إِلَيْهِ وَالثَّفْتُ
 إِلَى الْفَضْلِ أَنَّهُ وَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنَّ لِأَبِيكَ مَعَ أَبِي هَذَا الْفَتَى حَدِيثًا .
 فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ شُغْلِي هَذَا فَذَكِّرْنِي أَحَدَ ثَلَاثٍ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ
 شُغْلِهِ وَطَعِمَ قَالَ لَهُ أَبُو الْفَضْلِ : أَعَزَّكَ اللَّهُ يَا أَبِي أَمَرْتَنِي أَنْ
 أَذْكُرَكَ حَدِيثَ أَبِي خَالِدٍ الْأَحْوَلِ . قَالَ : نَعَمْ يَا بُنَيَّ . لَمَّا قَدِمَ أَبُوكَ
 مِنَ الْعِرَاقِ أَيَّامَ الْمُهَدِيِّ كَانَ فَقِيرًا لَا يَمْلِكُ شَيْئًا . فَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ
 إِلَى أَنْ قَالَ لِي مَنْ فِي مَنْزِلِي . إِنَّا كَتَمْنَا حَالَنَا وَزَادَ ضَرَرُنَا وَلَنَا
 الْيَوْمَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ نَقْتَاتُ بِهِ . قَالَ : فَبَكَتُ يَا بُنَيَّ
 لِذَلِكَ بَكَاءً شَدِيدًا . وَبَقِيتُ وَهَانَ حَيْرَانٌ مُطْرِقًا مُفَكِّرًا . ثُمَّ تَذَكَّرْتُ
 مِنْدِيلًا كَانَ عِنْدِي فَقُلْتُ لَهُمْ : مَا حَالُ الْمَنْدِيلِ . فَقَالُوا : هُوَ بَاقٍ
 عِنْدَنَا . فَقُلْتُ : أَذْفَعُوهُ إِلَيَّ . فَأَخَذَتْهُ وَدَفَعَتْهُ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِي
 وَقُلْتُ لَهُ : بَعِثْهُ بِمَا تَيَسَّرَ . فَبَاعَهُ بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَدَفَعْتَهَا إِلَى
 أَهْلِي وَقُلْتُ : أَنْفِقُوهَا إِلَى أَنْ يَرْزُقَ اللَّهُ غَيْرَهَا . ثُمَّ بَكَرْتُ مِنَ الْغَدِ
 إِلَى بَابِ أَبِي خَالِدٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ وَزِيرُ الْمُهَدِيِّ . فَإِذَا النَّاسُ وَقُوفٌ
 عَلَى دَارِهِ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ رَاكِبًا . فَلَمَّا رَأَى سَلَامَ
 عَلِيٍّ وَقَالَ : كَيْفَ حَالُكَ . فَقُلْتُ : يَا أَبَا خَالِدٍ مَا حَالُ رَجُلٍ يَبِيعُ مِنْ
 مَنْزِلِهِ بِالْأَمْسِ مِنْدِيلًا بِسَبْعَةِ عَشَرَ دِرْهَمًا . فَتَظَرَ إِلَيَّ نَظْرًا شَدِيدًا
 وَمَا أَجَابَنِي جَوَابًا . فَرَجَعْتُ إِلَى أَهْلِي كَسِيرَ الْقَابِ وَأَخْبَرْتَهُمْ بِمَا
 اتَّفَقَ لِي مَعَ أَبِي خَالِدٍ . فَقَالُوا : يَسُّ وَاللَّهِ مَا فَعَلْتَ . تَوَجَّهْتَ إِلَى

رَجُلٍ كَانَ يَرْتَضِيكَ لِأَمْرِ جَلِيلٍ فَكَشَفْتَ لَهُ سِرَّكَ وَأَطْلَعْتَهُ عَلَى
 مَكْنُونِ أَمْرِكَ . فَأَزْدَيْتَ عِنْدَهُ بِنَفْسِكَ وَصَغُرَتْ عِنْدَهُ مَنْزِلَتُكَ بَعْدَ
 أَنْ كُنْتَ عِنْدَهُ جَلِيلًا . فَمَا يَرَاكَ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَّا بِهَذِهِ الْعَيْنِ . فَقُلْتُ :
 قَدْ قَضَى الْأَمْرُ الْآنَ بِمَا لَا يُمَكِّنُ اسْتِدْرَاكُهُ . فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ
 بَكَّرْتُ إِلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ . فَلَمَّا بَلَغْتُ الْبَابَ اسْتَقْبَلَنِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي :
 قَدْ ذُكِرْتَ السَّاعَةَ بِبَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَلَمْ أَتَيْتُ لِقَوْلِهِ .
 فَاسْتَقْبَلَنِي آخَرُ فَقَالَ لِي كَمَقَالَةِ الْأَوَّلِ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَنِي حَاجِبُ أَبِي
 خَالِدٍ فَقَالَ لِي : أَيْنَ تَكُونُ قَدْ أَمَرَنِي أَبُو خَالِدٍ بِإِجْلَاسِكَ إِلَيَّ أَنْ
 يُخْرِجَ مِنْ عِنْدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَجَلَسْتُ حَتَّى خَرَجَ . فَلَمَّا رَأَيْتُ دَعَانِي
 وَأَمَرَ لِي بِمَرْكُوبٍ فَرَكِبْتُ وَسِرْتُ مَعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ فَلَمَّا نَزَلَ
 قَالَ : عَلَيَّ يَفْلَانِ وَيَفْلَانِ الْخَنَاطِينَ فَأَحْضِرَا . فَقَالَ لهُمَا : أَلَمْ تَشْتَرِيَا
 مِنِّي غُلَّاتِ السَّوَادِ بِثَمَانِيَةِ عَشَرَ أَلْفَ أَلْفِ دِرْهَمٍ قَالَا : نَعَمْ .
 قَالَ : أَلَمْ أَشْتَرِطْ عَلَيْكُمَا شِرْكَةَ رَجُلٍ مَعَكُمْ قَالَا : بَلَى . قَالَ :
 هُوَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي أَشْتَرَطْتُ شِرْكَتَهُ لَكُمْ أَثُمَّ قَالَ لِي : قُمْ مَعَهُمَا .
 فَلَمَّا خَرَجْنَا قَالَا لِي : ادْخُلْ مَعَنَا بَعْضَ الْمَسَاجِدِ حَتَّى نُكَلِّمَكَ فِي
 أَمْرٍ يَكُونُ لَكَ فِيهِ الرِّبْحُ الْهَيْءُ . فَدَخَلْنَا مَسْجِدًا فَقَالَا لِي : إِنَّكَ
 تَحْتَاجُ فِي هَذَا الْأَمْرِ إِلَى وَكَلَاءٍ وَأُمَنَاءٍ وَكِيَائِينَ وَأَعْوَانٍ وَمُؤَنٍّ لَمْ
 تَقْدِرْ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ . فَهَلْ لَكَ أَنْ تَبِيعَنَا شِرْكَتَكَ بِمَا لَمْ نَعْمَلْهُ
 لَكَ فَتَنْتَفِعَ بِهِ وَيَسْقُطَ عَنْكَ التَّعَبُ وَالْكَلْفُ . فَقُلْتُ لهُمَا : وَكَمْ

تَبَذْلَانِ لِي . فَقَالَا : مِائَةٌ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . فَقُلْتُ : لَا أَفْعَلُ فَمَا زَالَا
يَزِيدَانِي وَأَنَا لَا أَرْضَى إِلَى أَنْ قَالَا لِي : ثَلَاثُمِائَةٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ وَلَا
زِيَادَةَ عِنْدَنَا عَلَى هَذَا . فَقُلْتُ : جِئْتِي أَشَاوِرَ أَبَا خَالِدٍ . قَالَا : ذَلِكَ
لَكَ . فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ وَأَخْبَرْتُهُ فِدْعَا بِهِمَا وَقَالَ لهُمَا : هَلْ وَافَقْتُمَاهُ عَلَى
مَا ذَكَرَ . قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : أَذْهَبَا فَنَقِضَاهُ الْمَالَ السَّاعَةَ . ثُمَّ قَالَ لِي :
أَصْلِحْ أَمْرَكَ وَتَهَيَّأْ فَقَدْ قَلَّدْتُكَ الْعَمَلَ . فَأَصْلَحْتُ شَأْنِي وَقَلَّدَنِي مَا
وَعَدَنِي بِهِ . فَمَا زِلْتُ فِي زِيَادَةٍ حَتَّى صَارَ أَمْرِي إِلَى مَا صَارَ . ثُمَّ
قَالَ لَوْلِيهِ الْفَضْلُ : يَا بُنَيَّ فَمَا تَقُولُ فِي ابْنِ مَنْ فَعَلَ بِأَيْكَ هَذَا
الْفِعْلَ وَمَا جَزَاؤُهُ . قَالَ : حَقٌّ لِعَمْرِي وَجِبَ عَلَيْكَ لَهُ . فَقَالَ : وَاللَّهِ
يَا وَلَدِي مَا أَجِدُ لَهُ مُكَافَأَةً غَيْرَ أَنِّي أَعْزَلُ نَفْسِي وَأَوْلِيهِ . فَقَعَلَ
ذَلِكَ . وَهَكَذَا تَكُونُ الْمُكَافَأَةُ

(للابشيهي)

الصَّانِعُ وَصَانِعُ الْخَلِيفَةِ

حُكِيَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَتْبَاءِ النَّاسِ كَانَتْ لَهُ يَدٌ فِي صِنَاعَةِ
الصِّيَاغَةِ وَكَانَ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهِ . فَسَاءَ حَالُهُ وَافْتَقَرَ بَعْدَ غِنَاهُ
فَكَرِهَ الْإِقَامَةَ فِي بَلَدِهِ فَأَتَقَلَ إِلَى بَلَدٍ آخَرَ فَسَأَلَ عَنْ سُوقِ الصَّانِعَةِ
فَوَجَدَ دُكَّانًا لِمُعَلِّمِ السُّلْطَنَةِ وَتَحْتَ يَدِهِ صُنَاعٌ كَثِيرٌ يَعْمَلُونَ
الْأَشْغَالَ لِلِسُّلْطَنَةِ وَلَهُ سَعَادَةٌ ظَاهِرَةٌ مَا بَيْنَ مَمَالِيكَ وَخَدَمٍ وَقِمَاشٍ
وغير ذلك . فَتَوَصَّلَ الصَّانِعُ الْغَرِيبُ إِلَى أَنْ بَقِيَ مِنْ أَحَدِ الصَّنَاعِ
الَّذِينَ فِي دُكَّانِ هَذَا الْمُعَلِّمِ . وَأَقَامَ يَعْمَلُ عِنْدَهُ مُدَّةً وَكُلَّمَا فَرَغَ

النَّهَارُ دَفَعَ لَهُ دِرْهَمَيْنِ مِنْ فِضَّةٍ وَتَكُونُ أَجْرَةُ عَمَلِهِ تُسَاوِي عَشْرَةَ
 دَرَاهِمَ فَيَكْسِبُ عَلَيْهِ ثَمَانِيَةَ دَرَاهِمَ فِي كُلِّ يَوْمٍ . فَأَتَّفَقَ أَنَّ الْمَلِكَ
 طَلَبَ الْمُعَلِّمَ وَنَاوَلَهُ فَرْدَةً سِوَارٍ مِنْ ذَهَبٍ مُرَصَّعَةً بِفُصُوصٍ فِي
 غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ قَدْ عُمِلَتْ فِي غَيْرِ بِلَادِهِ كَانَتْ فِي يَدِ إِحْدَى حَظَايَاهُ
 فَأَنْكَسَرَتْ . فَقَالَ لَهُ : الْحِمْمَا . فَأَخَذَهَا الْمُعَلِّمُ وَقَدْ اضْطَرَبَ عَلَيْهِ فِي
 عَمَلِهَا . فَلَمَّا أَخَذَهَا وَارَاهَا لِلصَّنَاعِ الَّذِينَ عِنْدَهُ وَعِنْدَ غَيْرِهِ فَمَا قَالَ لَهُ
 أَحَدٌ إِنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى عَمَلِهَا . فَأَزْدَادَ الْمُعَلِّمُ لِذَلِكَ غَمًّا وَمَضَتْ مُدَّةٌ
 وَهِيَ عِنْدَهُ لَا يَعْلَمُ مَا يَصْنَعُ . فَأَشْتَدَّ الْمَلِكُ عَلَى إِحْضَارِهَا وَقَالَ : هَذَا
 الْمُعَلِّمُ نَالَ مِنْ جَهْتِنَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الْعَظِيمَةَ وَلَا يُحْسِنُ أَنْ يُلْحِمَ
 سِوَارًا . فَلَمَّا رَأَى الصَّانِعُ الْغَرِيبُ شِدَّةَ مَا نَالَ الْمُعَلِّمُ قَالَ فِي نَفْسِهِ :
 هَذَا وَقْتُ الْمُرُوءَاتِ أَعْمَلُهَا وَلَا أُوَاخِذُهُ بِجُحْلِهِ عَلَى وَعْدٍ . إِنْصَافِهِ
 وَلَعَلَّهُ يُحْسِنُ إِلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ . فَحَطَّ يَدُهُ فِي دَرَجِ الْمُعَلِّمِ وَأَخَذَهَا
 وَفَكَ جَوَاهِرَهَا وَسَبَّكَهَا . ثُمَّ صَاغَهَا كَمَا كَانَتْ وَنَظَّمَهَا عَلَيْهَا جَوَاهِرَهَا
 فَعَادَتْ أَحْسَنَ مِمَّا كَانَتْ . فَلَمَّا رَأَاهَا الْمُعَلِّمُ فَرِحَ فَرَحًا شَدِيدًا . ثُمَّ
 مَضَى بِهَا إِلَى الْمَلِكِ فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَحْسَنَهَا وَأَدْعَى الْمُعَلِّمُ أَنَّهَا صَنَعَتْهُ .
 فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً . فَبَجَاءَ وَجَلَسَ مَكَانَهُ فَبَقِيَ
 الصَّانِعُ يَرْجُو مَكْفَأَتَهُ عَمَّا عَامَلَهُ بِهِ فَمَا أُلْتَفَتْ إِلَيْهِ الْمُعَلِّمُ . وَلَمَّا كَانَ
 النَّهَارُ مَا زَادَهُ عَلَى الدِّرْهَمَيْنِ شَيْئًا . فَمَا مَضَتْ إِلَّا أَيَّامٌ قَلِيلٌ وَإِذَا
 الْمَلِكُ اخْتَارَ أَنْ يَعْمَلَ زَوْجِي أَسَاوِرَ عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ فَطَلَبَ

المعلم ورسم له بكل ما يحتاج إليه وأكّد عليه في تحسين الصفة
وسرعة العمل . فجاء إلى الصانع وأخبره بما قال الملك . فامتثل
مرسومه ولم يزل منتصباً إلى أن عمل الزوجين وهو لا يزيد شيئاً
على الدرهمين في كل يوم . ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل
معه . فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منهما آياتاً يشرح فيها
حاله ليقف عليها الملك . فنقش في باطن أحدهما هذه الآيات
نقشاً خفياً يقول :

مصابب الدهر كفي	إن لم تكفي فعمي
خرجت أطلب رزقي	وجدت رزقي توفي
فلا يرزقي أحظى	ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا	وعالم متخفي

(قال) وعزم الصانع على أنه إن ظهرت الآيات للمعلم شرح
له ما عنده وإن غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله إلى
الملك . ثم لهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير
باطنهما لجهله بالصنعة ولما سبق له في القضاء . فأخذها المعلم ومضى
بهما فرحاً إلى الملك وقدمهما إليه . فلم يشك في أنهما صنعته
فخلع عليه وشكره . ثم جاء فجلس مكانه ولم يلتفت إلى الصانع وما
زاده في آخر النهار شيئاً على الدرهمين . فلما كان اليوم الثاني
خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التي عمل لها السوارين الذهب .

فَحَضَرَتْ وَهْمًا فِي يَدَيْهَا فَأَخَذَهَا لِيُعِيدَ نَظْرَهُ فِيهِمَا وَفِي حُسْنِ
صَنَعَتِهِمَا . فَقَرَأَ الْأَيَّاتَ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ : هَذَا شَرْحُ حَالِ صَانِعِيهِمَا
وَالْمُعَلِّمُ يُكَذِّبُ . فَغَضِبَ عِنْدَ ذَلِكَ وَأَمَرَ بِإِحْضَارِ الْمُعَلِّمِ . فَلَمَّا
حَضَرَ قَالَ لَهُ : مَنْ عَمِلَ هَذَيْنِ السَّوَارِينَ . قَالَ : أَنَا أَيُّهَا الْمَلِكُ .
قَالَ : فَمَا سَبَبُ نَقْشِ هَذِهِ الْأَيَّاتِ . قَالَ : لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمَا أَيْيَاتٌ .
قَالَ : كَذَبْتَ ثُمَّ أَرَاهُ النَّقْشَ وَقَالَ : إِنْ لَمْ تَصْدُقْنِي الْحَقَّ لَأُضْرِبَنَّ
عُنُقَكَ . فَصَدَّقَهُ الْحَقَّ فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِإِحْضَارِ الصَّانِعِ . فَلَمَّا حَضَرَ
سَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَحَكَى لَهُ قِصَّتَهُ وَمَا جَرَى لَهُ مَعَ الْمُعَلِّمِ . فَرَسَمَ الْمَلِكُ
بِعِزْلِ الْمُعَلِّمِ وَأَنْ تُسَلَبَ نِعْمَتُهُ وَتُعْطَى لِلصَّانِعِ وَأَنْ يَكُونَ عِوَضًا
عَنْهُ فِي الْخِدْمَةِ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلْعَةً سَنِيَّةً وَصَارَ مُقَدَّمًا سَعِيدًا . فَلَمَّا
نَالَ هَذِهِ الدَّرَجَةَ وَتَمَكَّنَ عِنْدَ الْمَلِكِ تَلَطَّفَ بِهِ حَتَّى رَضِيَ عَنْ
الْمُعَلِّمِ الْأَوَّلِ وَصَارَا شَرِيكَيْنِ وَمَكَثَا عَلَى ذَلِكَ إِلَى آخِرِ الْعُمْرِ
إِحْسَانُ كَرِيمٍ إِلَى عَدُوِّهِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى
عَدَاوَةٌ عَظِيمَةٌ وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى ضَامِنًا أَعْمَالِ خَرَجِ كُضْبَاعٍ
وغيرِهِ فَبَقِيَتْ عَلَيْهِ بَقِيَّةٌ مِقْدَارُ أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَالَحَّ عَلَيْهِ
الْمَأْمُونُ بِطَلِبِهَا وَشَدَّدَ بِهَا إِلَى أَنْ قَالَ لِعَلِيِّ بْنِ صَالِحٍ حَاجِبِهِ :
أَمِيرُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ أَحْضَرَ الْمَالَ وَإِلَّا فَأُضْرِبَ بِالسَّيَاطِ حَتَّى
يُدْفَعَ الْمَالَ أَوْ يَتَأَفَّ . فَأَنْصَرَفَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى مِنْ دَارِ الْمَأْمُونِ

وَقَدْ أُرْتَاعَ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ وَجْهًا يَتَّجِبُهُ إِلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ كَاتِبُهُ : إِذَا
عَرَّجْتَ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ وَعَرَفْتَهُ خَبَرَكَ رَجَوْتُ أَنْ يُعِينِكَ
عَلَى أَمْرِكَ . فَقَالَ لَهُ : إِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ مِنَ الْعَدَاوَةِ مَا عَرَفْتَ .
فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ وَلَكِنَّ الرَّجُلَ أَرِيحِي كَرِيمٌ لَا تَمْنَعُهُ الْعَدَاوَةُ الَّتِي
بَيْنَكُمَا عَنْ فِعْلِ الْمَعْرُوفِ الَّذِي هُوَ مِنْ شَيْمِ الْكِرَامِ . فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ
مُوسَى وَمَضَى إِلَى أَنْ جَاءَ وَدَخَلَ مَعَ كَاتِبِهِ عَلَى غَسَّانَ بْنِ عَبَّادٍ .
فَلَمَّا رَأَاهُ غَسَّانُ قَامَ إِلَيْهِ وَتَلَقَّاهُ جَمِيلًا وَوَفَّاهُ حَقَّهُ فِي الْخِدْمَةِ وَقَالَ
لَهُ : دَعِ الْأَمْرَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَلَى حَالِهِ وَلَكِنْ دُخُولُكَ إِلَى
دَارِي تَوْجِبُ حُرْمَتَهُ بُلُوغَ مَا رَجَوْتُهُ مِنِّي فَأَذْكُرُ إِنْ كَانَ لَكَ حَاجَةٌ .
فَقَصَّ كَاتِبُهُ عَلَيْهِ الْقِصَّةَ . فَقَالَ لَهُ غَسَّانُ : أَرْجُو أَنْ يَكْفِيكَ اللَّهُ
تَعَالَى صُعُوبَةَ أَمْرِكَ وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذَلِكَ شَيْئًا . فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى
مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ نَادِمٌ عَلَى قَصْدِهِ غَسَّانَ وَيَتَسُّ مِنْ أَمْرِهِ وَقَالَ
لِكَاتِبِهِ : مَا أَقْدَتْنِي بِالْدُخُولِ عَلَى غَسَّانَ سِوَى تَعْجِيلِ الشَّمَاةِ وَالْهَوَانِ .
فَلَمْ يَصِلْ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى إِلَى دَارِهِ حَتَّى حَضَرَ إِلَيْهِ كَاتِبُ غَسَّانَ
وَمَعَهُ الْبِغَالُ وَعَلَيْهَا الْمَالُ فَتَقَدَّمَ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى وَتَسَلَّمَ وَبَاتَ فَرِحًا
مَسْرُورًا . وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بَكَرَ إِلَى دَارِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَدْفَعَ الْمَالَ
فَوَجَدَ غَسَّانَ قَدْ سَبَقَهُ هُنَاكَ وَدَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ وَقَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِعَلِيِّ بْنِ مُوسَى بِحَضْرَتِكَ حُرْمَةً وَخِدْمَةً وَسَابِقَ أَصْلٍ
وَقَدْ لَحِقَهُ مِنَ الْخُسْرَانِ فِي ضَمَانِهِ مَا تَعَارَفَهُ النَّاسُ وَقَدْ تَوَعَّدْتَهُ مِنْ

الضرب بالسياط ما أطار عقله وأذهب لبه . فإن رأى أمير المؤمنين
أن يجزيه من حسن كرمه ببعض ما عليه فهي صنيعة لي من
إحسانه . ولم يزل غسان يتلطف بالمؤمن حتى حط عنه نصف
ما عليه واقتصر منه بالنصف عشرين ألف دينار . فقال غسان
للمؤمن : سمعا وطاعة ولكن على أن يجدد أمير المؤمنين له الضمان
ويخلع عليه لكي تقوى نفسه ويعرف بها مكان الرضا عليه من
أمير المؤمنين أبقاه الله . فأجاب المؤمن إلى ذلك . فقال له غسان :
إن شاء أمير المؤمنين فلتحمل الدواة إلى حضرة لتوقيع ما سمح
به في ما قال . قال : أفعل . فحملت الدواة إلى المؤمن وقدمها
غسان له فوق حنبل علي بن موسى . وخرج علي بن موسى
والجلمع على كتفيه والتوقيع بيده . فلما حضر إلى داره حمل من
المال عشرين ألف دينار وأرسلها إلى غسان وشكره على جميل
فعله . فقال غسان لكتابه : والله ما شفعت به عند أمير المؤمنين إلا
لتوفر عليه العشرون ألف دينار وينفع بها هو فأمض بها إليه
وردها له فليست والله أخذها فهي له . فلما رجع الكتاب إلى
علي بن موسى مولاه وبلغه ما قال عرف عند ذلك قدر ما فعله
غسان من الجميل . ولم يزل يخدمه ويوقره إلى آخر العمر

الأصمعي ورجل سخي

حكى الأصمعي قال : قصدت في بعض الأيام رجلا كنت

آتَيْهِ أَحْيَانًا كَثِيرَةً لِّكَرَمِهِ وَجُودِهِ . فَلَمَّا أَتَيْتُ دَارَهُ وَجَدْتُ عَلَى بَابِهِ
 بَوَّابًا فَمَنْعَنِي مِنَ الدُّخُولِ إِلَيْهِ وَقَالَ لِي : وَاللَّهِ يَا أَصْمَعِي مَا أَوْقَفَنِي
 عَلَى بَابِهِ لِأَمْنَعِ مِثْلَكَ إِلَّا لِرُقَّةِ حَالِهِ وَقُصُورِ يَدِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنْ
 الضِّيقِ . فَقُلْتُ لَهُ : أُرِيدُ أَنْ أَكْتُبَ لَهُ رُقَّةً أَتُوصِلُهَا إِلَيْهِ . فَقَالَ :
 سَمِعًا وَطَاعَةً . فَأَحْضَرَ لِي قِرْطَاسًا وَقَلَمًا وَدَوَاةً فَأَخَذْتُ وَكَتَبْتُ
 لَهُ شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ لَهُ حِجَابٌ فَمَا فَضْلُ الْكَرِيمِ عَلَى اللَّئِيمِ .
 ثُمَّ طَوَيْتُ الرُّقَّةَ وَدَفَعْتُهَا إِلَى الْحَاجِبِ وَقُلْتُ لَهُ : أَوْصِلْ هَذِهِ
 الرُّقَّةَ إِلَيْهِ . فَفَعَلَ وَمَضَى بِالرُّقَّةِ قَلِيلًا . ثُمَّ عَادَ إِلَيَّ بِالرُّقَّةِ عَيْنَهَا
 وَقَدْ كَتَبَ تَحْتَ شِعْرِي جَوَابًا شِعْرًا :

إِذَا كَانَ الْكَرِيمُ قَلِيلَ مَالٍ تَحَجَّبَ بِالْحِجَابِ عَنِ الْغَرِيمِ .
 وَمَعَ الرُّقَّةِ صُرَّةٌ فِيهَا خَمْسُمِائَةِ دِينَارٍ . فَتَحَجَّجْتُ مِنْ سَخَائِهِ مَعَ
 قِلَّةِ مَا بِيَدِهِ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ لَا تُخْفَنَ هَارُونَ الرَّشِيدَ بِهَذَا
 الْخَبَرِ . فَأَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ قَصْرَ الْخِلَافَةِ فَاسْتَأْذَنْتُ وَدَخَلْتُ
 فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ . فَلَمَّا رَأَانِي قَالَ لِي : مِنْ أَيْنَ يَا أَصْمَعِي .
 قُلْتُ : مِنْ عِنْدِ رَجُلٍ مِنْ أَكْرَمِ الْأَحْيَاءِ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 وَمَنْ هُوَ . فَدَفَعْتُ لَهُ الرُّقَّةَ وَالصُّرَّةَ وَسَرَدْتُ عَلَيْهِ الْخَبَرَ . فَلَمَّا
 رَأَى الصُّرَّةَ قَالَ : هَذِهِ مِنْ بَيْتِ مَالِي وَلَا بُدَّ لِي مِنَ الرَّجُلِ .
 فَقُلْتُ : وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي أَسْتَحْيِي أَنْ أَكُونَ سَبَبَ رَوْعِهِ

يَا رَسُولَكَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : لَا يَغْنَمُكَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى بَعْضِ
خَاصَّتِهِ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ مَعَ الْأَصْمَعِيِّ فَإِذَا أَرَاكَ دَارًا فَأَدْخُلْ وَقُلْ
لِصَاحِبِهِ : أَجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَكُنْ دُعَاؤُكَ لَهُ بِطَاقَةٍ مِنْ غَيْرِ
أَنْ تُرْجِعَهُ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : فَمَضَيْنَا وَدَعَوْنَا الرَّجُلَ فَجَاءَ وَدَخَلَ عَلَى
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَلَّمَ بِالْخِلَافَةِ . فَقَالَ لَهُ هَارُونُ الرَّشِيدُ أَلَسْتَ أَنْتَ
الَّذِي وَقَفْتَ لَنَا بِالْأَمْسِ وَشَكَوْتَ لَنَا رِقَّةَ حَالِكَ وَقُلْتَ إِنَّكَ فِي
ضَيْقٍ شَدِيدٍ مِنَ الْإِحْتِيَاجِ فَرَحِمْنَاكَ وَوَهَبْنَا لَكَ هَذِهِ الصَّرَّةَ لِتُصْلِحَ
بِهَا حَالَكَ وَقَدْ قَصَدَكَ الْأَصْمَعِيُّ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَدَفَعْتَهَا لَهُ .
فَقَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ فِي مَا شَكَوْتُهُ لِأَمِيرِ
الْمُؤْمِنِينَ مِنْ رِقَّةِ حَالِي وَشِدَّةِ أَحْتِيَاجِي وَلَكِنِّي اسْتَحْيَيْتُ مِنْ اللَّهِ
تَعَالَى أَنْ أُعِيدَ قَاصِدِي إِلَّا كَمَا أَعَادَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ هَارُونُ
الرَّشِيدُ : لِلَّهِ دَرُّ بَطْنِ أَتَاكَ فَمَا وَلَدَتْ الْعَرَبُ أَكْرَمَ مِنْكَ . ثُمَّ بَالَعَ
يَاكْرَمِهِ وَخَلَعَ عَلَيْهِ وَجَعَلَهُ مِنْ خَاصَّتِهِ

إِكْرَامُ ثَلَاثَةِ أَصْدِقَاءَ مُخْلِصِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا

نُقِلَ عَنِ الْوَاقِدِيِّ قَالَ : كَانَ لِي صَدِيقَانِ أَحَدُهُمَا هَاشِمِيُّ
وَكُنَّا فِي الصَّدَاقَةِ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ . فَنَالَنِي ضَيْقَةٌ شَدِيدَةٌ وَقَدْ
حَضَرَ الْعَيْدُ . فَقَالَتْ لِي أُمْرَأَتِي : يَا مَوْلَايَ أَمَا نَحْنُ فَقَدْ نَصَبْرُ عَلَى
الْبُؤْسِ وَالشَّدَّةِ وَأَمَا صَبْيَانُنَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ تَقَطَّعَ قَلْبِي عَلَيْهِمْ حُزْنًا

وَرَحْمَةً لِّأَنَّهُمْ يَرَوْنَ صِبْيَانًا جِيرَانِنَا وَمَعَارِفِنَا وَقَدْ تَزَيَّنُوا فِي الْعِيدِ
وَهُمْ فَرِحُونَ . فَلَا بَأْسَ إِذَا أُحْتَلْنَا فِي مَا يُمَكِّنَا أَنْ نَصْرِفَهُ فِي
كُسُوتِهِمْ . فَرَأَيْتُ كَلَامَهَا صَوَابًا وَقَدْ قَطَعْتُ فُؤَادِي مِنْ هَذَا
الْحَدِيثِ . فَفَكَّرْتُ فِي الْحِيلَةِ وَكَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ أَسْأَلُهُ
التَّوَسُّعَةَ عَلَيَّ بِمَا يُمْكِنُهُ وَيَحْضُرُهُ . فَوَجَّهَ إِلَيَّ كَيْسًا فِيهِ أَلْفُ
دِرْهَمٍ . فَمَا اسْتَقَرَّ قَرَارُهُ حَتَّى كَتَبَ لِي صَدِيقِي الْآخَرُ يَشْكُو إِلَيَّ
مِثْلَمَا شَكَوْتُ أَنَا إِلَى صَدِيقِي الْهَاشِمِيِّ . فَوَجَّهْتُ إِلَيْهِ بِالْكَيْسِ عَلَى
حَالِهِ وَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ وَأَنَا مُسْتَحْيٍ مِنْ أَمْرَائِي . فَلَمَّا دَخَلْتُ
عَلَيْهَا وَقَدْ عَلِمْتُ بِمَا فَعَلْتُ لَمْ تُعْنِنِي . فَبَيْنَمَا أَنَا كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ عَلَيَّ
صَدِيقِي الْهَاشِمِيُّ وَمَعَهُ الْكَيْسُ وَهُوَ بَاقٍ بِخَتْمِهِ فَقَالَ : أَصَدَّقَنِي عَمَّا
فَعَلْتَهُ بِمَا وَجَّهْتُ بِهِ إِلَيْكَ . فَأَخْبَرْتُهُ بِالْحِكَايَةِ عَلَى حَقِيقَتِهَا . فَقَالَ :
إِنَّكَ أَرْسَلْتَ تَطْلُبُ مِنِّي التَّوَسُّعَةَ وَأَنَا وَاللَّهِ ثُمَّ وَاللَّهِ لَا أَمْلِكُ شَيْئًا
سِوَى هَذَا الْكَيْسِ الَّذِي بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ . ثُمَّ إِنِّي بَعْدَمَا أَرْسَلْتُهُ
لَكَ كَتَبْتُ إِلَى صَدِيقِنَا أَسْأَلُهُ الْمُوَاسَاةَ إِنْ كَانَ يُمْكِنُهُ فَوَجَّهَ إِلَيَّ
الْكَيْسَ بِذَاتِهِ وَهُوَ بِخَتْمِي وَهَذَا أَنَا إِذْ أَتَيْتُ بِهِ إِلَيْكَ . وَبِحَيْثُ إِنَّا
كُنَّا فِي ضَيْقٍ وَلَا يُوجَدُ عِنْدَ أَحَدٍ نَا غَيْرُ هَذَا الْكَيْسِ فَهَلُمَّ نَقْتَسِمْهُ .
ثُمَّ إِنَّهُ فَتَحَهُ وَأَخْرَجَ مِنْهُ مِئَةَ دِرْهَمٍ لِلْمَرْأَةِ وَفَرَّقَ عَلَى كُلِّ مِنَّا
أَنَا وَصَدِيقِي ثَلَاثَ مِئَةِ دِرْهَمٍ وَأَخَذَ هُوَ مِثْلَنَا ثَلَاثَ مِئَةٍ . وَبَلَغَ
الْمَأْمُونُ ذَلِكَ فَأَرْسَلَ اسْتَدْعَانِي وَسَأَلَنِي عَنِ الْقَضِيَّةِ فَشَرَحْتُهَا لَهُ كَمَا

هِيَ فَاسْتَدْعَى صَدِيقِي وَأَمَرَ لِكُلِّ مِنَّا بِأَلْفِي دِينَارٍ وَلَا تَرَأْنِي بِأَلْفِ
دِينَارٍ (لابن خلكان)

فِي تَقْدِيمِ الْأَكْرَامِ لِأَهْلِهِ
مِنْ غِزَارَةِ حَفْظِ ذِي الْوِزَارَتَيْنِ أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ الْمُجِيدِ بْنِ عَبْدِ وَنَ مَا
حَدَّثَ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ عَبْدِ الْمَلِكِ
ابْنُ أَبِي الْعَلَاءِ زَهْرٍ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ زَهْرٍ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هَذَا قَدْ
مَاتَ عَنْ سِنٍّ عَالِيَةٍ نَيْفٍ عَلَى الثَّمَانِينَ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ فِي دِهْلِيْزِ
دَارِنَا وَعِنْدِي رَجُلٌ نَاسِخٌ أَمَرْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ الْأَغَانِيِ.
فَجَاءَ النَّاسِخُ بِالْكَرَارِيسِ الَّتِي كَتَبَهَا. فَقُلْتُ لَهُ: أَيْنَ الْأَصْلُ الَّذِي
كَتَبْتَ مِنْهُ لِأَقَابِلَ مَعَكَ بِهِ. قَالَ: مَا أَتَيْتُ بِهِ مَعِيَ. فَبَيْنَا أَنَا مَعَهُ
فِي ذَلِكَ إِذْ دَخَلَ الدِّهْلِيْزَ عَلَيْنَا رَجُلٌ بَدَأَ أَهْيَةً عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَلِيظَةٌ
أَكْثَرُهَا صُوفٌ. وَعَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ قَدْ لَاشَتْهَا مِنْ غَيْرِ إِتْقَانٍ لَهَا.
فَحَسِبْتُهُ لَمَّا رَأَيْتُهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَسَلَّمَ وَقَعَدَ وَقَالَ لِي:
يَا بُنَيَّ اسْتَأْذِنْ لِي عَلَى الْوَزِيرِ أَبِي مَرْوَانَ. فَقُلْتُ لَهُ: هُوَ نَائِمٌ.
هَذَا بَعْدَ أَنْ تَكَلَّفْتُ جَوَابَهُ غَايَةَ التَّكْلِيفِ حَمَلَنِي عَلَى ذَلِكَ تَرَوُهُ الصَّبِي
وَمَا رَأَيْتُ مِنْ خُشُوَّةٍ هَيْئَةِ الرَّجُلِ. ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي سَاعَةً وَقَالَ: مَا
هَذَا الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِيكُمْ. فَقُلْتُ لَهُ: مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ. قَالَ: أَحِبُّ
أَنْ أَعْرِفَ اسْمَهُ فَإِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ أَسْمَاءَ الْكُتُبِ. فَقُلْتُ: هُوَ كِتَابُ
الْأَغَانِيِ. فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ بَلَغَ الْكَاتِبُ مِنْهُ. قُلْتُ: بَلَغَ مَوْضِعَ سَمْعِ كَذَا

وَجَعَلْتُ أَتَحَدَّثُ مَعَهُ عَلَى طَرِيقِ السُّخْرِيَّةِ بِهِ وَالصَّحِيحِ عَلَى قَالِهِ .
 فَقَالَ : وَمَا لِكَا تَبِكَ لَا يَكْتُبُ . قُلْتُ : طَلَبْتُ مِنْهُ الْأَصْلَ الَّذِي يَكْتُبُ
 مِنْهُ لِأَعَارِضَ بِهِ هَذِهِ الْأُورَاقَ فَقَالَ : لَمْ أَجِئْ بِهِ مَعِيَ . فَقَالَ :
 يَا بُنَيَّ خُذْ كَرَارِيْسَكَ وَعَارِضْ . قُلْتُ : بِمَاذَا وَأَيْنَ الْأَصْلُ . قَالَ :
 كُنْتُ أَحْفَظُ هَذَا الْكِتَابَ فِي مُدَّةِ صِبَايَ . قَالَ : فَتَبَسَّيْتُ مِنْ
 قَوْلِهِ فَلَمَّا رَأَى تَبَسُّمِي . قَالَ : يَا بُنَيَّ أَمْسِكْ عَلَيَّ . قَالَ : فَأَمْسَكْتُ
 عَلَيْهِ وَجَعَلَ يَقْرَأُ . فَوَاللَّهِ مَا أَخْطَأَ وَآوَا وَلَا فَاءَ قَرَأَ هَكَذَا نَحْوًا مِنْ
 كَرَّاسَتَيْنِ . فَأَخَذَنِي الْعَجَبُ ثُمَّ أَخَذْتُ لَهُ فِي وَسْطِ السَّفَرِ وَآخِرِهِ
 فَرَأَيْتُ حِفْظَهُ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ سَوَاءً فَأَشْتَدَّ عَجْبِي وَقُمْتُ مُسْرِعًا حَتَّى
 دَخَلْتُ عَلَى أَبِي فَأَخْبَرْتُهُ بِأَخْبَرٍ وَوَصَفْتُ لَهُ الرَّجُلَ . فَقَامَ كَمَا هُوَ
 مِنْ فَوْرِهِ وَكَانَ مُائِنًا بِرِداءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ قَمِيصٌ . وَخَرَجَ حَافِرَ الرَّأْسِ
 حَافِي الْقَدَمَيْنِ لَا يَرْفُقُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُوسِمُنِي
 لَوْ مَا حَتَّى تَرَامِي عَلَى الرَّجُلِ وَعَانَقَهُ وَجَعَلَ يَقْبِلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ
 وَيَقُولُ : يَا مَوْلَايَ أَعِذْ نِي فَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُنِي هَذَا الْخَلْفُ إِلَّا السَّاعَةَ
 وَجَعَلَ يَسُبُّنِي وَالرَّجُلُ يُخَفِّضُ عَلَيْهِ وَيَقُولُ : مَا عَرَفَنِي . وَأَبِي يَقُولُ :
 هَبْهُ مَا عَرَفَكَ فَمَا عَذْرُهُ فِي حُسْنِ الْأَدَبِ . ثُمَّ أَدْخَلَهُ الدَّارَ وَاسْتَكْرَمَ
 مَجْلِسَهُ وَخَلَا بِهِ فَتَحَدَّثَا طَوِيلًا . ثُمَّ خَرَجَ الرَّجُلُ وَأَبِي بَيْنَ يَدَيْهِ
 حَافِيًا حَتَّى بَلَغَ الْبَابَ . وَأَمَرَ بِدَائِيهِ الَّتِي يَرْكَبُهَا فَأُسْرِجَتْ وَحَلَفَ
 عَلَيْهِ لِيَرْكَبَهَا ثُمَّ لَا تَرْجِعْ إِلَيْهِ أَبَدًا . فَلَمَّا أَنْفَصَلَ قُلْتُ لِأَبِي : مَنْ

هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي عَظَمَتْهُ هَذَا التَّعْظِيمَ . قَالَ لِي : أَسْكُتْ وَيَحَاكَ .
هَذَا أَدِيبٌ الْأَنْدَلُسِ وَإِمَامُهَا وَسَيِّدُهَا فِي عِلْمِ الْأَدَابِ . هَذَا أَبُو
مُحَمَّدٍ عَبْدُ الْمُجِيدِ بْنُ عَبْدِوَنَ . أَيْسَرُ مُحْفُوظَاتِهِ كِتَابُ الْأَغَانِي وَمَا
حِفْظُهُ فِي ذِكَا خَاطِرِهِ وَجُودَةِ قَرِيحَتِهِ (محي الدين المراكشي)

فِي وَضْعِ الْمَعْرُوفِ فِي مَوْضِعِهِ وَالْأَصْطِفَاءِ بَعْدَ الْخَيْرَةِ

قَالَ دَبْشَلِيمُ الْمَلِكُ لِيَدَبَا الْفَيْلَسُوفِ أَضْرِبْ لِي مَثَلًا فِي
شَأْنِ الَّذِي يَضَعُ الْمَعْرُوفَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَيَرْجُو الشُّكْرَ عَلَيْهِ .
قَالَ الْفَيْلَسُوفُ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنَّ طَبَائِعَ الْخَلْقِ مُخْتَلِفَةٌ وَلَيْسَ مِمَّا خَلَقَهُ
اللَّهُ فِي الدُّنْيَا مِمَّا يَمْشِي عَلَى أَرْبَعِ قَوَائِمٍ أَوْ عَلَى رِجْلَيْنِ أَوْ يَطِيرُ
بِجَنَاحَيْنِ شَيْءٌ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ . وَلَكِنْ مِنَ النَّاسِ الْبَرُّ
وَالْفَاجِرُ . وَقَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ وَالطَّيْرِ مَا هُوَ أَوْفَى
مِنْهُ ذِمَّةً وَأَشَدُّ مُحَامَاةً عَلَى حُرْمَةٍ وَأَشْكُرُ لِلْمَعْرُوفِ وَأَقُومُ بِهِ .
وَحِينَئِذٍ يَجِبُ عَلَى ذَوِي الْعَقْلِ مِنَ الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَضَعُوا
مَعْرُوفَهُمْ مَوَاضِعَهُ وَلَا يُضَيِّعُوهُ عِنْدَ مَنْ لَا يَحْتَمِلُهُ وَلَا يَقُومُ بِشُكْرِهِ .
وَلَا يَصْطَفُوا أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ الْخَيْرَةِ بِطَرَاثِقِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوَفَائِهِ وَمَوَدَّتِهِ
وَشُكْرِهِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَخْتَصُّوا بِذَلِكَ قَرِيبًا لِقَرَابَتِهِ إِذَا كَانَ غَيْرَ مُحْتَمِلٍ
لِلصَّنِيعَةِ وَلَا أَنْ يَمْنَعُوا مَعْرُوفَهُمْ وَرِفْدَهُمْ لِلْبَعِيدِ إِذَا كَانَ يَفِيهِمْ
بِنَفْسِهِ وَمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ . لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ عَارِفًا بِحَقِّ مَا أَصْطَنَعَ إِلَيْهِ
مُؤَدِّيًا لَشُكْرِهِ مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ مُحْمُودًا بِالنُّصْحِ مَعْرُوفًا بِالْخَيْرِ صَدُوقًا

عَارِفًا مُؤَثِّرًا لِحَمِيدِ الْفِعَالِ وَالْقَوْلِ . وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ عُرِفَ بِالْخِصَالِ
 الْمَحْمُودَةِ وَوُثِقَ مِنْهُ بِهَا كَانَ لِلْمَعْرُوفِ مَوْضِعًا وَلِتَقْرِيبِهِ وَأَصْطِنَاعِهِ
 أَهْلًا . فَإِنَّ الطَّيِّبَ الرَّفِيقَ الْعَاقِلَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مُدَاوَاةِ الْمَرِيضِ إِلَّا
 بَعْدَ النَّظَرِ إِلَيْهِ وَالْجُلُوسِ لِعُرْوَقِهِ وَمَعْرِفَةِ طَبِيعَتِهِ وَسَبَبِ عِلَّتِهِ . فَإِذَا
 عُرِفَ ذَلِكَ كُلُّهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَقْدَمَ عَلَى مُدَاوَاتِهِ . فَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ لَا
 يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ أَحَدًا وَلَا يَسْتَخْلَصَهُ إِلَّا بَعْدَ الْخَبَرَةِ . فَإِنْ مَنْ أَقْدَمَ
 عَلَى مَشْهُورِ الْعَدَالَةِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَانَ مُخَاطِرًا فِي ذَلِكَ وَمُشْرِفًا
 مِنْهُ عَلَى هَلَاكِهِ وَفَسَادِهِ . وَمَعَ ذَلِكَ رُبَّمَا صَنَعَ الْإِنْسَانُ الْمَعْرُوفَ مَعَ
 الضَّعِيفِ الَّذِي لَمْ يُجَرِّبْ شُكْرَهُ وَلَمْ يَعْرِفْ حَالَهُ فِي طَبَائِعِهِ فَيَقُومُ
 بِشُكْرِ ذَلِكَ وَيُكَافِي عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْمَكَافَاةِ . وَرُبَّمَا تَحَذَّرُ الْعَاقِلُ
 مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَأْمَنْ عَلَى نَفْسِهِ أَحَدًا مِنْهُمْ . وَقَدْ يَأْخُذُ ابْنُ عَرَسٍ
 فَيُدْخِلُهُ فِي كُدِّهِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْأُخْرَى كَالَّذِي يَحْمِلُ الطَّائِرَ عَلَى
 يَدِهِ فَإِذَا صَادَ شَيْئًا انْتَفَعَ بِهِ وَأَطْعَمَهُ مِنْهُ . وَقَدْ قِيلَ : لَا يَنْبَغِي
 لِلَّذِي الْعَقْلُ أَنْ يَخْتَقِرَ صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا مِنَ الْبَهَائِمِ .
 وَلَكِنَّهُ جَدِيرٌ بِأَنْ يَبْلُوَهُمْ وَيَكُونَ مَا يَصْنَعُ إِلَيْهِمْ عَلَى قَدَرِ مَا يَرَى
 مِنْهُمْ وَقَدْ مَضَتْ فِي ذَلِكَ أَمْثَالٌ ضَرَبَهَا الْحُكَمَاءُ (كَلِيلَةُ وَدَمْنَةُ)

الْحَيَّةُ وَالْإِنْسَانُ

ذُكِرَ أَنَّ وَاحِدًا مِنَ الْأَكْيَاسِ طَلَبَ الْعُزْلَةَ عَنِ النَّاسِ وَلَا زَمَ
 انْقِطَاعَهُ وَأَنْقَطَعَ عَنِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ . وَاشْتَغَلَ لِإِقَامَةِ أَوْدِهِ بِالزَّرَاعَةِ .

وَأَنْعَزَلَ فِي ذَيْلِ جَبَلٍ . وَصَاحِبَ حَيَّةٍ كَانَتْ تَأْتِيهِ بِكَلَامِهِ .
وَتَأْكُلُ مِنْ فَضْلَاتِ طَعَامِهِ . فَتَرَقَّتْ بَيْنَهُمَا الْمُعَاهَدَةُ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ
إِلَى الْمُعَاقَدَةِ . بِأَنْ تَكُونَ صَادِقَةً خَالِيَةً عَنِ الْمُمَازَقَةِ . وَلَا تَكُونَ كَصُحْبَةِ
أَبْنَاءِ الزَّمَانِ . تَكْرَعُ مِنَ الْعَذْرِ فِي عُذْرَانٍ . وَلَا مَشُوبَةً بِبِفَاقٍ . وَلَا
مَدْخُولَةً بِرِيَاءٍ وَشِقَاقٍ . وَأَنْ تَتَعَقَّدَ بَيْنَهُمَا الْمَوَدَّةُ وَالْإِخَاءُ . فِي
حَالَتِي الشَّدَّةِ وَالرِّخَاءِ . فَمَرًّا عَلَى هَذَا مُدَّةً وَكُلُّ حَافِظٍ عَهْدَهُ
مُرَاعٍ صُحْبَتَهُ وَوِدَّهُ . وَكَانَ الرَّجُلُ إِذَا عَنَّتْ لَهُ قَضِيَّةٌ عَرَضَهَا عَلَى
الْحَيَّةِ وَأَسْتَشَارَهَا وَأَخَذَ أَخْبَارَهَا . وَتَخْرُجُ هِيَ إِلَيْهِ . وَتَتَرَامَى عَلَى
رِجْلَيْهِ . قَبْلِي بَعْضِ الْأَيَّامِ . وَعَامٍ مِنَ الْأَعْوَامِ . وَقَعَ بَرْدٌ شَدِيدٌ .
وَتَلَجَّ وَحَلِيدٌ . فَرَأَى الْحَيَّةَ وَقَدْ سَقَطَتْ قُوَاهَا . وَخَمَدَتْ أَعْضَاهَا .
وَوَقَعَتْ فِي شَرِّ حَالٍ . وَبَرْدٍ وَوَبَالٍ . فَحَمَّاهُ الشَّفَقَةُ وَالصَّدَاقَةُ
وَالْعَهْدُ الَّذِي أَحْكَمَا وَثَاقَهُ عَلَى أَنْ آوَاهَا وَحَمَلَهَا فِي مَخْلَاةٍ حِمَارِهِ
وَأَذْنَاهَا وَوَضَعَ الْمَخْلَاةَ فِي رَأْسِ الْبَهِيمِ . وَتَوَجَّهَ لِضَرُورَةِ ذَلِكَ
الْفَهِيمِ فَحَسَّتِ الْحَيَّةُ بِنَفْسِ أَبِي زِيَادٍ . وَتَحَرَّكَ عِرْقُ الْعُدْوَانِ
الْقَدِيمِ وَعَادَ . وَفَعَلَ خُبْنَهَا خَاصِيَّتَهُ الْمَالُوفَةَ . وَلَعِبَ نُسَمَاهَا نُسَمِيَّتَهُ
الْمَعْرُوفَةَ . مُتَّبِعًا حَدِيثَهُ . حَرَامٌ عَلَى النَّفْسِ الْحَيَّةَةِ . أَنْ تَخْرُجَ مِنَ
الدُّنْيَا حَتَّى تُسَيَّ إِلَى مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا . فَعَضَّتِ الْحَيَّةُ شَفَةَ الْحِمَارِ
وَبَرَدَ مَكَانُهُ مِنْ حَرِّهَا . وَهَرَبَتْ الْحَيَّةُ إِلَى حُجْرِهَا . وَإِنَّمَا أَوْرَدَتْ
هَذَا الْمَثَلَ لِتَعْلَمُوا يَا ذَوِي الْإِفْضَالِ أَنَّ مَنْ صَحِبَ الْأَشْرَارَ . وَرَغِبَ

فِي مَوَدَّةِ الْفُجَّارِ . لَا يَأْمَنُ الْعِشَارُ . وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الْأَنْكَادِ وَالْبَوَارِ
(فاكهة الخلفاء لابن عربشاه)

كِسْرَى وَالْمَتَحَا كَمَا

حُكِيَ أَنَّ الْمَلِكَ كِسْرَى كَانَ أَعْدَلَ الْمُلُوكِ قِيلَ : إِنَّ رَجُلًا
أَشْتَرَى دَارًا مِنْ رَجُلٍ آخَرَ فَوَجَدَ الْمُشْتَرِي فِيهَا كَنْزًا فَمَضَى إِلَى
الْبَائِعِ وَأَخْبَرَهُ بِهِ فَقَالَ لَهُ الْبَائِعُ : إِنَّمَا بَيْتُكَ دَارًا لَا أَعْرِفُ فِيهَا كَنْزًا
وَأِنْ كَانَ فِيهَا كَنْزٌ فَهُوَ لَكَ . فَقَالَ الْمُشْتَرِي : لَا بُدَّ أَنْ تَأْخُذَهُ
فَإِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلًا فِيمَا أَشْتَرَيْتُ . فَطَالَ الْجِدَالُ بَيْنَهُمَا فَتَحَا كَمَا إِلَى
الْمَلِكِ كِسْرَى . فَأَمَّا وَقَعَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَذَكَرَا لَهُ أَمْرَ الْكَنْزِ أَطْرَقَ مَلِيًّا
ثُمَّ قَالَ لهُمَا : هَلْ لَكُمَا أَوْلَادُ . فَقَالَا : نَعَمْ . فَقَالَ كِسْرَى لهُمَا :
أَنْفَقَا ذَلِكَ الْكَنْزَ فِي مَصَالِحِهِمْ . فَعَمَلَا ذَلِكَ (للقلوبي)

الْمَجُوسِيَّانِ وَالنَّارِ

حُكِيَ أَنَّهُ كَانَ فِي زَمَنِ مَالِكِ بْنِ دِينَارٍ مَجُوسِيَّانِ يَعْبُدَانِ
النَّارَ . فَقَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ الْأَكْبَرِ : أَيُّهَا الْأَخُ إِنَّكَ عَبَدْتَ هَذِهِ
النَّارَ ثَلَاثًا وَسَبْعِينَ سَنَةً وَأَنَا عَبَدْتُهَا خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً فَتَعَالَ
نَنْظُرْ هَلْ تُحْرِقُنَا كَمَا تُحْرِقُ غَيْرَنَا مِمَّنْ لَمْ يَعْبُدْهَا . فَإِنْ لَمْ تُحْرِقْنَا
فَعَبَدْنَاهَا وَإِلَّا فَلَا . فَأَوْقَدَ نَارًا ثُمَّ قَالَ الْأَصْغَرُ لِأَخِيهِ : هَلْ تَضَعُ
يَدَكَ قَبْلِي أَمْ أَنَا قَبْلَكَ . فَقَالَ لَهُ : ضَعِ أُنْتَ قَوْضِعَ الْأَصْغَرِ يَدَهُ
فَحَرَّقَتْ إَصْبَعَهُ فَتَرَجَّ يَدَهُ وَقَالَ : آهِ أَعْبُدُكَ كَذَا وَكَذَا سَنَةً وَأَنْتِ

تُؤذِنِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَخِي تَعَالَ تَعْبُدُ مَنْ لَوْ أَذِنْنَا وَتَرَكَنَاهُ خَمْسَ مِائَةِ
سَنَةٍ لَتَجَاوَزَنَا بِطَاعَةِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ وَاسْتِغْفَارِ مَرَّةٍ وَاحِدَةٍ . فَأَجَابَهُ
أَخُوهُ إِلَى ذَلِكَ

(للقليوبي)

فِي حِيلَةٍ قَائِدِ جَيْشٍ

مِنْ عَجَائِبِ مَا حُكِيَ أَنَّ بَعْضَ السَّلَاطِينِ غَضِبَ عَلَى صَاحِبِ
طَبْرَسْتَانَ . فَبَذَلَ الطَّبْرِيُّ جُهْدَهُ فِي إِزَالَةِ ذَلِكَ فَمَا أَمُكِنَهُ . فَبَعَثَ
السُّلْطَانُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا . فَعَلِمَ الطَّبْرِيُّ أَنَّ الْجَيْشَ لَا يَنْزِلُونَ إِلَّا
بَغِيضَةٍ مُعَيَّنَةٍ تَحْتَ جَبَلٍ . فَأَمَرَ بِقَطْعِ أَشْجَارِ تِلْكَ الْغِيضَةِ وَتَرْكِهَا
كَمَا كَانَتْ قَائِمَةً . وَسَتَرَ مَوْضِعَ الْقَطْعِ بِالثَّرَابِ . فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ
وَنَزَلُوا بِهَا كَمَنَّ الطَّبْرِيُّ هُوَ وَأَصْحَابُهُ خَلْفَ ذَلِكَ الْجَبَلِ . وَشَدَّ
الْجَيْشُ دَوَابَّهُمْ فِي أَشْجَارِ تِلْكَ الْغِيضَةِ وَكَانَتْ كُلُّهَا مَقْطُوعَةً . فَخَرَجَ
عَلَيْهِمُ الطَّبْرِيُّ بِأَصْحَابِهِ وَصَاحَ بِهِمْ فَتَفَرَّتِ الدَّوَابُّ وَتَسَاقَطَتْ
أَلْأَشْجَارُ لِأَنَّ الدَّوَابَّ جَرَّتْهَا . فَوَلَّى الْجُنْدُ هَارِبِينَ فَرَعِينَ لَا يَلْوِي
أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ وَتَبِعَهُمُ الطَّبْرِيُّ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ فَفَجَأَ أَقْلَهُمْ . وَتَلَفَ
أَكْثَرُهُمْ . فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى السُّلْطَانِ سَأَلَهُمْ عَنْ شَأْنِهِمْ فَقَالُوا : نَزَلْنَا
بِالمَوْضِعِ الْفُلَانِيِّ وَأَتَانَا فِي جَنَحِ اللَّيْلِ جُنْدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ تَضَرَّبْنَا
بِالْأَشْجَارِ الطَّوِيلَةِ . فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ مِنَ الْمُتَقَوِّمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ الْمَشْيِ
إِلَى طَبْرَسْتَانَ

(للقزويني)

فِي الصَّبْرِ وَالْمُرُوءَةِ

يُرَوَّى عَنْ بَعْضِ الْكُرَمَاءِ أَنَّهُ اسْتَدْعَى جَمَاعَةً إِلَى بُسْتَانٍ لَهُ .
وَعَمِلَ لَهُمْ سَمَاعًا . وَكَانَ لَهُ وَلَدٌ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا وَكَمَلِهِمْ
ظَرْفًا وَأَتَمَّهُمْ أَدَبًا وَلُطْفًا . فَكَانَ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ يَخْدُمُ الْجَمَاعَةَ
وَيُؤَانِسُهُمْ . فَأَتَّفَقَ أَنَّهُ طَلَعَ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الدَّارِ فَوَقَعَ مَيْتًا .
فَارَادَتْ أُمُّهُ وَجَوَارِيهِ أَنْ يُظْهِرْنَ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ . فَطَلَعَ وَالِدُهُ إِلَيْهِنَّ .
وَحَلَفَ أَنْ لَا يَتَكَلَّمَ أَحَدٌ مِنْهُنَّ حَتَّى يَنْصَرِفَ الْقَوْمُ . فَإِنَّ ذَلِكَ
يَنْغِصُ عَلَيْهِمْ عَرَسَهُمْ وَلَذَّتُهُ . فَأَمْتَشَلُوا مَا أَشَارَ بِهِ . وَعَادَ إِلَى الْقَوْمِ .
فَحَضَرَ السَّمَاعَ وَأَظْهَرَ الْمَسْرَةَ وَالْأُنْسَ بِهِمْ . فَجَعَلَ الْجَمَاعَةُ يَتَفَقَّدُونَ
الشَّابَّ وَيَسْأَلُونَ عَنْهُ . فَيَقُولُ وَالِدُهُ : لَعَلَّهُ قَدْ نَامَ . فَأَذْرَكُهُمُ اللَّيْلُ .
وَبَاتُوا فِي السَّمَاعِ لَا يَشْعُرُونَ بِمَا صَارَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ . فَلَمَّا أَصْبَحُوا
قَدِمَ لَهُمُ الْغَدَاءُ فَأَكَلُوا وَأَرَادُوا إِلَّا نَصِرَافَ . فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَحْضُرُونَ
جَنَازَةَ وَلَدِي فَإِنَّهُ قَدْ مَاتَ الْبَارِحَةَ . وَقَصَّ عَلَيْهِمُ الْقِصَّةَ . فَلَمْ
يَبْقَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا اسْتَعْظَمَ مَرْوَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِجَمِيلِ صَبْرِهِ وَعِظَمِ
كَرَمِهِ

(تَرْيِينُ الْأَسْوَاقِ)

مَوْتُ الْمُتَنَبِّيِّ

قِيلَ إِنَّ أَبَا الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيَّ كَانَ رَاجِعًا مِنْ بِلَادِ فَارِسَ إِلَى
بَغْدَادَ بِجَائِزَةٍ أَجَازَهُ بِهَا عَصْدُ الدَّوْلَةِ وَمَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ .

فَخَرَجَ عَلَيْهِ قُطَاعُ الطَّرِيقِ فَهَرَبَ الْمُتَّبِعِيُّ مِنْهُمْ . فَقَالَ لَهُ غُلَامُهُ :
 أَتَهْرَبُ وَأَنْتَ الْقَائِلُ فِي شِعْرِكَ :
 لِّلْخَيْلِ وَاللَّيْلِ وَالْيَدَاءِ تَعْرِفُنِي

وَالضَّرْبِ وَالْحَرْبِ وَالْقِرْطَاسِ وَالْقَلَمِ
 فَكَّرَ رَاجِعًا فَقُتِلَ فِي سَنَةِ ٣٥٤ فَكَانَ ذَلِكَ أَلَيْتُ سَبَبًا لِقَتْلِهِ
 (للقلوي)

الْحَرِيرِيُّ وَالْغُلَامُ

يُحْكِي عَنِ الْحَرِيرِيِّ أَنَّهُ كَانَ بِشِعِ الْمُنْظَرِ رَثَّ الْهَيْئَةِ . فَجَلَسَ
 غُلَامُهُ يَوْمًا فِي خَلْوَةٍ وَأَرَادَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النِّظْمَ فَأَوَّلُ مَا نَظَّمَ يَصِفُ
 بَيْتَهُ وَهُوَ : وَجْهُ الْحَرِيرِيِّ وَجْهُ قِرْدٍ . فَسَمِعَهُ الْحَرِيرِيُّ فَقَالَ :
 وَالضَّرُورَةُ أَحْوَجُنَا إِلَيْهِ . فَجَلَّ الْغُلَامُ مِنْ سَيِّدِهِ وَسَكَتَ . ثُمَّ
 اجْتَمَعَ الْحَرِيرِيُّ مَعَ الْخَلِيفَةِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ . فَقَالَ لَهُ لِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ
 تَصْبِرْ حَتَّى يَكْمَلَهُ . فَقَالَ : رَأَيْتُهُ أَقْتَحِنِي بِقِرْدٍ فَخَشِيتُ أَنْ يَكْمِلَنِي
 بِكَلْبٍ فَكَمَلْتُهُ لَهُ
 (لِلنَّوَاجِي)

فهرسة

الجزء الاول

من امثال لقمان الحكيم

وجه

٣	اسد وثوران
٣	غزال
٣	اسد وثعلب
٤	اسد وانسان
٥	غزال واسد
٥	غزال وثعلب
٥	ارنب ولبوة
٦	امراة ودجاجة
٦	بعوضة وثور
٦	بستاني
٧	انسان وفرس
٧	انسان وخنزير
٨	سلحفاة وارنب
٨	ذيب
٨	العوسج
٩	صبي
٩	صبي وعقرب
١٠	حمامة
١٠	حداد وكلب
١١	البطن والرجلان
١١	الشمس والريج
١١	ديكان
١٢	ذياب
١٢	الوز والمطاف
١٢	بطة وضوء كوكب

نخب

من الكتاب المعروف بالف ليلة وليلة

صفحة

١٣

حكاية الملك جليعاد وابنه

١٦

حكاية السنور والفار

٢١

حكاية الناسك وما جرى له

٢٥

حكاية السمك وما جرى لهم

٢٨

حكاية الغراب والحية

٢٩

حكاية حمار الوحش والثعلب

٣٢

حكاية ابن الملك السائح

٣٦

حكاية الغراب

٣٨

حكاية الخاوي واولاده وزوجته واهل بيته

٤١

حكاية العنكبوت والريح

٥٥

حكاية الطيور والوحوش مع ابن ادم

٦٨

حكاية الطيور

٧٢

الذراع والصلاحف

٧٥

التمالب والذب

٧٧

السندباد الحمال

٩٦

حكاية طاب

٩٢

حكاية الراعي العابد

حكاية ملاك الموت

٩٤

الحكاية الاولى

٩٦

الحكاية الثانية

٩٨

الحكاية الثالثة

٩٩

ذكر الموت الدائم

نخب

مما كتبه بعض العلماء في الجود والكرم والمكافاة وغير ذلك

صفحة

١٠١	في طلبتي اعميين
١٠٢	في قط يقوت قطاً
١٠٣	في جود ملك
١٠٥	في جود معن بن زائدة
١٠٦	في المكافاة
١٠٩	الصانع وصانع الخليفة
١١٢	احسان كريم الى مدوّه
١١٤	الاصمعي ورجل مني
١١٦	اكرام ثلاثة اصدقاء مخلصين بعضهم بعضاً
١١٨	في تقديم الاكرام لاهله
١٢٠	في وضع المعروف في موضعه والاصطفاء بعد الخبرة
١٢١	الحية والانسان
١٢٣	كسرى والمتحاكمان
١٢٣	الجوسيان والنار
١٢٤	في حيلة قائد جيش
١٢٥	في الصبر والمروءة
١٢٥	موت المتبي
١٢٦	الحريري والغلام

Col.
tx.

8



Bibliotheca Alexandrina



0428841

